دكتورة هدى درويش

دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز



دور التصوف فى انتشار الإسلام فى آسيا الوسطى والقوقاز

دكتورة هدى درويش

معهد الدراسات الأسيوية - جامعة الزقازيق

الطبعة الأولى
٢٠٠٤م

عين للدراسات والبحوث الانسانية والإجتماعية
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المستشارون

د. أحمد إبراهيم الهوارى

د. شوقى عبد القوى حبيب

د. قاسم عبده قاسم

المدير التنفيذى:

شريف قاسم

مدير النشر:

محمد عبد الرحمن عفيفى

تصميم الغلاف: منى العيسوى

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع تليفون وفاكس ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

E-mail : dar_Ein@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ)

صدق الله العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديــم

فى معرض حديثه عن الأتراك ، يقول العلامة الكبير "ابن خلدون" فى مقدمته : إن لهم مكانة خاصة فى تاريخ الإسلام، مثلهم فى ذلك مثل الفرس من الإيرانيين والبربر من المغاربة، وذلك بعد العرب مادة الإسلام.

وابن خلدون . هنا يلخص لنا فى تلك العبارة القصيرة الموجزة والبليغة فى الوقت ذاته مكانة الأتراك فى التاريخ الإسلامى ، ووضعهم فى منزلة مساوية لغيرهم من الشعوب الإسلامية ممن شكلوا لبنة مهمة فى صرح الحضارة الإسلامية العظيم .

وبعيدًا عن الخلافات الكثيرة فى هذا الخصوص ، فإن الأتراك هم تلك الشعوب البدوية التى استقرت فى وسط آسيا منذ أقدم العصور . وهم بموقعهم المهم هذا كانوا على صلة قوية - بحكم الجيرة - بأهل الحضارات الكبرى فى العالم ، كالصين شرقًا وإيران والرومان غربًا .

وقد اعتنق الأتراك فى تلك المناطق قبل الإسلام الكثير من الديانات، وفى هذا الخصوص يذكر "بارتولد" أنه على وجه العموم فإن كل دين قد وجد له أتباعًا بين الناس فيما عدا اليهودية .

ومن بين الأديان التى انتشرت هنالك قبل الإسلام نذكر : الشامانية، البوذية ، المانوية ، والمسيحية النسطورية وغيرها كثير كثير .

ويمكننا أن نقسم علاقة آسيا الوسطى بالإسلام إلى مراحل ثلاث موضوعية متداخلة ومتشابكة ولكن يؤدى بعضها إلى بعض :

المرحلة الأولى : مرحلة التعرف على الإسلام ، وكانت تلك فى العصر الأموى ، وبدأت بصراع حربى كان سجالاً بين الطرفين ، حتى تم فتح تلك البلاد ودخولها فى حوزة الإسلام .

ويرجع الفضل الكبير فى فتح تلك المناطق ودخولها فى الإسلام إلى القائد العربى العظيم "قتيبة بن مسلم الباهلى" الذى ولاه الحجاج بن يوسف الثقفى "خراسان" عام ٨٦هـ . ومن هناك خرج ذلك القائد الكبير إلى "بلخ" فقابله أهلها وعظماؤها واستقبلوه استقبالاً حسنًا وتبعوه . ومن ثم عبر نهر "جيحون" وقابل ملك "الصغانيان" الذى أهدى إليه كثيرًا من الهدايا ، ثم سلم إليه بلاده .

وفى عام ٨٧هـ غزا "قتيبة" "بيكند" ، وأغار على "الصغد" ، وقاتل أهلها وهزمهم وعقد معهم صلحًا، وولى عليهم واليًا من قبله . ولكنهم مالبثوا أن غدروا به وقتلوه ، فرجع إليهم "قتيبة" وفتح البلاد عنوة ، وواصل فتوحاته حتى وصل إلى "بخارى" وألزم أهلها أن يمدوه بقوة إضافية يستعين بها فى فتوحاته .

وفى عام ٩٣هـ فتح "قتيبة" مدن "خوارزم" صلحًا ، ثم فتح بعد ذلك "سمرقند" بعد قتال شديد . ولم يكتف "قتيبة" بذلك بل توجه صوب "بخارى" وانتصر على الجيوش التى صادفته وهو فى الطريق إليها .

وفى عام ٩٤هـ ، قصد "فرغانة" والتى وجد فيها مقاومة شديدة ، ولكنه استطاع التغلب عليها . وبعد ذلك توجه إلى "كاشان" حاضرة البلاد وفتحها . وفى عام ٩٦هـ سار القائد العربى الكبير "قتيبة" نحو الصين لفتحها . وبالرغم من وصول نبأ وفاة "الوليد بن عبدالملك" وهو فى الطريق إليها ، إلا أنه واصل سيره حتى وصل إلى حدود الصين . ودارت مفاوضات بين إمبراطور الصين و"قتيبة" انتهت بقبول الإمبراطور دفع الجزية للعرب .

المرحلة الثانية : وهى مرحلة التعرف على الإسلام والدخول فيه .

ونذكر أن تلك المرحلة قد استغرقت العصرين الأموى والعباسى معًا ، حيث تبدأ أيضًا بفتوحات "قتيبة بن مسلم "الذى كان طرفا فيها بالإضافة إلى إخوته من المقاتلين . وتعليل ذلك أن هؤلاء المسلمين الفاتحين لم تكن الحرب عندهم غاية فى حد ذاتها ، ولكن "الدعوة" كانت هى الأساس . والدعوة إلى دين الله حددها القرآن الكريم صراحة فى قوله تعالى : "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن" (النحل : ١٢٥) .

ونذكر هنا عددًا من المواقف التى حدثت آنذاك سواء من "قتيبة" نفسه أو ممن معه من جنود الإسلام :

- وجد "قتيبة بن مسلم" فى "سمرقند" أصنامًا يعتقد أهلها أن من يهنها يمت فى الحال . فقام "قتيبة" بإحراقها ولم يمسسه سوء . وبذلك قضى على تلك الخرافة ودخل أهل "سمرقند" فى دين الله أفواجًا إثر ذلك.

- سمح المسلمون بنقل معانى القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى فى فترة مبكرة . فقد أفتى العلماء بجواز ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية عقب فتح بلاد فارس؛ حتى يستطيع الأهالى هنالك معرفة الإسلام والتعمق فى أمور الدين .

- التأليف بين الأهالى وتقريبهم من المسلمين وحثهم على الدخول فى الإسلام بالمنح والعطايا . ومن ذلك كان المسلمون يمنحون عددًا من الدراهم لكل تركى يذهب إلى المسجد .

- وفى عهد الخليفة العباسى "المأمون" (١٩٨ – ٢١٨هـ) استُنت سنةٌ حسنة ، حيث كان أعيان الترك يدعون إلى بغداد فتُكرم، وفادتهم وتُقدم لهم الهدايا ، فكانوا يسلمون ، حتى إذا كان عهد الخليفة "المعتصم" كانت أغلبية الترك قد دخلت فى دين الله .

- والخليفة "المعتصم" (٢١٨ – ٢٢٧هـ) هو الذى فتح الطريق للترك ليصلوا إلى جيش الخلافة . وقد استقدمهم "المعتصم" رأسًا من بلاد ما وراء النهر ، وبدأ بأن أسند لهم أمر سلامته الشخصية فجعل منهم حرسه الخاص، ثم أدخلهم فى جيشه المحارب . واستطاعوا بشجاعتهم وبطولاتهم أن ينالوا تقدير الخليفة ، وأن يصلوا إلى القمة فى أمور الحرب.

- ونحن نقرأ عن طلب وصل من أحد قوادهم يدعى "ألمش يلطوار" إلى الخليفة العباسى "المقتدر بالله" (٢٩٥–٣٢٠هـ) ، يطلب منه أن يرسل له من يفقهه فى الدين الإسلامى ويبين له شرائعه ، كما يطلب منه أن يقوم ببناء مسجد ليقيموا الصلاة فيه ويرفعوا الدعوة والشكر لأمير المؤمنين فى سائر أنحاء المملكة ، كما طلبوا منه أن يبنى لهم حصنًا يحميهم من الملوك المخالفين .

وقامت الرحلة وفيها الرحالة الشهير "ابن فضلان" فى صفر من عام ٣٠٩هـ / يونيو ٩٢١م ، وكتب فى ذلك رسالته القيمة .

وفى هذه الرحلة يقول "ابن فضلان" أنه كان يسمعهم يقولون " لا اله الا الله محمد رسول الله" . وهو يعلق على ذلك قائلاً : إنهم كانوا يقولونها تقربًا إلى من يجتاز بهم من المسلمين ، لا اعتقادًا لذلك .

وفى نفس الرحلة يذكر لنا "ابن فضلان" أنهم – أى الأتراك – كانوا يرتاحون إلى قراءته للقرآن ويستحسنونها ، كما أنه عندما كان يستعظم بعض ما ينطقه الواحد منهم من الكفر ، فيسبح الله ويستغفره كان الرجل يفعل مثلما يفعل هو : فيسبح ويستغفر . ويعلق "ابن فضلان" على ذلك بقوله : إن ذلك هو رسم التركى ، كلما سمع المسلم يسبح ويهلل قال مثله .

كما كان لمشايخ القبائل التركية والحكام دور مهم فى نشر الإسلام فى تلك المناطق . ومن المعروف فى هذا الخصوص أن الحكام كانوا إذا أسلموا أسلم معهم قبائلهم وعشائرهم وتابعوهم .

ونذكر من بين هؤلاء "صاتوق بغراخان" (٣٤٤هـ / ٩٥٥–٩٥٦م) مؤسس الدولة القراخانية ، والذى دخل فى الإسلام فى "كاشغر" عام ٣٣٢هـ ، وتبعه أبناؤه

وكبار رجال الدولة ، ومن ثم كل تابعيه حتى صار الإسلام هو الدين الرسمى للدولة فى التركستان آنذاك .

كما نذكر أيضاً "سلجوق" (النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) الذى أسلم معه قومه بحماس شديد ، وهاجر مع قبيلته من إستبس القيرغيز إلى "بخارى" ، ومن ثم استطاعوا تأسيس دولة ذات شأن عظيم فى التاريخ الإسلامى اعتبارًا من عام ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م ، وعرفت باسمهم وامتدت فى كل من إيران والعراق والأناضول .

المرحلة الثالثة : وهى مرحلة استقرار الإسلام فى نفوس الناس ، وتقبلهم له ، وتفهمهم لمعانيه ، واستحسانهم لما جاء به ويتوافق مع طبيعتهم ، ومن ثم حسن إسلامهم وتبنّى أفكاره ومبادئه ، والدعوة إليه .

وفى هذه المرحلة – التى يمكن أن نؤرخ لها اعتبارًا من القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى – ظهر المتصوفة والطرق الصوفية فى أنحاء البلاد ، ووجدت الصوفية صدى طيبًا لها بين الناس .

وإذا عرجنا صوب التصوف ، فإننا نلاحظ منذ البداية تدين الأتراك، وتفهمهم للعقيدة ، وحرصهم الشديد على أداء فروض الطاعة والولاء كما يتطلبها الدين .

ويدلل على ذلك أنهم يتداولون فيما بينهم عددًا من الأحاديث المنسوبة للرسول "صلى الله عليه وسلم" تذكر الترك ذكرًا حسنًا .

ومن ذلك ما ذكره "محمود الكاشغرى" (القرن السابع الهجرى / الحادى عشر الميلادى) فى كتابه "ديوان لغات الترك" أنه "صلى الله عليه وسلم" قال : تعلموا لسان الترك فإن لهم ملكًا طوالاً .

ومنها أيضًا أن الله تعالى أخبر رسوله الكريم : "إن لى جنودًا سميتهم الترك وأسكنتهم المشرق ، فإذا غضبت على قوم سلطتهم عليهم" ... إلى غير ذلك .

ومن المعروف أن إيران كانت المهد الذى تمت فيه حركات التصوف الإسلامية ، وكانت خراسان بشكل خاص من أهم مراكز التصوف فى العالم الإسلامى .

وكان لموقع "خراسان" الأثر الكبير فى إنتشار مبادئ التصوف فى بلاد ما وراء النهر ، خاصة بعد أن أسلم معظم الأهالى فى تلك البقاع .

وكما كثر كبار المتصوفة فى مدن كبيرة فى فارس وما حولها مثل: هراة ونيسابور ومرو فى القرن الثالث الهجرى ، بدأنا نسمع عن عدد من المتصوفة يظهرون أيضاً فى كل من بخارى وسمرقند وفرغانة من مدن ما وراء النهر .

ولم يقف الأمر عند ذلك ، بل يلفت النظر انتشار التصوف فى أماكن كثيرة من بقاع آسيا الوسطى حتى وعته طوائف البدو والفلاحين .

ونذكر فى هذا الخصوص مولانا "جلال الدين الرومى" (ت ٦٨٨هـ) الذى أسس الطريقة المولوية ، ووجدت لها صدى كبيرًا بين الأتراك . وإذا كان "جلال الدين الرومى" قد ألف بالفارسية ، فإن ابنه "سلطان ولد" (ت ٧١٢هـ) قام بدور كبير فى سبيل نشر طريقة والده بين الأتراك حينما أخذ يترجم المعانى والأفكار الصوفية التى جاء بها والده إلى اللغة التركية مما ساهم فى ازدياد إقبال الناس على هذه الطريقة بشكل كبير .

ولعل المتصوف التركى الكبير "أحمد يسوى" (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) خير مثال نقدمه على المتصوفة الأتراك الأول الذين ساهموا بصورة كبيرة فى انتشار الأفكار الصوفية بين معظم الأتراك .

ويذكر لهذا المتصوف أنه أسس أول طريقة صوفية تركية خالصة فى تلك البلاد مازال لها أتباع ومريدون حتى وقتنا هذا . كما يُذكر له أيضًا أن أتباعه هم الذين أحلوا اللغة التركية محل اللغة الفارسية فى مجالسهم الصوفية .

ويحسب للمتصوفة الأتراك فى آسيا الوسطى الكثير من الفضل فى حياة المنطقة بأسرها ، نذكر منها : -

- ساهم المتصوفة فى نشر الدين الإسلامى بين السكان المحليين والمعروف أن المتصوفة فى وسط آسيا لم يكونوا ليستقر بهم المقام فى مكان واحد ، بل كانوا دائمى التنقل والترحال ، تاركين أوطانهم وأهلهم ليجوبوا المدن والقرى والفيافى والجبال ليبلغوا رسالة الإسلام الخالدة . وكانت أهم المبادئ التى يوجهون إليها أنظار الأتباع والمريدين هو التغيير الكبير الذى يتولد فى ذهن الانسان وفكره وحياته عندما يعرف الله عز وجل حق معرفته ويعبده حق عبادته وينظم حياته على أساس تعاليم الله الخالدة التى جاء بها رسولنا الكريم "صلى الله عليه وسلم" .

- كذلك ساعد المتصوفة فى مقاومة الغزاة بدءاً من المغول قديمًا حتى الروس فى عصرنا الحاضر . وتاريخ آسيا الوسطى ملىء بأخبار البطولات التى تحققت على أيدى كبار المتصوفة الذين لم يكونوا بعيدين عن خوض غمار المعارك بل وقيادتها وتحقيق انتصارات باهرة فيها .. وهذا وغيره مما نتركه للقارئ ليتبينه هنا من خلال هذا البحث .

وبعد ...

فإنه على الرغم من الأبحاث والكتب الكثيرة التى تناولت أو طرقت هذا الموضوع من قريب أو بعيد ، إلا أننا نرى أنه من الموضوعات المهمة التى تحتاج

إلى مزيد من الأبحاث وخاصة الجادة والتى نأمل أن تكشف عن جوانب أو أفكار جديدة لم تطرق من قبل فيما يتعلق بالدور الكبير الذى لعبته الطرق الصوفية فى منطقة وسط آسيا .

ومن هنا تأتى أهمية هذا البحث الذى نقدم له هنا للسيدة الدكتورة/هدى درويش – مدرس الأديان المقارنة بمعهد الدراسات والبحوث الأسيوية بجامعة الزقازيق ، والمعروفة بين الباحثين بالنشاط والجد فى العمل ، كما يحسب لها الحماس الذى تتسم به فى تناول الموضوعات الشائكة والمعقدة . ولا شك أن هذا البحث يضيف جديدًا إلى المكتبة العربية فى هذا الخصوص ، ونأمل أن يكون فاتحة لموضوعات أخرى جادة تتناول الإسلام والمسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز . والله الموفق إلى سواء السبيل .

أ.د. عبدالعزيز محمد عوض الله
أستاذ ورئيس قسم اللغة التركية وآدابها
كلية الدراسات الانسانية – جامعة الأزهر

المقدمة

أن الأجيال المسلمة الحالية تحتاج وبشدة إلى الإحاطة بتاريخنا الإسلامى العظيم وكيفية دخوله إلى المناطق البعيدة مع الاختلاف فى الثقافات واللغات والتاريخ ؛ وقد بدأ الاهتمام بفتح بلاد ما وراء النهر فى زمن الفاروق عمر بن الخطاب "رضى الله عنه" حيث وجه إليها حملة بقيادة سراقة بن مالك – صاحب سوارى كسرى – علم ١٨هـ .

وفى عهد عثمان بن عفان "رضى الله عنه" كان الصحابة "رضى الله عنهم" يتقدمون كتائب الفتح الإسلامى للمرابطة على ثغورها فى أذربيجان وأرمينيا وجورجيا ، فى ذلك الوقت أرسلوا إلى عثمان رضى الله عنه يخبروه باختلاف القراء فى تلك المناطق فى كلام الله ، فقام عثمان "رضى الله عنه" بتوحيد المسلمين على المصحف الإمام وأرسل نسخة منه إلى كل مصر من الأمصار الإسلامية وظل المصحف المرسل من عثمان إلى هذه الديار حتى وقع فى يد الملاحدة بعد قيام الثورة البلشفية .

ثم تواصلت تجهيزات الفتح الإسلامى ، وظلت تتابع زحوفه وراياته إلى عام ٧٥هـ حين عين عبدالملك بن مروان الحجاج بن يوسف واليًا على العراق ، فجهز الحجاج جيشًا جرارًا بقيادة عمه القائد المسلم محمد بن القاسم ، فاكتسح البلاد فاتحًا ، ووطن الإسلام فى تلك الديار وامتدت فتوحاته من بخارى إلى سمرقند ، ومن فرغانة إلى السند ، من ثم لقب "بطل السند" .

ثم خلفه قتيبة بن مسلم الباهلى البطل الإسلامى والمجاهد الشجاع فتوغل فى بلاد السند وخراسان وتركستان حتى وصل إلى أطراف الصين وأقسم على نفسه ليدخلن الصين فاتحًا ، وليطأن بقدمه جميع أرضها ، فهابه ملوك الصين ، ولا زال التاريخ يحكى لنا الرسالة التى بعث بها إمبراطور الصين إلى القائد الفاتح قتيبة بن مسلم وقال فيها : "قد علمنا عزمك أن تطأ بقدمك أرض الصين ، وقد جمعنا لك ترابا من شتى بقاع أرضها لتضع عليها قدمك وتبر بقسمك ، والتزم له بدفع الجزية .

وما كاد الإسلام يستقر فى تلك البلاد حتى انتشر بسرعة هائلة . فأمن أهلها وأخلصوا له ، وظهرت على الفور مدن إسلامية أخذت صفة العالمية فأصبحت قلاعًا حصينة للإسلام وموئلاً لنشر علومه فى مختلف الفنون . وقصدها الطلاب والباحثون من جميع بقاع الدنيا ، ونبغ منها عمالقة العلم ، فلا نكاد نقرأ اسم مدينة أو إقليم منها إلا وقد ارتبط اسمها بعالم من علماء الإسلام الأفذاذ أمثال البخارى

والترمذى والخوارزمى والطبرى وابن سينا الذى ظل كتابه العالمى المشهور (القانون) مرجعًا فى الطب لبلدان العالم أكثر من سبعة قرون . وغير هؤلاء كثير .

كما أنجبت هذه الديار الكثير من القادة الفاتحين الذين كان لهم فضل إيقاف الزحف المغولى عن ديار الإسلام أمثال الظاهر بيبرس وقطز، كما انحدرت من هذه الديار سلالة سلاطين آل عثمان مؤسسو الخلافة العثمانية وأصحاب فتح القسطنطينية الذين اتخذوا من تركيا دارًا للخلافة الإسلامية .

والجدير بالذكر أن الفضل الأساسى فى تكوين هوية المسلمين فى آسيا الوسطى يرجع إلى التصوف ورجاله الذين حملوا على عاتقهم مهمة تبليغ الدعوة الإسلامية إلى تلك البقاع .

فقد قام المتصوفون الأوائل الذين ظهروا فى تلك المناطق ببث روح الجهاد والنضال من أجل رفع راية الإسلام وتثبيت دعائم العقيدة الإسلامية فى قلوب شعوب هذه المناطق فى سبيل الحفاظ على إسلام المنطقة ضد الاستعمار الروسى الذى وجه كل ما لديه من وسائل لمحو الهوية الإسلامية وهدم الإسلام فى هذه الشعوب زهاء سبعين عاما قضاها الشعب المسلم فى تلك المناطق تحت سيطرتهم وأحكامهم القاسية.

وقد تجلى فضل هؤلاء المتصوفة الكبار الذين أنجبتهم هذه المنطقة أمثال محمد بهاء الدين نقشبند مؤسس الطريقة النقشبندية التى كان لها دورها الفعال والمؤثر على الشعب المسلم فى المنطقة ، وأحمد اليسوى شيخ الطريقة اليسوية التى امتدت فروعها فى كل مناطق آسيا الوسطى والقوقاز ، وجهود الطريقة القادرية وأتباعها فى المنطقة ، والطريقة الكبروية التى انتشرت فى بقاع المنطقة على يد مؤسسها نجم الدين الكبرى .

وظهرت فاعليات هذه الطرق فى المنطقة بشكل كبير حتى إنه لم يكن يوجد شخص مسلم فى المنطقة إلا وينتسب إلى إحدى هذه الطرق .

وكان نشاط هذه الطرق ينحصر فى نقطتين أساسيتين هما :

- تربية الفرد المسلم تربية روحية وفكرية منظمة ، وخلق إرادة إيمانية فى نفس كل مؤمن والارتقاء به إلى أعلى مراتب الإسلام ومحاولة الوصول به إلى رتبة الإنسان الكامل .

- النقطة الثانية هى العمل على تكوين مجتمع إسلامى منظم تنظيمًا مثاليًا بحيث يصبح كل شخص فى المجتمع متمما للآخر فينتج عنه مجتمع إسلامى منظم يرتضيه الله.

ومن الثابت تاريخيًا أنه ظهر فى منطقة آسيا الوسطى جنود متصوفة متطوعون قاموا بالذهاب إلى تلك البلدان التى لم يكن الإسلام قد وصل إليها بعد؛ فامتزجوا بأهلها وعايشوهم واستطاعوا من خلال معايشتهم ومعاملتهم معهم اللينه وأسلوبهم المقنع نشر الإسلام وتبليغه وبهذا يكونوا قد أعدوا أرضية مناسبة لتقبل الفتح الإسلامى بشكل رسمى فى هذه المناطق . وكان شعار هؤلاء المتصوفة هو فتح القلوب للإسلام بشكل ميسر يبهج القلوب ولا ينفرها ، وقد استطاعوا بالفعل استمالة قلوب الناس إليهم فوصلت عظمة الإسلام وجماله إلى الأمم غير المسلمة.

ويوضح المستشرق ت . و . أرنولد فى كتابة "تاريخ انتشار الإسلام "ان أهل التصوف حققوا نتائج عظيمة فى زمن قصير ، وان انتشار الإسلام فى العديد من الأماكن فى العالم كان بفضل هؤلاء المتصوفة" .

وإلى جانب قيام هؤلاء المتصوفة بتبليغ الدعوة الإسلامية بين الناس فقد كانوا يقفون بالمرصاد ضد خطر أى عدوان خارجى أو داخلى يهدد الإسلام واستقراره ، وبهذا أخذت هذه الطرق شكل المؤسسات الدفاعية ضد الأخطار التى يتعرض لها مسلمو تلك المناطق .

ومثال على هذا انه أثناء احتلال المغول لمنطقة آسيا الوسطى لم يجد المسلمون ملاذًا وملجأ يحتمون به سوى الطرق الصوفية التى كانت بمثابة المدافع عنهم ضد أى عدوان ، وكانت أكثر الطرق المنتشرة بينهم الطريقة النقشبندية واليسوية والكبروية ، وقد لعبت تلك الطرق وخاصة الطريقة اليسوية دورًا مهمًا فى أسلمة القبائل المغولية والتركية التى كانت تحت سيطرة الجيش الأحمر .

ويقول المستشرق "أ. بنيجسين "إن الطرق الصوفية حافظت بشكل كبير على الإسلام فى وسط آسيا ، فقد قام أتباع تلك الطرق بالتصدى لهجمات الكفار هناك ، وحملوا على عاتقهم مهمة التبليغ والدعوة الإسلامية" .

وكما حدث فى الماضى حيث لم يجد أهالى آسيا الوسطى ملجأ ولا ملاذًا لهم سوى الطرق الصوفية أمام الغزو المغولى فقد حدث نفس الشئ بعينه فى العصر الحديث عندما وقعت تلك المناطق فى قبضة الحكم الروسى فلم يجد الأهالى أمامهم

سوى حماية رجال التصوف للتصدى لهذه القوى حيث قام أرباب الطرق الصوفية بالكثير من الثورات ضد المحتلين الروس .

ونستطيع القول بلا مبالغة أن تاريخ آسيا الوسطى منذ القرن الثانى عشر الميلادى وحتى الآن يغلب عليه ويحكمه نشاط الطرق الصوفية .

وفى هذه البلاد - بلاد ما وراء النهر - انتشرت أكثر من خمسة وأربعين لغة وأغلب مسلميها يتبعون مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان (رضى الله عنه)، وكذا مذهب الإمام الشافعى (رضى الله عنه) ويشكل الغالبية العظمى خصوصًا فى الشيشان وداغستان .

وظل الإسلام الحنيف يسود هذه الديار فى العهدين الأموى والعباسى ، وازداد انتشارًا فى عهد الدولة العثمانية ، فقد انتشر الأتراك سواء القادة والفاتحون أو العلماء والدعاة الذين دخلوها تجارًا ودعاة فرأى الناس فيهم القدوة الحسنة فدخلوا فى دين الله أفواجًا .

واستمر جهاد المسلمين ضد أعداء الإسلام حتى جاءت الثورة الشيوعية البلشفية الإلحادية بقيادة لينين عام ١٩١٧م.

وبعد سقوط الإتحاد السوفيتى استقلت الكثير من الدول ولا تزال آثار العهد الشيوعى الغاشم باقية . غير أن الإسلام بدأ يستعيد موقعه فى تلك الديار رغم الأهوال التى لقيها هناك ، فلا تزال جذوة الإسلام المباركة باقية تتوارثها الأجيال وندعو الله ان يمكن لدينه ودعوته ويجمع كلمة المسلمين على الحق .

إن حلقات التآمر على الإسلام كثيرة وطويلة ومتتالية وشديدة . وهذه المنطقة هى إحدى المناطق التى نسج أعداء الإسلام فيها حلقات طويلة من أجل إلغاء الهوية الإسلامية منها .

فبعد انهيار الاتحاد السوفيتى وتفككه عام ١٩٩١م حصلت جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز المسلمة على استقلالها . ولكن روسيا الاتحادية لم تشأ أن تدع هذه الجمهوريات وشأنها ، بل سعت بكل قوة إلى احتوائها والحيلولة دون نشوء تكتل إسلامى حقيقى فى هذه المنطقة .

وقد تنوع أسلوب الاحتواء الذى انتهجته روسيا إزاء هذه الدول تبعًا لحالة كل دولة ومدى الأخطار المحتملة من جانبها :

- فدولة قوية مثل قازاقستان اتبع معها أسلوب هادئ يهدف إلى إضعافها بتجريدها من القوة النووية التى تمتلكها ونقلها إلى روسيا عن طريق ممارسة الضغوط الروسية الأمريكية والتلويح بالمساعدات الاقتصادية .

- ودول أخرى مثل أوزبكستان وتركمانستان و طاجيكستان وقيرغيزستان ... وغيرها اختير لها أسلوب الإبقاء على القيادات والهياكل الشيوعية التى كانت تحكم هذه البلاد إبان الحكم الشيوعى ولا تزال تدين بالولاء لموسكو ؛ إذ إن بقاءها كفيل بتحقيق الأهداف الروسية

- أما أذربيجان ذات التيار الإسلامى القوى نسبيًا فقد اختير لها أسلوب الحرب للوقوف ضد هذا التيار ... وكان النزاع بين أرمينيا النصرانية وأذربيجان المسلمة أرضًا خصبة لوضع بذور كثيرة للمؤامرة الدولية ضد البلد المسلم .

وقد اجتهدت الشيوعية من قبل ومن جاءوا بعدها فى تشويه صورة الإسلام فى تلك المناطق وفى غيرها . فهم يتهمون الدين الإسلامى بأنه دين رجعى ؟! ويزعمون أنه يدعو إلى استرقاق الإنسان لأخيه الإنسان ؟! كما رموه بتقصيره فيما يتعلق بتنظيمه للحياة الاقتصادية ... وغير ذلك الكثير من أباطيلهم .

ويمكن القول أن هذا العداء للإسلام ليس لسبب إلا أن الإسلام يقف حجر عثرة فى طريق سيطرة هؤلاء المعادين له على هذه البلدان المسلمة.

بالإضافة إلى تصرفات عامة قام بها أعداء الإسلام فى تلك الدول المستقلة عن روسيا منها تعمد جعل المسلمين أقلية بتهجير عدد كبير من غير المسلمين إليها . كما توجهت أيضًا تلك المؤامرات على الإسلام إلى المساجد – باعتبار المسجد هو المدرسة التى يخرج منها كل من ينادى برفعة الإسلام وعزته – فاستباحوا المساجد واتخذوها مسارح للهو وإسطبلات للخيل ... كما قاموا بجمع نسخ القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأحرقوها فى الميادين العامة وبطشوا بكل من يريد المقاومة ، ونكلوا بالشباب الأقوياء ، ونشروا الخوف والفزع بين العاملين والفلاحين. فأقفرت الديار وأحرقت المزارع وعمت المجاعة واشتدت قسوة الجوع على الناس .

أما العلماء .. فقتلوا ، وشرّدوا ، وأهينوا ، حتى لم يبق منهم فى عام ١٩٥٥م إلا ٨٠٥٢ ثمانية آلاف واثنين وخمسين عالمًا لا يقدرون على تحريك أى ساكن وهم من بقايا ما قبل الثورة البلشفية .

والإسلام فى هذه المناطق يلاقى عنتاً شديدًا ومصاعب عظيمة فى طريق وجوده المطلوب وهو ما يلقاه الإسلام فى غيره من البلدان ومثال ذلك حدث فى أذربيجان عندما تصاعدت حدة المعارك بين هذا البلد الإسلامى وأرمينيا بدعم روسى وأمريكى.

وفى العصر الحديث نجد رجالاً عظامًا حملوا راية الجهاد ضد من تمتلئ قلوبهم حنقاً على الإسلام واستطاعوا بحق وبرغم كل المصاعب والعثرات تثبيت الأقدام الإسلامية فى تلك المناطق بأقل الإمكانيات فى أحلك الظروف ، فجاء هذا الكتاب لبيان حال المسلمين فى مناطق آسيا الوسطى وكيف دخل إليها الإسلام، وكيف كان حالهم طوال التاريخ الإسلامى، وكيف كال أعداء المسلمين لهم من أنواع الظلم والقهر، وكيف هو حالهم اليوم ؟!! آملين أن يقوم المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها على رفعة الإسلام فيها، وأن ينظر إليها المسلمون اليوم مثلما نظر إليها مسلمو الأمس ؛ فالمسلمون بها اليوم يحتاجون إلى رعاية فى كل الجوانب وخاصة جانب الثقافة الإسلامية ؛ فهؤلاء المسلمون ساهمت ظروف كثيرة وصعبة فى إشغالهم بالقهر والظلم عن العلوم الإسلامية والفقه الإسلامى .

وأرجو ان أكون قد وفقنى الله فى تقديم هذه الدراسة المتواضعة والتى تناولت فيها الدور الإيجابى لرجال التصوف الذى قدموه للإسلام فى تلك المنطقة ، آملة أن تظهر دراسات أكثر تفصيلاً وعمقاً وفائدة فى هذا الموضوع الذى يشق على الباحث العمل فيه لندرة مراجعه .

والله من وراء القصد.

د. هدى درويش

الفصل الأول

دخول الإسلام وانتشاره فى بلاد ما وراء النهر (آسيا الوسطـــى)

تمهيد : العقائد الدينية القديمة فى آسيا الوسطى

المبحث الأول : بدايات الفتح الاسلامى للمنطقة - قتيبة بن مسلم والفتح الحقيقى للاسلام - فتح بيكند - فتح بخارى - العوامل التى ساعدت قتيبة فى نشر الاسلام فى المنطقة

المبحث الثانى : سياسة الأمويين فى آسيا الوسطى بعد قتيبة - عهد عمر بن عبدالعزيز فى آسيا الوسطى - عهد هشام بن عبدالملك

المبحث الثالث :عهد الدولة العباسية فى آسيا الوسطى - آسيا الوسطى تحت حكم الطاهريين - الدولة السامانية - الدولة الغزنوية

الفصل الأول

دخول الإسلام وانتشاره فى بلاد ما وراء النهر (آسيا الوسطـــى)

التعريف الجغرافى لمنطقة آسيا الوسطى : هى المنطقة الممتدة من بحر قزوين غربًا حتى حدود الصين شرقًا يحدها من الشمال سيبريا ومن الجنوب إيران وأفغانستان (١) . ومنطقة ما وراء النهر تقع شمالى نهر جيحون الذى يفصل بين أفغانستان والاتحاد السوفيتى . وقد أطلق الجغرافيون اسم ما وراء النهر على المنطقة المحصورة بين نهرى سيحون وجيحون .

أما التعريف التاريخى للمنطقة فهى تعرف باسم منطقة تركستان وتعنى أرض الأتراك. وتركستان قسمان: تركستان الغربية التى كانت خاضعة للاستعمار الروسى، وتركستان الشرقية التى تخضع للاستعمار الصينى الشيوعى. وكلمة تركستان محظور استخدامها فى الاتحاد السوفيتى واستبدلت بآسيا الوسطى، أما تركستان الشرقية فهى محظور استخدامها أيضاً واستبدلت بكلمة صينية هى "سين كيانج" بمعنى المستعمرة .

وتركستان الغربية (آسيا الوسطى) تضم الدول التى استقلت عن الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٩١م وتشمل قازاقستان، طاجيكستان ، قيرغيزستان، تركمانستان ، أوزبكستان ، أذربيجان التى تقع فى منطقة القوقاز غرب بحر قزوين(٢) .

وتبلغ مساحة تلك الدول الست ٤,١ مليون كم٢ . أما عدد سكانها فيصل إلى حوالى ٦٥ مليون نسمة طبقًا لتقديرات سنة ١٩٩٨م . وأكبر هذه الدول من حيث المساحة قازاقستان التى تبلغ مساحتها ٢,٧ مليون كم٢ .

---

(١) و. بارتولد ، تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦م ، ص٤٠ .

(٢) ومنطقة القوقاز يحدها بحر الخزر شرقا والبحر الأسود غربًا وتمتد بينهما سلسلة جبال القوقاز خصها الله بجمال الطبيعة والمراعى الخضراء الواسعة وكثرة الأنهار ومركزها

يسود المذهب الحنفى السنى جميع هذه الجمهوريات ماعدا أذربيجان التى يشيع فيها المذهب الشيعى .

ومن ناحية اللغة فتتكلم هذه المناطق بلهجات محلية متشعبة من التركية عدا طاجيكستان التى تتكلم الفارسية رغم ان الطاجيك أهل سنة .

وقبل الإسلام كانت منطقة آسيا الوسطى يسكنها جماعة من الأتراك وفدوا إليها فى القرن السادس الميلادى، وكونوا لهم هناك عدة ولايات، وانتشرت فيها ثقافات إيرانية وصينية ، وظهرت فيها الديانات الزرادشتية والكونفوشيسية والبوذية وعبادة النار، كما برزت فيها طبقة من رجال الدين سموا بالدهاقين. وبسبب وجود الأتراك فى هذه الأماكن سميت تركستان وهى الأراضى الواقعة جنوب نهر جيحون . وتضم الامارات والممالك التالية :

مملكة طخارستان على جانبى نهر جيحون وعاصمتها بلخ(١) .

مملكة صغانيان، وتقع شمال نهر جيحون، وعاصمتها شومان .

مملكة الصغد وهى تمتد من نهر جيحون إلى سيحون وعاصمتها سمرقند وأهم مدنها بخارى .

مملكة فرغانة على جانبى نهر سيحون وعاصمتها جخندة أو كاشان أو أخسيكث، وكان ملكها يلقب بالإخشيد وهو اللقب الذى أطلق على الإخشيد مؤسس الدولة الإخشيدية بمصر لصلة نسبه بهذه البلاد .

مملكة خوارزم بالقرب من بحر خوارزم وعاصمتها الجرجانية .

مملكة أشروسنة فى الشرق من فرغانة ، ولقب ملكها الأفشين ومنها انحدر بعض المماليك الذين آل لهم السلطان فى عصر ضعف الخلافة العباسية بعد الواثق، وقصبتها بنجكث .

مملكة الشاش فى شمال نهر سيحون وعاصمتها الطارنبذ أو بنكث.

ولم تكن هناك حدود ثابتة لهذه الممالك ، بل كان العدوان بينها يكاد يكون مستمرا ، وكذلك كانت هذه البلاد عرضة لعدوان من المناطق المجاورة لها وبخاصة من الصين (١) .

---

(١) و. بارتولد ، تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦م ، ص٤٠ .

تمهيد : العقائد الدينية القديمة فى آسيا الوسطى:

قبل ظهور الإسلام كانت عبادات تلك المناطق تتركز فى الزرادشتية التى تؤمن بوجود إلهين؛ إله الخير أو إله النور-، وإله الشر أو إله الظلمة. ويظل هذان الإلهان فى حالة صراع حتى ينتصر إله الخير أو النور على إله الشر أو الظلمة وكان لهذه الديانة انتشار كبير فى إيران .

كما انتشرت العقيدة الكونفوشيسية ديانة الصين وشرق آسيا وتنسب إلى مؤسسها كونفوشيوس وهى عقيدة شفهية غير مكتوبة تدعو للفضيلة.

أما العقيدة البوذية فقد انتشرت فى تلك المناطق وتدعو إلى الزهد وتطهير النفس وقتل الشهوات ، وترجع إلى مؤسسها بوذا وقد تطورت هذه الديانة بعد موت بوذا إلى الاعتقاد بألوهيته ، حيث صنعوا له تماثيل انتشرت فى معابدهم وعبدوها فتوجهوا إلى عبادة الأصنام والأوثان .

وفى القوقاز كانت تتركز عبادتها فى الشامانية التى تتمثل فى تقديس الظواهر الطبيعية كالشمس والقمر والهواء ، و يعتقدون بخلود الروح وأبديتها وتتمثل عندهم فى إكرام الموتى وتقديم الضحايا لأرواحهم إلى جانب عبادة الاشجار . حتى انتشرت المسيحية فكانت ديانتهم تختلط بين الوثنية والمسيحية حتى دخول الإسلام(٢) .

ومن العقائد التى انتشرت فى آسيا الوسطى قبل الإسلام ديانة المانوية التى انتشرت بين شعوب تلك المناطق وكانت تعاليمها تتجه ضد نظام الطبقات الذى كانت تحتفظ به الديانة الزرادشتية وكانت هذه الديانة قريبة الشبه بالديانةالزرادشتية فكانتا تتقاربان فى استخدام المصطلحات الخاصة بنصوصهم الدينية ، وتغلب على العقيدة المانوية طابعها التشاؤمي(٣).

أما عن ظهور الإسلام فى تلك المناطق فتقول بعض المصادر أن الرسول "صلى الله عليه وسلم" كتب خطابًا إلى الترك يدعوهم فيه إلى الإسلام وأنه عليه الصلاة

---

(١) و. بارتولد، تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، مرجع سابق ، ص٤٠، أحمد شلبى، موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، ج٨، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٥٨٢، ٥٨٣ .

(٢) محمود عبدالرحمن ، تاريخ القوقاز ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٩٩م ، ص٣٢ .

(٣) انظر و. بارتولد ، مرجع سابق ، ص٧٠ – ٧٢ . والسيد محمود ابو الفيض،الدين المقارن،نهضة مصر، القاهرة،١٩٩٠م،ص١٠٠

والسلام كتبه "باللغة التركية" إلا أن هذه المصادر ليست مؤكدة.وقد جاء مصدر هذه المعلومة فى نسخة خطية من كتاب ابن الأثير " أسد الغابة" (١) .

ومن ناحية أخرى فهناك طائفة من الأحاديث النبوية تتعلق بالترك وسمات الجنس التركى وردت فى كتب الحديث مثل صحيح البخارى وصحيح مسلم وسنن النسائى وأبى داود مما يظهر معرفة العرب بهم(٢).

المبحث الأول : بدايات الفتح الاسلامى للمنطقة:

فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب قام العرب بفتح "خراسان" عام ١٨هـ. ولإقليم خراسان أهميته الإستراتيجية ؛ حيث إنه يعد مفتاح إقليم بلاد ما وراء النهر وكان لها دورها فى التمهيد لنجاح الفتوح العربية باعتبارها قاعدة عربية منظمة تنظيمًا ثغريًا حيث ظلت خاضعة لهذا التنظيم طوال الفترة من ٣١هـ إلى ٨٦ هـ ، وكانت خراسان - أيضًا - قاعدة تخرج منها الغزوات الخاطفة على الإمارات التركية فى آسيا الوسطى فى موسم معين وهو موسم الصيف بينما تعود فى موسم الشتاء إلى قاعدتها الأساسية وهى "مرو" وذلك بسبب الطبيعة المناخية الحادة وبرودتها الشديدة .

وقد بدأ احتكاك المسلمين بمنطقة آسيا الوسطى بعد الانتهاء من فتح إيران. وكان أول اتصال لسكان تركستان السفلى بالعرب المسلمين فى عام ٢٢هـ -٦٤٢م مع الجيوش العربية فى عهد عمر بن الخطاب "رضى الله عنه" التى تقدمت بقيادة "الأحنف بن قيس التميمى" من ضفاف نهر جيحون بعد مطاردته للملك الفارسى يزدجرد وكانت هذه العلاقات فى حالة حرب حينًا وفى حالة سلم أحيانًا أخرى (٣).

وتقول الروايات أن "معاوية بن أبى سفيان" أرسل "ابن عامر" واليًا على خراسان للمرة الأولى ،-وهو الذى عبر نهر جيحون (٦٥١م) لابسًا ملابس الإحرام(٤) .

---

(١) ذكر هذا الخطاب الدكتور اسماعيل حقى المعروف بالأزميرلي وهو من علماء الكلام فى تركيا من خلال بيانه الذى ألقاه فى المؤتمر الثانى للمجمع التاريخى التركى والذى يحمل عنوان "الرسول والترك" ص١٠١٧ .

وانظر فى هذا أيضًا ابن الأثير ، أسد الغابة ، مصر ، ١٢٨٠ ، ج٤ ، ص١٣٩ – ١٤٠ .

(٢)Zekeriye Kitapci, Hz. peygambe Hadislerinde Turkler, Belleten, Ankara, ١٩٨٤، ٤١٨-٤١٥.

(٣) محمد بن جرير الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، بيروت ، ج٣ ، ص٥٠٤ .

(٤) البلاذرى، فتوح البلدان، ج٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص٥٠٤.

بالإضافة إلى ذلك فقد بدأت الاهتداءات الأولى للإسلام فى تركستان بأسرى الحرب والعبيد والجوارى والترك الذين جلبهم العرب من الغارات التى كانوا يشنوها على هذه المناطق ، وقد أطلق على هؤلاء فيما بعد "الموالى" ، وخرج من بينهم رجال الدولة والعلماء والفلاسفة ، وقد تلقى هؤلاء تربية إسلامية صحيحة .

وفى عام ٣١هـ أرسل عثمان بن عفان "رضى الله عنه" عامله على البصرة عبدالله بن عامر لمهاجمة أهل خراسان ، وكانت تتبع إيران وأفغانستان وجزء منها فى الاتحاد السوفيتى ، واشتبك مع أهالى مرو عاصمة خراسان وحاصرهم وأرغمهم على طلب الصلح، وقد عبر "الأحنف بن قيس" نهر جيحون فصالحه أهالى بلاد ما وراء النهر واستخلف قيس بن الهيثم على هذه البلاد .

وفى سنه ٤٢هـ ولى معاوية "قيس بن الهيثم" على بلاد خراسان بعد أن نقضوا الصلح وسار قيس إلى "بلخ" وخرب معبدها فطلب أهلها منهم الصلح فأجابهم ثم ولى معاوية "عبيد الله بن زياد" ، خراسان فوصل إلى "بيكند" وأرغم خاتون - أميرة بخارى - على طلب الصلح فاستنجدت بالترك فأرسلوا جيشًا هزمه المسلمون فاضطرت خاتون لطلب الصلح ، ودخل المسلمون بيكند ، ودخل المسلمون بخارى بقيادة سعيد بن عثمان ، ودخلوا سمرقند بعد قتال عنيف ، وظفروا بثلاثين ألف لسير من الشباب أغلبهم من العنصر التركى المحارب (١) .

وفى عام ٤٥ هـ ولى زياد بن أبى سفيان "الحكم بن عمرو الغفارى" على خراسان فى عهد معاوية بن سفيان وقام الحكم بفتح "العفانيان" سنه ٤٨ هـ وهو أحد أقاليم ما وراء النهر .

وفى سنه ٥٣ هـ ولى معاوية بن أبى سفيان خراسان "عبيد الله ابن زياد".

ومع عهد معاوية ظهرت جاليات تركية وفدت إلى المنطقة جاءت من دمشق والبصرة كعبيد . بعد ذلك ظهرت نار العصبية بين أفراد البيت الأموى، وظهر العداء بين اليمنية والمضرية حيث أثرت هذه العصبية على منطقة خراسان بشكل كبير .

وفى عام ٥٤ هـ غزا "عبدالله بن زياد" خراسان وقطع نهر جيحون إلى بخارى على الإبل؛ فكان أول عربى قطع النهر وافتتح بعضًا منها(٢).

---

(١) ابن حبيب ، أسماء المغتالين نوادر المخطوطات القاهرة ، ج٦ ، ص١٦٧ ، وانظر أيضا البلاذرى ، ج٣ ، ص٥٠٨ ، واليعقوبى ، البلدان ج٢ ، ص٢٣٧ .

(٢) كمال السعيد ، مرجع سابق ، ص١٢ .

وفى عام ٥٦ هـ ولى معاوية "سعيد بن عثمان بن العاص" خراسان فغزا سمرقند وصالحته خاتون ملكة بخارى (١) .

وفى عام ٥٩ هـ غزا بالمسلمين أبو المهاجر ونزل على قرطاجنة.

وفى عام ٦١هـ ولى يزيد بن معاوية ، "مسلم بن زياد" على خراسان فكان له السبق فى دخول خراسان وقتالها فى الشتاء . وغزا خوارزم فصالحوه على أربعمائة ألف درهم كما صالحه أهل سمرقند (٢) .

وفى عهد "ولاية ربيع بن زيد" على خراسان (٦٧١م) وطن فى "مرو" خمسون ألفا من الأسر العربية .

وفى عهد عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م) أسند الحجاج بن يوسف ولاية خراسان إلى "المهلب بن أبى صفرة" فقام بكثير من الفتوح ثم تلاه يزيد بن المهلب والمفضل بن المهلب .

ثم خلفه "المغيرة بن المهلب" سنه ٨٢هـ ثم ولى من بعده الحجاج ابنه "يزيد" واليًا على خراسان فغزا خوارزم ودار الكثير من الصراعات والمؤامرات فسعى الحجاج لدى عبدالملك بن مروان إلى تولية "قتيبة بن مسلم" على خراسان .

وكانت هذه الفتوحات حتى ذلك الوقت تأخذ شكل الغزوات الخاطفة التى تعمل على منع غارات الترك على تلك المناطق ولم تأخذ شكل الفتح الإسلامى المستقر ؛ حيث إن هذه المناطق كانت تعود سريعًا إلى ما كانت عليه من عبادة النار والأصنام والبوذية وغيرها حتى دخل هذه المناطق القائد المسلم العظيم قتيبة بن مسلم .

قتيبة بن مسلم والفتح الحقيقى للاسلام :

كان "قتيبة" من باهلة إحدى بطون قيس، وصل إلى مرو سنة ٨٥هـ. وكانت هذه السنة هى الفيصل بين الغزوات السريعة الخاطفة وبين تحرك الجيوش العربية تحركًا منظمًا .

وفى عام ٧٦ هـ ولى الحجاج ، "قتيبة بن مسلم" على خراسان الذى خرج إلى بلخ فلما عبر نهر جيحون قابله ملكها وأهدى إليه كثيرًا من الهدايا وسلمه البلاد .

(١) النرشخى ، تاريخ بخارى ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص٦٦ .
(٢) كمال السعيد ، مرجع سابق ، ص١٣ .

وفى عهد "الوليد بن عبدالملك" (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) اتسعت الفتوح، واشتهر فى ذلك العهد ثلاثة من القواد كان لهم أعظم الأثر فى نشر الإسلام فى تلك المناطق وهم "قتيبة بن مسلم الباهلى" ، و"محمد بن القاسم بن محمد الثقفى" ، و"موسى بن نصير" ([1]) .

وفى سنة ٨٧هـ غزا قتيبة "بيكند" وقاتل أهلها قتالاً شديدًا وهزمهم فطلبوا منه الصلح فأجابهم ، إلا أنهم انتهزوا فرصة غيابه فقاموا بقتل عامله فرجع إليهم وهزمهم وغنم منهم مغانم كثيرة ، ثم عاد إلى "مرو" وعين عليها أخاه "بشار بن مسلم" وواصل فتوحاته فسار إلى بخارى وفتحها .

وكان قتيبه يلزم أهالى بخارى بإمداده بقوة إضافية من الجيوش المحلية للخدمة مع الجيوش العربية .

وفى سنة ٩٣هـ فتح قتيبة مدن "خوارزم" صلحًا ، ثم فتح "سمرقند" بعد قتال شديد وولى عليها "عبدالله بن مسلم" .

وخلال الفترة بين ٩١ - ٩٧ هـ امتد الإسلام إلى وادى جيحون وبلاد الصغد واقليم فرغانة وبيكند وخوارزم وأرمينيِّة حتى وصل إلى كاشغر على حدود الصين فى عهد قتيبة ودانت له ولايات أوزبكستان وطاجيكستان وغيرها ([2]) .

وقد اعترفت هذه البلاد بسيادة المسلمين إعترافا ظاهريًا بسبب الغارات المستمرة التى كان يشنها المسلمون عليهم .

وكان الهدف الذى يسعى إليه قتيبة بن مسلم هو توطيد السيادة العربية على هذه البلاد ومد حدود الدولة العربية إلى أواسط آسيا فبعد عبوره نهر جيحون اتجه إلى بخارى بجيش قوامه عشرون ألف مقاتل .

وفى العام التالى سار إلى فرغانة وأحرز هناك نصرًا كبيرًا ثم اتجه إلى "كاشان" وفتحها ، ثم عاد إلى مرو ، ثم اتجه صوب سمرقند وأحرق أصنامها . وكان أهلها يعتقدون ان كل من يعتدى على هذه الأصنام يموت فى الحال لكن قتيبة أنهى على هذه الخرافات .

---

(١) سعد محمد الغامدى ، الفتح الإسلامى لبلاد وادى السند ، حوليات كليات الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية ٩ ، ١٩٨٨م ، ص٣١ ، ٣٢ .

(٢) ومحمد عبدالعليم العدوى ، العالم الإسلامى بين الماضى والحاضر والأقليات المسلمة ، القاهرة ، ١٩٨٩ / ١٦٤،١٦٥ .

وكان أهالى هذه البلاد يتظاهرون بالإسلام حتى اذا ما انسحبت جيوش الفتح يرجعون إلى ما كانوا عليه . وقد لقى المسلمون مقاومة عنيفة لفتح هذه البلاد حتى أن المسلمين قاموا بتقديم مكافآت مالية لكل من يحضر صلاة الجمعة بالمساجد إلى جانب السماح لهم بقراءة القرآن باللغة الفارسية واستطاع قتيبة فى هذه المرحلة أن يسيطر على المنطقة كلها حتى أنه اقترب من الصين . وقد أنشأ فى بخارى جامعًا عظيمًا سمى جامع قتيبة . وأصبحت بلاد ما وراء النهر مدافعة عن الإسلام وناشرة له بين الأتراك الشرقيين .

فتح بيكند : ٨٧هـ

تقع بيكند بين بخارى ونهر جيحون على مسافه ٦كم من بخارى وهى أقدم من بخارى من حيث الإنشاء . كانت بيكند من أحصن وأمنع مناطق الإقليم إلى جانب أنها كانت أحد المراكز التجارية الهامة (١) .

قام قتيبة بالهجوم على بيكند عام ٨٧هـ وحاول الاستيلاء عليها بالقوة وواجه العنصر التركى المحارب الذين تصدوا له لمنعه من دخول المدينة (٢) .

وكانت أولى خطواته بعد فتح بيكند أنه قام بجلب عدد كبير من الأسر العربية المسلمة وأسكنهم فيها ، وترك حامية عسكرية لإقرار الأمن فى المنطقة .

كما قام أيضًا بتعيين عدد كبير من الموظفين الإداريين من العرب مثل الولاة والقضاة وجباة الضرائب.

بالإضافة إلى هذا قام قتيبة بتطهير المعابد البونية من الأصنام وجمعها فى ساحة المدينة وأمر بإحراقها أمام أعين الكفار الذين كانوا يحيطونها بالإجلال والتعظيم، وكانت لها فى نفوسهم مكانة مقدسة ويعتقدون أنهم نصف آلهة . وقد أثر هذا العمل الذى قام به قتيبة فى نفوسهم وأصبحت أفئدتهم خاوية من التماثيل والأصنام التى لم تنفعهم ؛ فما كان أمامهم إلا ان إتجهوا للإسلام (٣) . ويذكر الطبرى أنه تخلف من هذه الأصنام التى تكومت بعضها فوق بعض وكأنها أشياء عديمة القيمة- ما يقدر بـ ١٥٠٠٠٠ مثقال ذهب - فى رواية - وحسب رواية أخرى ٥٠٠٠٠ مثقال ذهب وجواهر (٤).

---

(١) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، بيروت ، ١٩٥١م ، ج١ ، ص٥٣٣ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٥م ، ج٤ ، ص٥٣٨ .

(٣) Zekeriye Kitapci,Orta asyada Arap fetihlerinin iktisadi yasasi, Dorduncu kitap ,Ankara Universitesi, s.١-٥

(٤) النرشخى، تاريخ بخارى، عربه عن الفارسية أمين عبدالمجيد بدوى ونصر الله مبشر الطرازى، دار المعارف، القاهرة .

ومن أعظم الخطوات التى أحدثها قتيبة فى بيكند من أجل فتحها إنشاء جامع الجمعة من أجل تقوية الإسلام فى المنطقة ، وبدأت أصوات التكبير والأذان تدوى فى الجامع ، وامتاز الجامع بالسعة إلى جانب محرابه الذى يعد أثرًا فنيًا عظيمًا . وتقول المصادر أنه لم يكن له نظير بالقياس للجوامع الأخرى الموجودة فى المناطق المجاورة . ويصف ياقوت الحموى محراب مسجد الجمعة فى بيكند بقوله: " ليس ما وراء النهر محراب مثله ولا أحسن زخرفة منه" ([1]) .

وإلى جانب هذا أنشأ قتيبة مجموعة من المؤسسات الخيرية والدينية التى كان يطلق عليها الربط وكانت أماكن للإقامة وإيواء الفاتحين المسلمين يقيم فيها رجال التصوف ومريدوهم وقد أقيمت على شكل بيوت الفكر ، وكانت لها بصماتها فى النواحى الصوفية ، وكانت تبدو مؤسسات نصف عسكرية أقيمت بشكل خاص من أجل تأمين إطعام المجاهدين إلى جانب رعاية إبلهم وقد أنشئت بالجهود الذاتيه وكان أغنياء المسلمين ينفقون عليها ([2]) .

وبهذه الخطوات التى اتخذها قتيبة فى المدينة أصبحت بيكند من أهم المراكز الثقافية الإسلامية فى المنطقة .

وكان يوجد فى بيكند أكثر من ألف رباط أو مؤسسة ، وكان المهتدون والمجاهدون المحليون يجتمعون فى هذه الربط ، وداخل هذه الربط نشأ المجاهدون نشأة إسلامية على يد مرشد أو شيخ ، وكانوا يجاهدون الكفار الذين تمثلوا فى الترك غير المسلمين ، وشكلوا ما يعرف بجيش المتصوفة حيث اندسوا فى غمار البدو الذين يعيشون فى الصحارى ، وقد أسدى هؤلاء خدمات جليلة فى التتريك والأسلمة ليس فى آسيا الوسطى فحسب ، بل فى الأناضول أيضا ، وقد جاء ذكرهم فى الأدب والتاريخ بـــ "دراويش خراسان" ، وأخذت هذه الربط شكل التكايا أو للزوايا وكان أغنياء المسلمين يتبارون فى الانفاق على تلك الربط .

وكانت لهذه الربط أو المعسكرات دور بالغ الأهمية فى انتشار الإسلام وتطوره بين الشعب المحلى ([3]).

([1]) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، بيروت ، ١٩٨١م ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٥٣ .

([2]) Marcais (G) دائرة المعارف الإسلامية ، ج٩، ص٧٣٧ . ونستطيع هنا القول أن قتيبة ابن مسلم إلى جانب كونه بطلاً وقائدًا وسياسيًا إسلاميًا عظيمًا فقد كان حاميًا لرجـــال التصـــوف ومقدرًا دورَهم الكبير فى الدعوة ونشر الإسلام ، ويظهر ذلك من الخدمات التى قدمها إليهم وتأسيس الربط التى أتاحت لهم الفرصة فى نشر الدعوة الإسلامية هناك .

([3]) ياقوت الحموى ، مرجع سابق، ج١ ، ص٥٣٣ .

وكان المجاهدون المحليون والمهتدون يفدون من شتى القرى والقصبات يجتمعون فى هذه الربط وقد وصل عدد تلك الربط فى تركستان السفلى إلى عشرة آلاف رباط(١) .

ومن هذا المنظور أصبحت بيكند فيما بعد ولفترة كبيرة معسكرًا مقدسًا ومركزًا نشطًا للمجاهدين الذين شهدوا غزو الأقسام الداخلية من تركستان .

فتح بخارى :

بخارى من أقدم المدن التاريخية فى آسيا الوسطى، وتعد مركز التقاء القوافل العالمية ومن أهمها طريق الحرير . وتقع بخارى على ممر الطرق التجارية الذى يربط آسيا والصين بالشرق الأدنى والهند. ويصف الإصطخرى بخارى أنها أول الكور فى بلاد ما وراء النهر فمن كان بها فخراسان أمامه، وما وراء النهر وراءه(٢).

وتعنى كلمة بخارى فى الأدب البوذى مركز العلم والثقافة (٣) . وتعنى فى اللغة السنسيكريتية مدرسة ودير (٤) وقد عاش فيها أشهر العلماء والشعراء ورجال الدين الذين كانت لهم مكانتهم العالمية الإسلامية على مر العصور . وتسمى بخارى بـ "الفاخرة" وفى الحديث الشريف سأل رسول الله "صلى الله عليه وسلم" جبريل لم يسمونها فاخرة ؟ فقال: لأن بخارى يوم القيامة تفخر على كل المدن بكثرة الشهداء فقال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" : "اللهم بارك فى فاخرة وطهر قلوبهم بالتقوى وزك أعمالهم واجعلهم رحماء فى أمتى" (٥) .

---

(١) الإصطخرى ، المسالك والممالك ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ص١٦١ ، والجدير بالذكر أن هذه المؤسسات الخيرية وصلت إلى الأتراك السلاجقة والعثمانيون حيث ظهرت الخانات والحمامات والربط والأسبلة والجوامع والمساجد ومن خلال المشاهدات التى قدمها G . D. Bucbecg السفير المسيحى لإمبراطورية النمسا فى عهد سليمان القانونى فى معرض حديثه عن هذه الربط بقوله : " الخانات أبنية غاية فى ضخامتها ، والقائمون عليها يستضيفون الجميع غنيهم وفقيرهم، مسيحهم ويهوديهم ، ولا يصدون أحدًا ، وأبوابها مفتوحة دائمًا . وكان الباشوات وأمراء السناجق والبكوات ينزلون على هذه الخانات فى رحلاتهم وكان الطعام يقدم لكل النزلاء بعناية فائقة ، وقد أعجبت بها أيما إعجاب وهكذا يطعم السابلة فى الخانات بالمجان" انظر G.D.Bucbocg الرسائل التركية، مذكرات سفير فى عهد القانونى ، أنقرة ، ص٢٥، ٢٦ .

(٢) الإصطخرى ، مسالك الممالك ، بريل ، ليدن ، ١٩٢٧م ، ص٣٠٥ .

(٣) Gunaltay (h.s), Belleten,sayi ١٧, s. ١٨.

(٤) Z.V.Dogan, Turkstan ev cagdas Tarihi, Istanbul, ١٩٤٢ - ١٩٤٧, s . ٨١.

(٥) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٤٢ .

تأسست مدينة بخارى فوق المجرى السفلى لنهر زرفشان (نهر الصغد)([1]).

ويذكر المؤرخون أن ملوك الصغد بنوا سورًا حول المدينة طوله ٧٠كم وأحيط هذا السور بحدائق وبساتين ومراعى ، وكان الدخول إليها من خلال سبعة أبواب حديدية لكل باب اسم خاص به ([2]) .

وكانت بخارى أكثر مدن إقليم ما وراء النهر ازدحامًا بالسكان حيث تأسست على ممر الطرق التجارية التاريخية التى تربط آسيا والصين بالشرق الأدنى والهند.

كانت تحكم بخارى أسرة تركية وكانت ملكة بخارى يطلق عليها "خاتون" بمعنى "السيدة ذات المنصب واللقب الرفيع" تدير الحكم فى بخارى حتى زمن قتيبة وخاضت حروب كثيرة مع العرب ، وقد توفيت فى عهد قتيبة ([3]) وخلفها ابنها "طوغ شاد" وقد تولى حكم بخارى ثلاثين عامًا واعتنق الإسلام وسمى ابنه قتيبة حبًّا فى القائد المسلم العظيم ([4]) وكان الترك فى بخارى ذوى ثراء فاحش وكان لهم نفوذهم على الحياة التجارية للمدينة .

نشر الإسلام فى بخارى :

عرفت المنطقة الإسلام قبل فتح المسلمين لها عن طريق العلاقات السياسية والاجتماعية والتجارية التى كانت قائمة بين تجار بخارى ومرو وبين الأسر العربية التى استأهلت خراسان فى الأزمنه السابقة إلى جانب قدوم طائفة من التجار العرب إلى بخارى واستقرارهم فيها .

وكان الولاة العرب بدءًا من عبيد الله ابن زياد قد حاصروا بخارى مرات كثيرة قبل ظهور قتيبه لكنهم لم يحققوا النجاح المرجو فى نشر الإسلام فى بخارى.

وقد أشار جب إلى أن قتيبة أرهق أعداءه المتحدين أيما إرهاق بمناوراته الحربية المتريثة قبل نزوله أرض المعركة حتى نجح فى الاستيلاء على بخارى([5]).

وفى عام ٩٠هـ زحف قتيبة على بخارى بجيش عظيم قوامه عشرون ألف مجاهد وعبر نهر جيحون والتقى بجموع الترك القادمين من "الصغد" و"كش" و"نسف"

([1]) بالا (ميرزا) دائرة المعارف الإسلامية، مادة بخارى، ج٢، ص٧٦٢ . والإصطخرى، مرجع سابق، ص٣٠٦.

([2]) ياقوت الحموى، مرجع سابق ، ج١ ، ص٣٥٣ والقلقشندى ، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة ، ج٤ ، ص٤٣٤ ، والإصطخرى ، ص١٧١ .

([3]) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٢٤ .

([4]) المرجع السابق ، ص٨٩ .

([5]) جب (هـ . أ. ر) مرجع سابق ، ص٣١ .

ودارت معارك ضارية أصيب فيها خاقان الترك وابنه وانتصر عليهم قتيبة إلا أن الترك حاولوا الدفاع عن المدينة من الداخل ، وحالوا دون دخول قتيبة وجنوده داخل المدينة ، الأمر الذى أجبر قتيبة على العودة إلى "مرو " لإعداد العدة وتجهيز القوات لمهاجمتها مرة أخرى ، واستمر حصار بخارى مدة أربعة أشهر وأعلن قتيبة أنه سوف يكافئ كل من يأتى برأس من رؤوس الكفار فدب الحماس فى نفوس العرب ونجحوا فى الاستيلاء على المدينة بشكل قاطع .

وتقول المصادر أن قتيبة حاول فتح بخارى ثلاث مرات وفى كل مرة كان أهلها يعلنون إسلامهم ثم يرتدون لكن فى المرة الرابعة توطد الإسلام هناك ورسخ فى النفوس ([1]) . وقد كانت سياسة قتيبة فى توطيد الإسلام فى بخارى أن بداه من القمة إلى القاعدة .

وكان إسلام الملك طوغ شاد من العوامل التى ساعدت على ترسيخ الإسلام هناك: وقد كان طوغ شاد ابن خاتون ملكة بخارى مقربا لقتيبة، الذى قام بمحاربة نبلاء إيران الأقوياء المناوئين لطوغ شاد ، وقد حقق له الحفاظ على حكم المدينة مدة ٣٢ عامًا ، واعترف قتيبة بطوغ شاد ملكًا وحارب جميع خصومه ([2]) .

ويقول "كارل بروكلمان" : أنه يعتقد أن بفضل إسلام هذا الأمير الشاب استقر الإسلام وضرب جذوره بشكل قوى فى بخارى ([3]) .

ويقول "جب" : "إن طوغ شاد قد اعتلى العرش بفضل العرب واهتدى بالدين الجديد" . وكان من الطبيعى ان يلتزم جانب العرب ([4]) .

وكان من نتائج إسلام طوغ شاد أن أسلم بعض الأثرياء والطبقة الأرستقراطية فى بخارى ومن بينهم دهقان أطلق عليه إسم "خينه" وقد بدل إسمه بـــ "أحمد" حبًا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد أسلم الكثير من أفراد أسرته وأتباعه المقربين([5]) . وكان خينه يملك "محلة القصر الشهيرة" التى كان يعيش فيها

([1]) النرشخى ، تاريخ بخارى ، مرجع سابق، ص٧٧ . كمال السعيد ، بخارى قبة الإسلام ، مجلة شمس الإسلام ، سبتمبر ١٩٩٣ ، ص٢٩٠-٢٩٢ .

([2]) ابن الأثير ، مرجع سابق، ج٤، ص٥٥٣ ، ٥٥٤ ، وكارل بروكلمان ، تاريخ الشـــعوب الإسلامية ، ترجمه (ن) جاغطاى ، أنقره ١٩٦٤ ، ص٧٥ ، النرشخى ، ص٢٤ .

([3]) كارل بروكلمان ، مرجع سابق، ص٨٣ .

([4]) جب ، مرجع سابق، ص٣٤ .

([5]) النرشخى ، مرجع سابق، ص٨٤ .

أرستقراطيو بخارى وعلى وجه الخصوص الأمراء ورجال الدولة المسلمين الأغنياء.

وبهذا الشكل استطاع قتيبة أن يدخل الإسلام فى بخارى من الطبقه الحاكمة العليا فى المدينه ثم تدرج بها حتى القاعدة – الشعب – وبهذا ضمن للإسلام هناك قاعدة صلبة .

لكن على الرغم من هذا فإن شعب بخارى الذين كانوا يدينون بعبادة الأصنام؛ كانوا ينتهزون فرصة إخلاء المدينة من الجند المسلمين ويعودون إلى شعائرهم وديانتهم المجوسية ويرتدون عن الإسلام (١) .

وردًا على هذه الأفعال التى كان يقوم بها الشعب بارتداده عن الإسلام أمر قتيبة بأن يتنازل السكان الأصليون عن نصف منازلهم للعرب، ويقيموا معهم فى نفس السكن ، وبهذا الشكل يستطيع مراقبتهم ظاهرًا وباطنًا، فاضطر الشعب إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية طوعًا أو كرهًا (٢).

إلا أن الشعب قام بحركة مقاومة عنيفة ضد حركة الأسلمة الجبرية التى اتخذها قتيبة فى المدينة فكانت تقع مصادمات وصراعات بينهم وبين العرب المسلمين .

وإلى جانب تنازل الشعب المحلى عن نصف مساكنه للعرب قام قتيبه باتخاذ خطوة أخرى ، وهى توطين وتهجير العائلات الكبيرة إلى المدينة ، وكان يبدو هذا الإجراء فى شكله الظاهرى أنه إجراء استعمارى على حد قول المحللين وكتاب هذا العصر – حيث قام قتيبة بتوطين هؤلاء العائلات الكبيره قريبة من بعضها البعض، الأمر الذى جعلهم يؤسسون المحلات الكبرى فى المدينة. فظهرت "محلة الرنديين" و"محلة الوزراء" التى كان يقيم فيها أول وال مسلم على خراسان وهو "ابن أيوب بن حسن" (٣) .

وقد عبر "النرشخى" عن هذا الإجراء بقوله : إن تقسيم بخارى كان يهدف أن تصبح مركزًا للعروبة والإسلام (٤) .

---

(١) عاصم نجيب ، تاريخ الترك ، إستانبول ، ١٣١٦ ، ص١٤٥ . وفامبرى (أ) ، مرجع سابق ، ص٦٧ .
(٢) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٨٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص٨٠ .
(٤) ويلهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها ، أنقرة ، ١٩٦٣م ، ص٢٠٨ .

تحطيم قتيبة للنفوذ الزرادشتى فى المنطقة :

استمرت محاولات قتيبة لنشر الدين الإسلامى فى المنطقة حيث بذل جهودا كبيرة لسحق النفوذ الزرادشتى فى بخارى ، وقد تمثلت تلك الجهود من خلال الضغوط التى مارسها على عائلات قوشان التركية الأصل، فقد كانت هذه العائلات تنتمى إلى المجوس ، وكانت لهم شهرة ومنزلة كبيرة بين أهل بخارى فقد كانوا من كبار التجار الأغنياء فيها .

قام قتيبة بإصدار أوامره بتقسيم بيوت القوشان ومتاعهم وكافة ثرواتهم التجارية مناصفة بينهم وبين العائلات العربية التى أراد توطينها([١]) .

ونتيجة لتلك الضغوط فقد أخلت عائلات القوشان بيوتها وتركتها للعرب كما تركت قدرًا كبيرًا من متاعهم ، وقامت ببناء سبعمائة قصر خارج أسوار المدينة، وأقامت بيوتًا مستقلة للخدم والعبيد بجوار قصورهم التى انتقلوا إليها وكونت ما يعرف بمحلة مجوسية جديدة مستقلة ([٢]) .

وكان الذين يعيشون فى تلك القصور أكثر من سكان المدينة نفسها حيث بلغ عددهم عشرة آلاف أو خمسة عشر ألفا ، وعلى الرغم من هذا العدد فقد قام قتيبة بمهاجمة هذه العائلات فى قصورها وأضرم فيها النيران وخربها ، فكانت ضربة قاسية من ضرباته التى استخدمها فى تحطيم الزرادشتية فى بخارى ([٣]) .

الخدمات الدينية التى قدمها قتيبة لبخارى :

بعد ان أتم قتيبة الفتوحات السياسية فى بخارى - التى امتدت من أربع إلى خمس سنوات - قرر إقامة جامع عظيم أطلق عليه جامع "ماه روز" وكان فى مكان هذا الجامع قبل إنشائه سوق ومركز نشاط هام للرهبان والبوذيين والزرادشتيين على مر العصور . وقد أقيم الجامع فوق معبد مجوسى ، وفى هذا المكان كانت تقام أسواق نصف دينية مرتين فى العام تباع فيها الأصنام باهظة الأسعار ، وقد أراد قتيبة بإنشاء الجامع فى هذا المكان بالذات شل حركة نشاط هذا السوق حتى تكون ضربة للديانة الزرادشتية وعبدة النار والأصنام .

وقد تحدثنا عن المحلات التى أقامتها العائلات العربية التى أسكنها قتيبة فى بخارى ، ففى "محلة الرنديين" التى ذكرناها من قبل حيث كان يوجد بها كنيسة تتبع

([١]) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٥٠ .
([٢]) جب ، مرجع سابق، ص٣٤ .
([٣]) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٧٤ .

المسيحيين النسطوريين وقد أقام مكانها قتيبة مسجد عرف باسم "مسجد بنى حنظلة"(١).

وفى "محلة بنى سعد" أقيم فيها "مسجد بنى سعد" (٢) .

وقد أمر قتيبة بفرض صلاة الجمعة على كل غنى وفقير فى بخارى، كما أمر بصرف مكافأة نقدية لكل من يقيم صلاة الجمعة، كما سمح لهم بقراءة القرآن الكريم باللغة الفارسية ، مما أدى إلى دخول عامة تلك البلاد إلى الإسلام .

أنشأ قتيبة أيضًا فى بخارى مصلى للعيد فى ساحة كبيرة غاية فى الاتساع والرحابة، وكان المسلمون يحتشدون للصلاة فيه مرتين فى العام يظهرون قوة الإسلام ووحدته وقد أدى إنشاء هذا المصلى إلى انخفاض معنويات غير المسلمين(٣).

وقد منع قتيبة غير المسلمين من حمل السلاح فى هذه الأيام الأمر الذى أحدث ردود فعل من جانب الشعب المحلى غير المسلم لهذه الإجراءات .

هذه الإجراءات الجبرية أفسحت المجال لانتقاد قتيبة مستندين للنص القرآنى الذى يقول "لا إكراه فى الدين" والذى جاء به بعض الكتّاب المسيحيين وخاصة "ويلهاوزن"

وفى الحقيقة فان الاعمال التى قام بها قتيبة لم تكن إلا وسيلة من وسائل توطيد الحكم الإسلامى فى المنطقة ، وكان هدفه تلافى الثغرات التى قد تعوق توطيد الحكم الإسلامى للمنطقة (٤) . ومن ناحية اخرى فإن الإسلام فى بخارى أخذ شكل ثورة عسكرية نصف دينية وذلك لأنها كانت مركزًا للأديان السامية الآرية مثل الزرادشتية والبوذية والمانوية واليهودية والمسيحية ، وكان إشعال نار الهوية الإسلامية لمرًا ليس سهلاً ولم يكن تحقيقها يمكن أن يأتى بإرادة الشعب واختياره نظرًا لتعصبهم الشديد لدياناتهم .

---

(١) محمد أحمد محمد ، بخارى فى صدر الإسلام ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٢م، ص٩٩.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها .

(٣) النرشخى ، مرجع سابق، ص٨٢ .

(٤) وجدير بالذكر هنا ان نذكر ما قاله المؤرخ الإنجليزى بيكر : إن كافة الوثائق المعاصرة تثبت أن العرب تسامحوا مع أهالى البلاد المفتوحة ولم يفرضوا عليهم ديانتهم وإذا كانت هناك ظاهرة انتشرت بقوة السلاح فهذه الظاهرة هى سيطرة العرب السياسية وليس عقيدة العرب الدينية . (على عبدالسلام سيد أحمد ، حركات المد العربى إلى بلاد ما وراء النهر خلال العصر الأموى ، مجلة كلية الدراسات الإنسانية ، عدد ١٤ ، جامعة الأزهر ، ١٩٩٦م، ص٢٢٦) .

النتائج التى ترتبت على فتح بخارى :

من أهم الخدمات الدينية التى تحققت فى بخارى وأكسبت حركات الأسلمة قوة ؛ إنشاء الجوامع الكبيرة فى المنطقة ومن أهم هذه الجوامع جامع "ماه روز" الذى أقامه قتيبة بعد أن أتم الفتوحات السياسية ورسخ الإسلام فى المنطقة ، وكان بناء هذا الجامع أمراً ليس سهلاً ؛ فقد تم بناؤه بعد مرور خمس سنوات قضاها قتيبة فى جهاد وصبر عظيم دون أن يدركه الملل أو السام .

وتحويل المنطقة إلى مدينة ومركز إسلامى لم يكن هينًا فقد كانت بخارى مركزًا علميًا وثقافيًا لمختلف الأديان الأسيوية القديمة ، حيث الكنائس النسطورية ومعابد النار الزرادشتية والمعابد البوذية ؛ فكانت تلك الفترة فترة عصيبة من أجل إخضاع سكان المنطقة للدين الجديد وتأسيس دور للعبادة فيه إلا أنه فى النهاية وفق فى مسعاه وأسس الجامع الذى ترفع فيه المآذن للصلاة .

وقد أنشئ جامع "ماه روز" فى سوق ماه روز الذى كان مركزًا مهمًا للرهبان البوذيين والزرادشتيين على مر العصور وقد أقيم هذا الجامع فوق معبد مجوسى كبير كان فى حيازة الزرادشتيين بعد أن كان معبدًا بوذيًا ([1]) .

وكان اختيار قتيبة لهذا المكان لإقامة جامع فيه إختيارًا ذكيًا منه لمواصلة نشاطه فى ضرب الديانات الوثنية ففى هذا المكان كانت تباع فيه الأصنام الضخمة والتماثيل البوذية التى وصل ثمن الواحد منها فى بعض الأوقات إلى خمسين ألف درهم ([2]) .

فقام قتيبة بشل حركة هذا السوق وجعله لا قيمة له ، وأصبح هذا الجامع شاهدًا على انتصار قتيبة على تلك الأديان .

ومن أهم المساجد التى أقيمت فى بخارى على عهد قتيبة مسجد "بنى حنظلة" وقد أقيم هذا المسجد مكان كنيسة تتبع المسيحيين النسطوريين أيضًا([3]) .

ومسجد "بنى سعد" الذى تأسس فى مكان المرور من باب العطارين الذى هو أحد أبواب الدخول الكبرى إلى بخارى ([4]) .

([1]) النرشخى ، مرجع سابق، ص٧٤ .
([2]) يوسف (س. م.) دراسات فى التاريخ والثقافة الإسلامية، لاهور ١٩٧٠، ص٦٩-٧٠.
([3]) النرشخى ، مرجع سابق، ص٨٠ .
([4]) المرجع السابق ، ص٨١ .

وعلى الطرف الأيمن للداخل إلى المدينة أقيم فيه مسجد "القرشيين" . ومع التطور الإسلامى فى المنطقة تم إنشاء جامع قتيبة مكان بناء أثرى كان يستخدم كمعبد مقدس من قبل البونيين والمجوس ، وأصبح هذا الجامع بمثابة مؤسسة خيرية تنشر العلم والثقافة . وقد تعرض هذا الجامع على مر العصور لأخطار كثيرة مثل الزلازل والحرائق إلا أنه تم ترميمه وإصلاحه ولا يزال هذا الجامع قائمًا حتى يومنا هذا .

ونتيجة لجهود قتيبة فى بناء الجوامع وتحويل الكنائس الموجودة إلى أماكن لإقامة الصلاة ،أصبح المسلمون يؤدون صلاة العيد فى حشود غفيرة وأنشئ مصلى للعيد فى بخارى فى ساحة غاية فى الاتساع والرحابة وأصبح واحدًا من التطورات مرموقة الأهمية التى أحرزها الإسلام فى تلك العهود الأولى والتى أدت إلى انخفاض معنويات غير المسلمين (١) .

وبعد مرور السنوات ، أصبح مصلى العيد يضيق بالمسلمين ، فبنى الأمير "منصور بن نوح" مصلى للعيد أكثر إتساعًا اشتمل على منبر عال ومحرابين غاية فى جمال الصنع والمظهر، وأصبحت تكبيرات صلاة العيد تتردد فى كل مكان.

ومن أهم التطورات الإسلامية التى اتخذها قتيبة فى المنطقة ، السماح للمسلمين بقراءة القرآن باللغة الفارسية ، ومن الأسباب التى دعته لذلك والتى رجحها العرب فى العهود الأولى للإسلام فى بخارى : تسهيل دخول الشعب المحلى فى الدين الإسلامى، وقد ظهر هذا التطور كمسألة اجتماعية كبرى حيث دار الكثير من المناقشات حول إجازة تعليم القرآن بالفارسية وصحته فقهيًا حيث أجاز الأئمة وعلى رأسهم الإمام أبو حنيفة قراءة القرآن الكريم باللغة الفارسية . وقد تناولها أيضا الإمام "شمس السرخسى" (المتوفى عام ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) والذى كان له رسوخ القدم فى الفقه الحنفى حيث استند على طلب الإيرانيين بترجمة سورة الفاتحة إلى الفارسية ، فقد كتبوا خطابا إلى "سلمان الفارسى" بهذا الخصوص ، ولجابهم سلمان إلى ما طلبوا وترجم الفاتحة إلى الفارسية وأرسلها لهم . ويوضح السرخسى: أن الإيرانيين قد قرأوا هذه الترجمة فى صلواتهم وأجازها أبو حنيفة بناء على تلك الحادثة (٢) .

ومما يجدر ذكره هنا أن بخارى كانت أهم المراكز الدينية لتركستان السفلى ومكانتها كمركز للأديان السامية والآرية مثل الزرادشتية والبونية واليهودية

---

(١) المرجع نفسه ، ص٧٨ .
(٢) السرخسى ، المبسط ، القاهرة ، ١٣٢٤هـ ، ج١ ، ص٣٦،٣٧ .

والمانوية والمسيحية فإن اعتناق شعبها المحلي المتعصب لدياناته لدين جديد لم يكن هينا وكان من الصعب تحقيقها إلا بثوره عسكرية نصف دينية ، وهو ما فعله قتيبة ، فكان إستقرار الإسلام فى بخارى يعد مرحلة هامة فى إسلام آسيا الوسطى وذلك لأن الإسلام كان سيمضى من آسيا الوسطى إلى الأناضول وأوربا ثم يتقدم حتى يصل إلى فينا ومن هنا كان لاختيار قتيبة بخارى لنشر الإسلام لم يكن مصادفه وانما كان هدفا لسحق الديانات الأخرى ([1]) .

وأصبحت بخارى مركز إشعاع الشرق فى العلم والثقافة والحضارة الإسلامية ، ومن هنا جاء وصفها "بقبة الإسلام" كما أطلق عليها النرشخى ([2]) . و"عش العظمة" و"كعبة الملك" و"منجم علماء الزمان"، و"المكان الذى أنجب نجوم الأدب فى العالم" على حد قول الثعالبى ([3]).

فتح سمرقند

كانت سمرقند مركزًا تجاريًا وثقافيًا بالإضافة إلى أنها كانت مركزًا سياسيًا لإقليمها ، ورغم أنها مدينة تركية إلا أن شعبها كان يتألف من أخلاط من الأقوام الذين يختلفون لغة وعرقاً وثقافة . وهى أعظم مدائن ما وراء النهر .

وقد كان الدخول إلى المدينة من خلال اثنى عشر بابًا ويقع بها سور داخلى (قلعة) يحيط بمركز المدينة ، وكان لهذه القلعة أربعة أبواب مختلفة ، ويقع المسجد وبيوت الولاة داخل هذه القلعة ([4]) . وقد تأسست سمرقند عند ملتقى الطرق التاريخية القادمة من الهند وإيران على الساحل الشمالى من نهر زراقشان([5]) .

وسمرقند تتكون من كلمتين تركيتين "سمير" بمعنى غنى ، و"كند" بمعنى مدينة وتعنى المدينة الغنية ([6]) .

وتؤكد المراجع أن سمرقند كانت سوقاً عظيمة للعبيد . وأثناء الفتوحات العربية فى اوائل القرن السابع كانت سمرقندَ مركزًا لحكومة الصغد ، وكان بها ممثلاً لأحد

([1]) ويلهاوزن ، مرجع سابق، ص٢٠٨ .
([2]) النرشخى ، مرجع سابق، ص٨٣ .
([3]) الثعالبى ، يتمية الدهر ، القاهرة ، ١٩٥٦، ج٤ ، ص١٠١ .
([4]) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٢٢٤ .
([5]) بارتولد ، تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ، ترجمة صلاح الدين هاشم ، الكويت، ١٩٨١م ، ص٨٣ .
([6]) الكاشغرى ، ديوان لغات الترك ، أنقرة ١٩٤٠، ج٣ ، ص٣ .

العائلات التركية الحاكمة (1) وقد اتخذ الترك هذا الإقليم موطناً لهم لرخائه بسبب "طريق الحرير التاريخى" فكانت تابعة للأتراك وكانت من المراكز النشطة للوجود العسكرى التركى بالإضافة إلى كونها مركزًا إداريًا للأسر الحاكمة تركية الأصل أثناء الفتوح الإسلامية .

وكانت سمرقند قاعدة لكفاح الأتراك أمام الهجمات العربية فى سنوات الفتح الأولى .

ومن أسباب شهرة سمرقند أنها كانت مركزًا للعبيد الأشداء ، وكانوا أفضل العبيد الذين عرفوا فى الشرق الأوسط ، وقد خرج من بينهم الموالى ذووا الأصول التركية والقواد العظماء والعلماء الأجلاء ورجال الدولة العظام (2) .

وقد سبق قولنا أن قتيبة استطاع بعد استيلائه على بخارى عام ٩٠هـ = ٧٠م أن يزحف على سمرقند ويستولى عليها عام ٩٣هـ = ٧١١م وكان لسقوط بخارى أثر كبير فى البلاد حيث أظهر مدى قوة العرب فى ذلك الوقت ، فسارع ملك سمرقند بالاتصال بقتيبة لوضع شروط للصلح (3) .

حاول قتيبة أن تكون سمرقند أكثر فاعلية وإسلامية من بخارى فلم يتبع فيها نفس الشدة التى اتخذها فى بخارى ، فكانت إستراتيجية فتحه الإسلامى لها من خلال بنود الاتفاق الذى أبرمه مع "أوغوز بك " حاكم سمرقند ، وقد اهتم قتيبة ببعض الشروط المهمة المتعلقة بنشر الإسلام فى سمرقند قبل دخولها فكانت كالتالى :

- بناء مسجد فى سمرقند تؤدّى فيه الصلاة، ويخطب فيه الجمعة، وصنع منبرًا بداخله .
- تسليم ما فى المعابد البوذية وبيوت النار المجوسية من أصنام وحلى وزينات إلى قتيبة .
- تسليم ٣٠ ألف أسير من الأشخاص الأصحاء ليس فيهم شيخ ولا طفل وذلك لعام واحد فقط (4) .

---

(1) شايدر (هـ. هـ.) ، مادة سمرقند ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج١ ، ص٤٦٩ .
(2)ZekeriyeKitapci,OrtadogudaTurkAskerinin varligi,Istanbul,١٩٨٨,s.٢٢-٢٧.
(3) الطبرى ، ج٦ ، ص٤٧٤ .
(4) الطبرى ، مرجع سابق، ج٦ ، ٤٧٥ ، وابن الاثير ، مرجع سابق، ج٤ ، ص٥٧٣ .

- إخراج المحاربين الترك من المدينة وعدم إدخال الأشخاص الذين يحملون أسلحة (١) .
- قام قتيبة قبل دخوله المدينة بالشروع فى بناء مسجد الجمعة فى سمرقند كجزء من نظرته الإستراتيجية ، وهو أول جامع أنشئ فى سمرقند ، وبذلك ضمنت الجماعة المسلمة فىأول مراحل تكوينها مركز عبادة خاص بهم . وجدير بالذكر أنها أول مرة يقام فيها جامع فى مدينة قبل دخول الفاتح وجنوده اليها .

ولقد كان شرط قتيبة فى إخلاء المدينة قبل دخولها تدبيرًا حاسمًا منه لمنع اندلاع اى أحداث من المحتمل حدوثها اثناء دخوله المدينة واثناء الصلاة فى مسجد الجامع، وبالفعل تم أداء أول صلاة جماعة فى سمرقند عقب دخول الفاتح وجنوده إلى هذه المدينة لأنهم توجهوا إلى الجامع مباشرة وأدوا فيه الصلاة دون حدوث أية اضطرابات .

وكان شعب سمرقند يتكون من طوائف دينية متعصبه من بونية وزرادشتية ومانوية إلى جانب الطوائف اليهودية والنصرانية ؛ ولهذا فقد كان إقامة جامع جديد خطوةً شجاعة بالنسبة للدين الإسلامى ، وقد بنى هذا المسجد فى منطقة يسكنها أعيان سمرقند وكبار الموظفين (٢) .

ويجب هنا أن نذكر أن الجامع الكبير الذى شيد فى بخارى لم يبن إلا بعد أربع أو خمس سنوات من الفتح ، وقام قتيبة بعد ذلك بتسلم كل ما هو موجود من التماثيل البوذية وبيوت النار من ذهب وفضة وحرير ثم أخذت الأصنام البوذية من أماكنها ووضعت فى ميدان واحد وبجرأة وشجاعة عظيمين أمر الفاتح بإضرام النار فى كل هذه التماثيل وبدأ هذا الأمر بأن أمسك قتيبة فى يده كتلة من نار ثم تقدم نحو الميدان الذى تكدست فيه الأصنام وكبر بصوت عال ثم أشعل النار فيها أمام جمع غفير من أهالى المدينة (٣) ويصور الطبرى هذه التماثيل بعد أن جمعت فى مكان واحد

---

(١) الطبرى ، مرجع سابق، ج٨ ، ٢٤٥ ، وابن الاثير ، مرجع سابق، ج٤ ، ص٥٧٣ .
(٢) ياقوت ، مرجع سابق، ج٣ ، ص٢٤٧ .
(٣) البلاذرى ، مرجع سابق، ج٣ ، ص٥١٨ . الطبرى ، مرجع سابق، ج٨ ، ص١٢٤٦ .
وانظر. Zekeriye Kitapci,Semarkentte,Islam yayilisi,T.D.A,١٩٨٣. Sayi,٢٥,s. ١٢٥

وتكدست حتى صارت وكأنها قصر كبير ولم تكن الأوثان هى التى أحرقت وإنما كانت المعتقدات الباطلة التى ظل الشعب يؤمن بها لعهود طويلة ([١]).

وقد دخل الفاتح المدينة ومعه جنوده وأدى الصلاة مع جيش قوامه ٤٠٠٠ شخص ([٢]) وقام بتطبيق مجموعة من الإجراءات التى اتسمت بالعنف والشدة حيث عين أخاه عبدالله بن مسلم على سمرقند وأقام فيها حامية عسكرية لا تسمح بدخول أى مشرك تركى وأن يمنع حمل كافة أنواع السلاح ([٣]) .

ثم قام بتوطين مجموعة من المسلمين المختارين من المدنيين إلى جانب الجنود المسلمين ، وكان منهم العالم الضحاك بن مزاحم (المتوفى عام ١٠٣هـ/٧٢١م) وكانت مهمته سد الاحتياجات الدينية لطائفة المسلمين فكان بمثابة المرشد وكان له ٣٠٠٠ طالب ([٤]) .

ويوجد فى سمرقند قبر الصحابى الجليل "قثم بن عباس" ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعد مزارًا مقدسًا للمسلمين ، وقد أقيم على قبره فيما بعد مسجد كبير ومدرسة للعلوم الإسلامية وقد ذكر ابن بطوطة "أن أهالى سمرقند يزورن هذا القبر مساء كل يوم أحد وخميس يقومون بتقديم النذور فيه ويذبحون حيواناتهم التى تقدم للنذور " ([٥]) وقد عرف ضريحه باسم "مزار شاه زند" أى السلطان الحى ([٦]) .

وقد نضجت سياسة قتيبة لأسلمة آسيا الوسطى بعد فتح سمرقند وبالتالى طبقت على "فرغانة " والمراكز والقرى الأخرى التى فتحت فيما بعد " طواويس" و " أفشينا " و " نور " .

ورغم مرور القرون الطويلة فإن شعب آسيا الوسطى ينظر إلى قتيبة بن مسلم حتى الآن على أنه ولى كبير من أولياء الله ويعتبرون قبره مزاراً .

([١]) الطبرى ، مرجع سابق، ج٦ ، ص٤٧٥ ، ابن الاثير ، ج٤ ، ص٥٧٣ .
([٢]) الطبرى ، ج٦ ، ص ٤٧٥ .
([٣]) ابن كثير ، البداية والنهاية، بيروت، ١٩٦٦م ، ج٩ ، ص٨٦ .
([٤]) انظر الذهبى ، ج١ ، ص١٢٤ .
([٥]) انظر والنرشخى ، ص٥٤٠ .
([٦]) الزركلى ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٩م ، ج٦ ، ص٢٩ .



جامع الجمعة

العوامل التى ساعدت قتيبة فى نشر الإسلام فى المنطقة :

من أهم العوامل التى ساعدت قتيبة على نشر الإسلام فى المنطقة لكتمال قاعدة خراسان كقاعدة متقدمة للإمدادات العسكرية حيث انضم إلى صفوف قتيبة عدد هائل من المسلمين وصل عددهم إلى سبعين ألف مقاتل وكان عددهم فى البداية لا يزيد عن خمسة آلاف مقاتل .

إلى جانب اشتراك أهالى البلاد المفتوحة فى الجيش الإسلامى مع قتيبة ، حتى الأهالى التى لم تكن على الدين الإسلامى فقد وقفوا إلى جانب قتيبة فى فتوحاته .

ومنها اتخاذ قتيبة سياسة فتح الإمارات التركية بعد ذلك إلى فتح كل منها على حدة .

ومن الأمور التى ساعدته أيضا على فتح تلك المناطق إعجاب سكان تلك المناطق بفروسية القواد العرب وتعاملهم الكريم مع السكان الأصليين.

وقد تدرجت فتوحات قتيبة للمنطقة على أربع فترات :

- الفترة الأولى : بدأت هذه الفترة عام ٨٦هـ -٧٠٥م تم فيها السيطرة على منطقة طخارستان .
- الفترة الثانية : وتحسب هذه الفترة من عام ٧٨-٩٠هـ وقد تم فى هذه الفترة فتح "بخارى"، وقام ملك "سمرقند" بوضع شروط صلح مع العرب .
- الفترة الثالثة : وتمتد هذه الفترة من ٩١-٩٣هـ وصل النفوذ العربى فيها إلى وادى جيحون وبلاد الصغد .
- الفترة الرابعة : وتبدأ من ٩٤-٩٧هـ ، تم فيها إخضاع المناطق الواقعة على نهر "سيحون" حتى وصل إلى كاشغر على حدود الصين.
- وفى هذه المرحلة فتح الله على يديه الشاش ، وفرغانة .

وفى ذلك الوقت مات الحجاج الذى كان له دور كبير فى نجاح قتيبة؛ فأرسل الخليفة الوليد بن عبدالملك رسالة إلى قتيبة يشد أزره جاء فيها : "قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك فى جهاد أعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين رافعك وصانع

بك الذى يجب لك ، فأتمم مغازيك وانتظر ثواب ربك ، ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك ، كأنى انظر إلى بلادك والثغر الذى أنت فيه" .

وقد أحدثت هذه الرسالة أثرًا بليغًا فى نفس قتيبة وأعطته دفعة قوية للصمود والثبات فى مواصلة فتوحاته إلى مرو وقصد كاشغر التى يذكرها الطبرى "أنها ادنى مدائن الصين" (١) .

وقام قتيبة بمواصلة دعوته إلى الإسلام بعبارة له جاءت فى خطبته إلى العرب الفاتحين جاء فيها : "إن الله تعالى قد أحل لكم تلك البقاع كى تنشروا فيها دينه الحنيف" .

وكان لقتيبة إستراتيجية خاصة فى المدن التى قام بفتحها فى آسيا الوسطى ، تمثلت فى فتح المساجد والجوامع فى المدن الهامة فى آسيا الوسطى مثل سمرقند وبخارى إلى جانب المدارس والربط والخوانق(٢) .

كما قام بتوطيد النفوذ العربى الإسلامى فى المدن والمراكز التجارية الكبرى فى آسيا الوسطى حيث أسكن كثيرًا من الأسر العربية المسلمة فى مدن آسيا الوسطى، وقد وصلت عملية التوطين هذه حتى "الشاش" وهى طشقند حاليًا وفرغانة (٣) .

ومن الأمور التى اتبعها قتيبة من أجل تشجيع الأهالى للإسلام أنه كان يقدم مكافأة لكل من يذهب إلى الجامع لأداء الصلاة ولو لمرة واحدة فى الأسبوع ، والسماح للأئمة بقراءة القرآن بالفارسية إلى جانب نشر اللغة العربية (٤) .

كما قام قتيبة أيضًا بإسكان الأسر العربية الوافدة مع الشعب الأصلى لتعليمهم الإسلام مثلما حدث فى بخارى (١) . وعمل على تعيين إداريين مسلمين فى عدد من الوظائف الإدارية فى كافة المدن والقرى الكبرى المفتوحة(٢).

---

(١) عبدالشافى محمد عبداللطيف، العالم الإسلامى فى العصر الاموى، ط٢، ١٩٩٣م، ص٣٤٩، ٣٥٠ .

(٢) موير (سير ويليام) ، الخلافة : صعودها وبزوغها وسقوطها ، بيروت ١٩٦٣م ، ص٣٦٥، ويلهاوزن (ج) ، الدولة العربية وسقوطها ، أنقرة ١٩٦٣م ، ص٢٢٠ .

(٣) البلاذرى ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٥٢٩ .

(٤) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٧٤ .

بالإضافة إلى هذا قام قتيبة ببناء المدارس الإسلامية فى المنطقة ؛ الأمر الذى ساعد على قيام نهضة ثقافية ، وكان قوام هذه النهضة هو اللغة العربية التى انتشرت فى مناطق بخارى ، وترمذ ، وسمرقند.

وبالإضافة إلى هذا فقد قام قتيبة بإسقاط الجزية والخراج عمن أسلم منهم كما أمر الإسلام .

كان قتيبة حاكمًا عربيًا وقائدًا عسكريًا، عمل واليًا فترة طويلة من الزمان فى خراسان ونجح فى توطيد الحكم العربى فى آسيا الوسطى . وبهذا فإن قتيبة يعد فاتح طريق الإسلام فى هذه البقاع، لكن على الرغم من جهوده العظيمة إلا أن بعض المؤرخين غير المنصفين الغربيين وصفوه بأنه طاغية وظالم نظرًا لسياسته فى إجبار الناس على الإسلام بالقهر .

إلا أنه على الرغم من هجوم البعض عليه فقد حظى بالاحترام والتقدير من جانب المؤرخين المسلمين وعلى رأسهم النرشخى وابن كثير(٣) .

ويذكره "جب" بقوله : أرسى قتيبة الأساس الذى استند عليه الحكم الإسلامى فيما بعد فى بلاد ما وراء النهر ، وعلى الرغم من ان الأجزاء العلوية من هذا البناء لم تكن قوية بدرجة تجعلها تحتمل عواصف السنوات القادمة إلا ان الأساس قد أرسى بشكل رصين مكين . إذ إن المهندس برغم أنه قد ضحى بكل شئ فى سنوات عمره الأخيرة فى سبيل مجده وشهرته – الا انه قد مات دون أن يكمل بناءه (٤) .

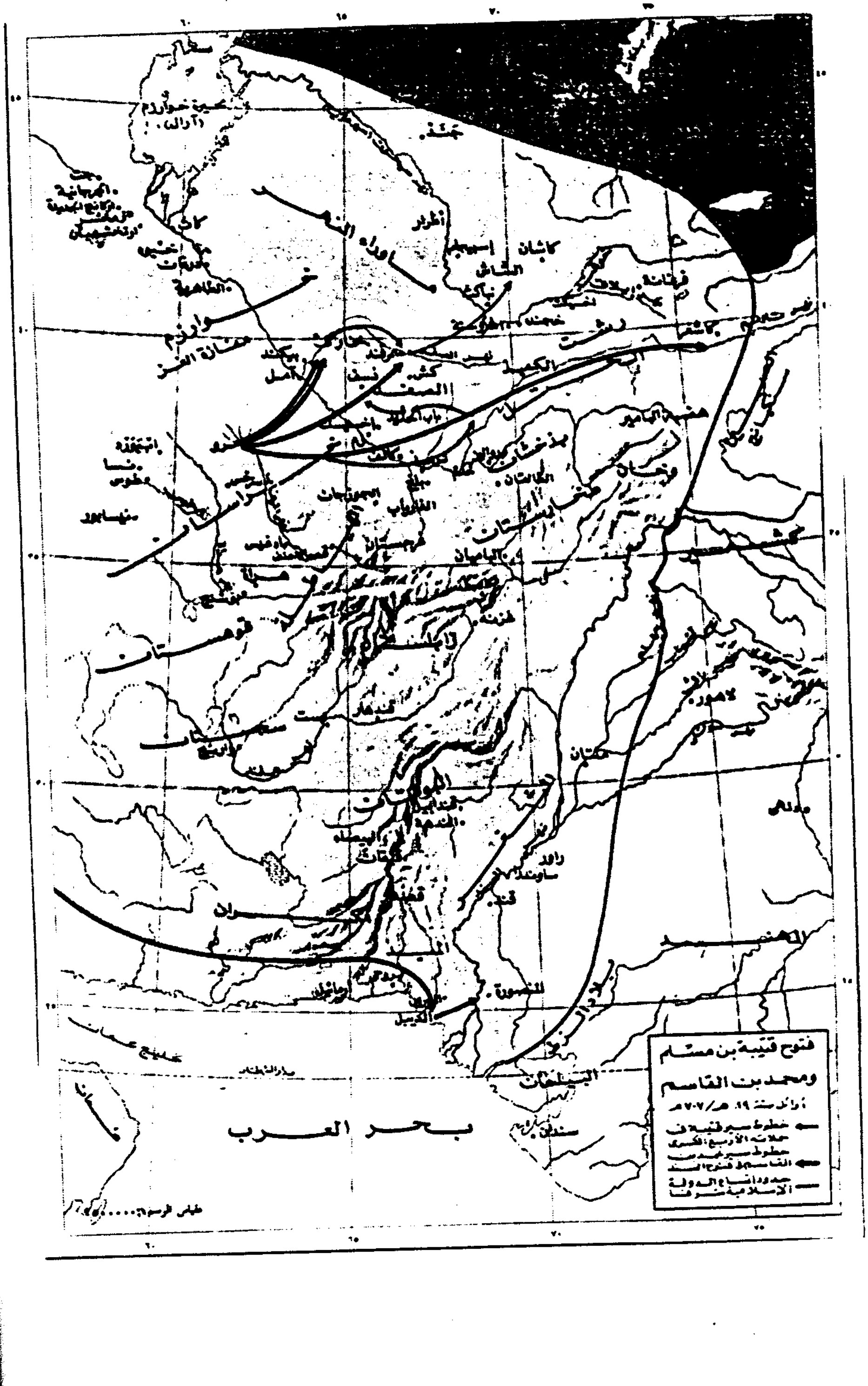
---

(١) النرشخى ، مرجع سابق ، ص٧٣ ، قوراد (أ. نعمت) استيلاء قتيبة على خوارزم وسمرقند ، مجلة كلية اللغة والتاريخ والجغرافيا ، جامعة أنقرة ، نوفمبر – ديســمبر ١٩٤٨ ، ج٦ ، العدد ٥ ، ص٣٩٤ .

(٢) فامبرى ، تاريخ بخارى ، ترجمة أحمد محمود الساداتى ، القاهرة ١٩٥٦، ص٦٧ .

(٣) انظر قول النرشخى فى حق قتيبة : "فليجعل الله ذخيرته فى آخرته " ص٧٣ ، وانظر أيضا ابن كثير ، البداية والنهاية ، بيروت ١٩٦٦، ج٩ ، ص١٧٢.

(٤) جب (هـــ . أ . ر.) ، الفتوحات العربية فى وسط آسيا ، ترجمة إسماعيل حقى ، استانبول ، ١٩٣٠م ، ص٤٨ .



فتوح قتيبة بن مسلم
ومحمد بن القاسم
خطوط سير قتيبة في حملاته الأربع الكبرى
خطوط سير محمد بن القاسم في فتوح السند
حدود اتساع الدولة الإسلامية شرقاً
بحر العرب
خوارزم
ما وراء النهر
خراسان
قوهستان
سجستان
قندهار
الملتان
لاهور

المبحث الثانى : سياسة الأمويين فى آسيا الوسطى بعد قتيبة

بعد موت قتيبة حدثت حركة تراجع للعرب فى المنطقة وتوقف عن أسلمة المنطقة، وقد واجه الأمويون مشاكل جمة فى بلاد ما وراء النهر كان أبرزها طموحات الأمراء الأتراك الذين أبقاهم الأمويون يحكمون بلادهم تحت السيادة الإسلامية ، وكان معظم هؤلاء تربطهم بالدولة الأموية معاهدات نظمت العلاقات بين الطرفين – وبصفة خاصة التعاون العسكرى والمالى – ولكن هؤلاء الأمراء كانوا يحاولون القفز فوق تلك المعاهدات مستغلين فترات الضعف والاضطراب التى كانت تمر بها الدولة الأموية فى أواخر أيامها ، والتى امتلأت بحوادث الصراع بين الأمراء الأتراك الثائرين والعمال الأمويين ، ومن أمثلة ذلك ثورة أمير فرغانة بعد وفاة قتيبة – ومحاولته استرداد نفوذه القديم وثورات بخارى وسمرقند. لكن الدولة الأموية لم تتهاون فى مواجهة تلك الثورات وقمعها ، ونجحت فى إخضاع أغلب الأمراء ، الذين بدءوا يدخلون فى الإسلام خاصة فى عهد الخليفة "عمر بن عبدالعزيز" الذى دعاهم للدخول فى الإسلام – وبعده بدأوا يتأقلمون مع الوضع الجديد ويتآلفون مع العرب ، وبدأوا يدافعون عن الإسلام بحماس ضد الأتراك الشرقيين ، الذين توالت إغاراتهم على بلاد ما وراء النهر، وأخذوا يشكلون خطرًا على الدولة الأموية التى تصدت لذلك الخطر بجرأة وجسارة.

وفى الحقيقة، فإن الولاة الأمويين – باستثناء عمر بن العزيز – لم يهتموا بحركة الفتوح الإسلامية ولم يساعدوا فى تطورها وعملوا على استمرارية الأوضاع كما هى؛ وذلك لأنهم كانوا يسعون لمآرب أخرى وهو ازدياد شهرتهم التى استمرت سنوات طويلة فى تركستان .

وظلت الدولة الأموية والأتراك الشرقيون فى صراع يتبادلون النصر والهزيمة حتى رجحت كفة الدولة الأموية على يد الوالى الشجاع "أسد بن عبدالله القسرى" ١١٧-١٢١هـ و "نصر بن سيار" ١٢١-١٢٩هـ الذى حظى بمكانة فى تاريخ الجهاد الإسلامى فى تلك البلاد لا تقل عن مكانة "قتيبة بن مسلم" فهو الذى حمى بلاد ما وراء النهر من خطر الأتراك الشرقيين .

وقد تولى ولاية خراسان بعد "قتيبة يزيد بن المهلب" ، وفى عهد يزيد تم إسلام عدد من كبار الأتراك من أشهرهم "الأمير صول تكين" وهو أول أمير تركى يشهر

إسلامه أمام قبرالرسول "صلى الله عليه وسلم" وعاش بقية حياته فى العمل من أجل الدعوة إلى الإسلام وهداية البشر مهتديًا بسنة رسول الله "صلى الله عليه وسلم" (١) .

وتسجل المصادر أنه أثناء فترة إسلام صول تكين تأسس ما يقرب من ٤٠ جامعًا ومسجدًا فى مناطق وقرى جرجان التى استولى عليها يزيد، أما يزيد فكان يعمل طوال مدة ولايته على جمع الثروة مما أدت إلى الإطاحه به (٢) .

عهد عمر بن عبدالعزيز فى آسيا الوسطى :

ولد الخليفة عمر بن عبدالعزيز فى المدينة المنورة وهو ابن عبدالعزيز بن مروان والى مصر ومن نسل الخليفة عمر بن الخطاب من ناحية أمه (٣) . وهو عالم ، عابد زاهد عادل من أفضل خلفاء بنى أمية(٤) .

عمل على تأكيد المساواة بين الجميع وأعاد تنظيم الإدارة الأموية لفئات لا تؤخذ منهم الجزية ، والبعد عن جمع الثروة بالإضافة إلى إجراءاته فى تغيير الاوضاع الاجتماعية والإدارية التى كان يعانى منها الموالى ، وعمل على تأسيس دولة إسلامية سليمة البنية الاجتماعية ، ففتح حركة أسلمة واسعة النطاق وقرب بين الأقوام التى تختلف فى اللغة والعرق والثقافة .

وفى عهد عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ) دخل كثير من أهالى بلاد ما وراء النهر الإسلام بفضل سياسة عمر العادلة . حيث اعتبر المؤرخون عهد عمر ابن عبدالعزيز عهدًا ذهبيًا فى آسيا الوسطى .

ومن ناحية أخرى فقد أدت بعض تصرفات الولاة الأمويين وتطبيقاتهم المتعنتة فى آسيا الوسطى والخاصة بتحصيل الجزية من الذين دخلوا الإسلام حديثًا فى هذه المنطقة حيث فرض هذا التطبيق "الحجاج بن يوسف الثقفى" واستمر فيه الولاة الأمويون حتى جاء "عمر بن عبدالعزيز" فأمر الولاة وقادة الثغور بالغائه ، بل وأمر برد المال الذى أخذ منهم إلى أصحابه عن طريق موظف حكومى خاص جاس آسيا الوسطى كلها قرية قرية وقصبة قصبة ، حتى رد هذا المال إلى أصحابه وأمر بمنع التطبيقات الحكومية السيئة التى كانت محل شكوى مزارعى آسيا الوسطى ، وبذلك

(١) السخيمى ، تاريخ جرجان ، حيدر أباد ، ١٩٣٧م ، ص١٩٤ .

(٢)ZekeriyeKitapci,cagdas IslamTarihiveTurkstan,Istanbul,١٩٨٦,s.٢٦٢.

(٣) ويلهاوزن ، مرجع سابق، ص١٢٦ ، حسن صدقى ، أبطال الإسلام ، كراتشى ١٩٦٥ ، ٧٣.

(٤) انظر المسعودى ، مروج الذهب ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية، بيروت ، ١٩٨٧م ، ج٣ ، ص١٨٣ ، ابن تقتقة الفخرى ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص١٠٩ .

منع بشدة تحصيل الخراج من الفلاحين الذين أسلموا، ومنع بشدة أية حروب تقوم فى آسيا الوسطى بعد ان كانت الجيوش العربية تقوم بحملات عسكرية على الأتراك عموما وكانت هذه الحروب قد ادت إلى موت آلاف البشر وجعل "عمر بن عبدالعزيز" من سياسة استمرار الدعوة الإسلامية مسألة أساسية فى الدولة الأموية خاصة فترة خلافته[1] .

وفى بداية عهد عمر اهتم بتعيين شخصيات مناسبة الجديدة فى بعض المناصب المهمة حيث عين عدى بن أرطاة الفزارى على البصرة وعبدالحميد بن عبدالرحمن القرشى على الكوفة ، وعمر بن هبيرة الفزارى على الجزيرة ، وعمر بن مسلم (اخا قتيبة) على الهند ، وعين الجراح بن عبدالله الحكمى على خراسان[2] .

كما قام عمر بمنع الحروب التى تقع فى تركستان السفلى ومنع العرب من البدء بالقيام بأية حملات على الأتراك ، وذلك لأنه رأى أن القيام بهذه الأعمال لم يكن إلا لكسب الغنائم ولم تكن حربًا مقدسة لنشر الإسلام ولهذا فقد أمر بتحريم تلك الحروب.

وكانت إستراتيجية "عمر بن عبدالعزيز" فى نشر الدعوة الإسلامية فى آسيا الوسطى تقوم على اعتبار المنطقة تربة صالحة لحركة الدعوة الإسلامية التى نالتها منذ فترة طويلة ولعلها كانت منذ ولايته للعهد . وفى بداية خلافته قام عمر بعزل "يزيد بن المهلب" الذى كان معروفًا بظلمه وجبروته وعين بدلاً منه "الجراح بن عبدالله الحكمى" واليًا على خراسان لنشر الإسلام على يديه لكن نشأة الجراح فى مدرسة "الحجاج بن يوسف الثقفى" قد أثرت فيه فلم يستطع أن يكون لينًا مع أهل آسيا الوسطى ، لانه أراد بعد فترة من ولايته أن يغزو أواسط آسيا الوسطى لكنه وجد مقاومة عنيفة من الأتراك وانتهت حملته بالفشل .

وحينما عين الجراح واليًا على خراسان أرسل إليه عمر رسالة قال فيها : "لا تغز بالمسلمين وأحكم قبضتك كل الإحكام على ما فى يدك من الأراضى" وقد حاول "الجراح بن عبدالله الحكمى" إقناع الخليفة عمر بن عبدالعزيز بقبول سياسته فى أسلمة آسيا الوسطى عن طريق العنف ، وذلك فى رسالة كتبها له جاء فيها "إن قدمت على خراسان فوجدت قومًا أبطرتهم الفتنة فليس يكفيهم إلا السيف والسوط[3]

---

(1) انظر كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة بنيه أمين فارس ، دار العلم للملايين، بيروت ، ط١٤ ، ٢٠٠٠م ص ١٤٩، ١٥٠ .

(2) الطبرى ، مرجع سابق، ج٦ ، ص٥٥٧ .

(3) الطبرى ، مرجع سابق، ج٦ ، ص٥٦٠ . ابن الأثير ، مرجع سابق، ج٥ ، ص٥٢ .

"فرد عليه "عمر بن عبدالعزيز" بقوله : "قد بلغنى كتابك تذكر أهل خراسان : وأنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط : كذبت ، بل يصلحهم (العدل) و (الحق) فابسط ذلك فيهم : يا ابن أم الجراح .. أنت أحرص على الفتنة منهم .. لا تضربن مؤمنًا ولا معاهدًا سوطًا واحذر القصاص .. فإنك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وتقرأ كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها"([١]). وفى هذا رد قاطع على كل من يتهم الإسلام بأنه انتشر بقوة السيف .

ونتيجة لهذه المواقف التى أبداها الجراح قام عمر بعزله بعد ولاية قصيرة كانت مدتها سنة وخمسة أشهر وعين مكانه "عبدالرحمن بن نعيم القشيرى" ([٢]) . مع أن الجراح كان فى شخصه مثالاً للنزاهة والاستقامة فحينما ترك خراسان خطب في الناس قائلاً :

"يا أهل خراسان جئتكم فى ثيابى هذه التى علىّ وعلى فرسى ولم أصب من مالكم إلا حلية سيفى" ([٣]) .

ولقد بذل "عمر بن عبدالعزيز "جهدًا كبيرًا فى إقرار الأمن والاستقرار فى آسيا الوسطى بقدر استطاعته حتى أنه فكر فى نقل الأسر العربية التى إستأهلت المدن الكبرى فى آسيا الوسطى وإجلاء العرب عن سمرقند لكن أتراك آسيا الوسطى اعترضوا على قرار إخلاء سمرقند من العرب وأعربوا عن رضائهم وامتنانهم من العرب ومن الحياة معهم ([٤]) .

وقد كانت سعادة عمر بالغة حال سماعه أنهم راضين على البقاء فى أماكنهم بجانب العرب ([٥]) .

ولقد شجع الخليفة "عمر بن عبدالعزيز" أنشطة الدعوة الإسلامية الفردية أيضاً وبذل العون المادى من بيت المال للأشخاص الذين امتهنوا الإرشاد الفردى واشتغلوا به ، وكما ذكر ابن كثير أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز رصد مبلغ مائة دينار فى العام من بيت المال لكل داعية ([٦]) . وبدأت فى ذلك الحين عمليات دخول الناس إلى الإسلام بشكل جماعى بعد أن كانت فردية بفضل مساعى عمر بن عبدالعزيز

([١]) الطبرى ، مرجع سابق، ج٩ ، ص١٣٥٥ ، ابن الأثير ، مرجع سابق، ج٥ ، ص٥١ .
([٢]) الطبرى ، ج٦ ، ص٥٦٠ .
([٣]) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
([٤]) المرجع نفسه، ص٥٦٨ .
([٥]) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
([٦]) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص٢٠٧ .

ومجهوداته فى نشر الدعوة الإسلامية ، بالإضافة إلى أن سياسته كانت تجنح إلى المسالمة ويرى أنها كفيلة بحل المشكلات وجمع الشمل وتوحيد الكلمة، وأصبح الإسلام حركة فعالة لها أثرها الكبير فى آسيا الوسطى حيث تولد على الساحة مجتمع إسلامى جديد .

والأمر الذى يحسب لعمر بن عبدالعزيز فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية هو إصدار الكتب إلى أبرز الحكام المعاصرين له وخاصة حكام الترك يدعوهم فيه للإسلام اقتداء برسول الله "صلى الله عليه وسلم" فقام بتوجيه الدعوة لتبليغ كلمة الله ، وقد نجح فى مسعاه وأسلم بعض الملوك الذين أعجبوا بالحياة الإسلامية ، ومن هنا تصدرت اللغة العربية واستخدمت فى مخاطبة حكام الترك والطبقة الأرستقراطية وقد أسلم بعضهم ، منهم "نيزاك" ، و"طرخان" و"طوغ شاد" ملك بخارى و"صول تكين" أمير جرجان ودهستان (١) .

ويقال أن الأمراء الذين أسلموا على يد عمر غيروا أسماءهم وتسموا بأسماء إسلامية (٢) .

وقد وصلت هذه الكتب التى أصدرها عمر إلى الهند ، وتذكر المصادر ان ملك الهند أرسل إلى عمر رسالة تشير إلى عظمة اعتناقه للإسلام جاء فيها : "من ملك الهند والسند إلى ملك العرب أما بعد ، فإن الله قد هدانى إلى الإسلام فابعث إلىَّ رجلاً يعلمنى الإسلام والقرآن وشرائع الإسلام ، وقد أهديت لك هدية من المسك والعنبر والند والكافور فاقبلها فإنى أخوك فى الإسلام" (٣) .

وقد ظل ملوك الهند الذين شرح الله صدورهم للإسلام على الإسلام حتى عهد الخليفة هشام بن عبدالملك .

وكان عمر بن عبدالعزيز نموذجًا مشرقًا بين خلفاء أمويين لا هم لهم سوى مصلحتهم الشخصية وكان عهده أزهى عهود بنى أمية . وقد أبلى عمر خير بلاء فى سبيل إقرار الأمن والاستقرار فى تركستان السفلى على الرغم من قصر مدة خلافته التى دامت سنتين وخمسة أشهر (٤) .

---

(١) ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ، ج١ ، ص١٦٦ .
(٢) البلاذرى ، مرجع سابق، ج٣ ، ص٥٤٠ ، ابن الأثير ، مرجع سابق، ج٥ ، ص٥٥ .
(٣) ابن تغرى بردى ، ص٢٤٠ .
(٤) الطبرى ، ج٩ ، ص١٣٦١ . أبو الفرج الأصفهانى ، الأغانى ، ج١ ، ص١٣٩ .

وننهى حديثنا عن عمر بن عبدالعزيز وسياسته الناجحة العادلة بقول محمد فؤاد كوبريلى العالم التركى الجليل حيث قال : "لو كانت الأفكار المهمة للخليفة عمر بن عبدالعزيز مثل إعفاء المهتدين من الجزية، وإنشاء الطرق والحمامات والخانات ، وإرساء دعائم إدارة عادلة منصفة فهمت وطبقت على الوجه اللائق لكانت تركستان السفلى أسلمت فى غضون فترة وجيزة للغاية (١) .

وبعد وفاة عمر عاد الولاة مرة أخرى إلى العمل على تجميع الثروة وجمع الضرائب وبدأت المنطقة تدخل فى سلسلة من الفتن والأزمات التى استمرت فترة من الزمان (٢) .

عهد هشام بن عبدالملك

(١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) "ولى نصر بن سيار" على خراسان، وكان ذلك عام ١٢٠هـ فاستطاع توطيد دعائم الحكم الأموى إلا أنه فى أواخر العهد الأموى حلت روح العصبية فى البلاد وعمت الفتن والاضطرابات وبدأت الدعوة العباسية تأخذ طريقها فى البلاد .

وقد نبغ فى هذه المناطق كل من الإمام البخارى ، والإمام مسلم، والترمذى ، والنسائى ، والبيهقى ، وهم من أئمة الحديث ، والطبرى المؤرخ والمحدث والمفسر الذى عاش فى بخارى .

وظهر فى المنطقة "مسعد بن المهلهل الخزرجى" الرحالة والجغرافى والشاعر ، و"الخوازرمى" المؤرخ والشاعر ، و"ابن سينا" الطبيب الفيلسوف ، و"الغزالى" صاحب كتاب إحياء علوم الدين، و"الزمخشرى" من أعظم ائمة التفسير.

وقد ظلت هذه المناطق تابعه للدويلات الإسلامية بالمشرق حتى اجتاحها "جنكيز خان" أوائل القرن ٧هـ = ١٣مـ .

---

(١) Mehmet Fuat kopurlu,Turk edebiyatinda il; Mutasavuflar, Ankara,١٩٦٦,s.٩.

(٢) جورجى زيدان ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، إستانبول ، ١٣٣٠ ، ج٤ ، ص١٤٣ .

المبحث الثالث : عهد الدولة العباسية فى آسيا الوسطى

أظهر العباسيون ميلاً كبيرًا نحو الفرس ، واختاروا نشر دعوتهم للإسلام فى الكوفة وخراسان اللتين كانتا مهد التشيع من قبل ، واتخذ الخلفاء من الخراسانيين حرسًا لهم . وقد ظهر مَيل العباسيين للخراسانيين فى قول "أبى جعفر المنصور" محدثًا أهل خراسان بقوله : "يا أهل خراسان ! أنتم أنصارنا وأهل دعوتنا" ، كما أوصى المنصور ابنه المهدى بالخراسانيين خيراً فقال : "أوصيك بأهل خراسان خيرًا فإنهم شيعتك الذين بذلوا أموالهم فى دولتك ودماءهم دونك ، لا تخرج محبتك من قلوبهم ، وأحسن اليهم وتجاوز عن مسيئهم" (١) .

وفى عهد الدولة العباسية تم مواصلة السياسة التى انتهجها الأمويين رغم أنها كانت تواجه الخطر الصينى المتمثل فى الأطماع الصينية فى آسيا الوسطى ، وكانت الأطماع الصينية ترمى إلى الاستيلاء على طرق التجارة التى تعبرها القوافل من الشرق الأقصى إلى بلاد ما وراء النهر ثم إلى موانئ البحر الأسود والبحر الأبيض ثم إلى أوروبا .

وكانت أعظم الانتصارات العربية فى آسيا الوسطى تلك التى انتصر فيها العباسيون على الصينيين فى معركة "طالاس" سنة ١٣٤هـ - ٧٥٢م . وفى عهد العباسيين انتشر الأمن على الحدود وشجع العباسيون الأتراك على اعتناق الإسلام بالإكثار من استخدامهم فى الإدارة ، بل وفى الجيش نفسه ، وبمعنى آخر توسع العباسيون فى باب توظيف أتراك أسيا الوسطى داخل أجهزة الدولة أكثر بكثير مما فعله الأمويون حيث انشأ "الفضل بن يحيى البرمكى" فرقة كبيرة من الأتراك بلغ تعدادها ٥٠٠٠٠ فى منطقة خراسان بعث بها إلى بغداد (٢) .

وقد دعا "الخليفة المأمون" ١٩٨هـ كثيرًا من زعماء الترك من آسيا الوسطى إلى الدخول فى خدمته فى بغداد ، وألحق كثير من فرسانهم بحرسه الخاص. واستمر هذا التقليد فى عهد "المعتصم" وكانت أمه تركية الأصل حين ظهر الحرس التركى ، وفيه من الصغد وفرغانة وأشروسنة والشاش ، وكانوا دعائم الخلافة حيث قرَّب هذا الأمر بين أتراك آسيا الوسطى وبين الإسلام ، وساعد أيضاً على انتشاره وعلى تثبيت السيادة الإسلامية، بل وأخذ أتراك آسيا الوسطى أنفسهم يتبنون حركة الجهاد ونشر الإسلام بين جيرانهم الأتراك الشرقيين (٣) وقد تبع انتشار الإسلام على ذلك انتشار الثقافة العربية فخرجت من كونها ثقافة الوافدين من العرب ، بل توطنت بين

---

(١) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، دار الجيل ، بيروت ، ص٧٧ .
(٢) المرجع السابق، ص١٥٧ .
(٣) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ مصر فى العصور الوسطى ، النظم الإسلامية ، ط٣ ، القاهرة، ١٩٦٠ ، ص١٨٤.

أهل البلاد الأصليين الذين بدأوا فى تعلم اللغة العربية ودرسوا العلوم الطبيعية والسياسية وأضافوا الكثير إلى الإنتاج الإسلامى . وأصبح الاتراك نوابًا عن العباسيين فى حكم هذه البلاد وأصبحوا من كبار رجال البلاط العباسى (١) .

آسيا الوسطى تحت حكم الطاهريين :

فى مطلع القرن الثالث الهجرى قامت فى المنطقة مع انتهاء العصر العباسى حركات استقلالية عن الدولة العباسية (٢٦١-٢٩٥هـ = ٩٠٧-١٠٠٤م) بدأت بالدولة الطاهرية . وأصلها يرجع إلى الفرس فقد كان الطاهريون يحكمون خراسان كلها وما وراء النهر ، ويعتمدون على ولاء الخراسانيين المسلمين وولاء الأتراك الغربيين الذين استجابوا للإسلام ، وكان الطاهريون يستمدون نفوذهم الحقيقى من القوتين معًا الخراسانية والتركية الغربية . وكان الطاهريون يحتفظون بعلاقاتهم الودية مع الخلافة العباسية .

وقد حكم الطاهريون البلاد حكمًا مستقلاً وكانت عاصمتهم "نيسابور" وانصرفت سياستهم إلى تثبيت دعائم الأمن الإسلامى ، واهتموا بالإصلاحات الداخلية اهتمامًا بالغًا حيث أنفقوا نحو مليونى درهم فى حفر قنوات بإقليم الشاش، وظلت قائمة حتى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وقاموا بتشجيع الحركة العلمية فى مدن ما وراء النهر نفسها ، وبدأت مدارس بخارى وسمرقند فى الانتشار والقيام بدورها العلمى والثقافى . وقد امتاز الطاهريون بحب الكتابة والشعر، وكانت اللغة العربية لغة الحديث والأدب عندهم (٢) .

الدولة السامانية (٢٦١هـ - ٣٨٩هـ) (٨٧٤ - ٩٩٩) :

يرجع نسب الدولة السامانية إلى أسرة فارسية عريقة فى مدينة بلخ ، وكانت تدين بالديانة الزرادشتية حتى أسلم جدهم سامان فى خلافة هشام بن عبدالملك الذى خدم الدولة العباسية وساعدها فى الدعوة فى الأقاليم الشرقية ، وقد نال السامانيون تقدير الخليفة المأمون فولاهم على بلاد ما وراء النهر .

وفى عام ٢٨٨هـ هزم السامانيون الصفاريون ، وقد استنجد أهل بخارى بهم حين تعرضوا لغزو الخوارزميين عام ٢٥٩هـ فاستجابوا لهم وقضوا على الفوضى وأعادوا الأمن والاستقرار للمنطقة فولاهم الخليفة حكم بخارى والمشرق فعمرت البلاد وازدادت ثروتها .

---

(١) انظر حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، مرجع سابق ، ص١٥٨ .

(٢) أحمد شلبى ، موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، ج٨ ، ط٤ ، ١٩٩٦ ، ص٥٩.

وفى عام ٢٨٩هـ فتح إسماعيل بن أحمد السامانى طبرستان وأيده الخليفة وأضفى عليه صفة الشرعية على حكمه . وفى سنة (٢٩١) صد إسماعيل جيوش الترك الذين أغاروا على حدود البلاد الشرقية حيث قتل عددًا كبيرًا منهم وأسر عددًا آخر من بينهم ملكهم وزوجته خاتون ([1]) . وبعد وفاته سنة ٢٩٥هـ ولى ابنه أبو نصر أحمد بن إسماعيل وزالت على يديه الدولة الصفارية واستولى السامانيون على منطقة سجستان وبعد وفاته عام ٣٠١هـ ولى إسحاق بن أحمد بن أسد السامانى .

وكان الخلفاء العباسيون يعتمدون على أمراء البيت السامانى فى تثبيت سلطانهم فى بلاد المشرق . وارتفعت مكانتهم .

وفى عهد السعيد نصر بن أحمد الذى توفى سنة ٣٣١هـ وصل نفوذ الدولة السامانية فى المنطقة إلى كرمان وجرجان . ودخلت مناطق أبهر وقزوين وقم وهمذان ونهاوند تحت سيطرتها .

وخلال الفترة من (٣٣١- ٣٤٣هـ) تولى نوح بن نصر السامانى بلاد خراسان وما وراء النهر . ودخلت نيسابور ومرو وبخارى تحت سيادته عام (٣٣٥هـ) .

وتولى من بعده عبدالملك بن نوح عام (٣٤٣هـ) ثم أخوه منصور ابن نوح سنة (٣٥٠هـ) وجاء من بعده نوح الثانى ابن منصور الذى تولى عام (٣٦هـ). وفى عهده تعرضت الدولة السامانية للزوال حيث ثار عليه بعض الأمراء سنة (٣٨٣هـ) فاستعان بسبكتكين سنة (٣٨٧هـ) للقضاء على ثورتهم . واستعاد نيسابور . ومات سنة (٣٨٧هـ) وكان عهده مليئاً بالثورات والحروب الأهلية بسبب صغر سنة وتدخل النساء والوزراء وطمع الأمراء فى الحكم بالإضافة إلى طمع بنى بويه والأتراك فى بلاده .

واتخذ محمود الغزنوى فرصة هذه الاضطرابات فاستولى على نيسابور وبخارى واستقر ملكه بخراسان وأزال نفوذ السامانيين عنها([2]).

وقد قال أبو نواس فى حق السامانيين :

لن يخلف الدهر مثلهم أبدا   هيهات هيهات شأنهم عجب .

---

(١) انظر فاطمة محجوب ، الموسوعة الذهبية ، مرجع سابق، ج٢٦ ، ص٣٣٤ ، نقلا عن أحمد الإسكندرى ومصطفى عنانى ، الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه / ٢١٠ ، ورشيد عبدالله الجميلى، دراسات فى تاريخ الخلافة العباسية ، ١٥٠-١٦٩ .

(٢) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، دار الجيل ، بيروت ، ص٧٨ – ٨٩ .

ازدهار الإسلام فى العهد السامانى :

لعب السامانيون فى تاريخ الإسلام فى آسيا الوسطى دورًا كبيرًا وكان ذلك عام ٣٤٩هـ =٩٦٠م حيث ترسخ الإسلام فى قلوب الأتراك الغربيين ، بل انتشر بين الأتراك الشرقيين ، ودخلت الأمة التركية الحياة الإسلامية لتلعب فيها دورًا مهمًا.

وقد كانت آسيا الوسطى عند السامانيين بمثابة خراسان عند الطاهريين، وكان السامانيون عمالاً للطاهريين فى مدن ما وراء النهر ، فلما انتهى مُلك بنى طاهر ولى الخليفة العباسى "المعتمد" ، السامانيين على بلاد ما وراء النهر، وأصبحت آسيا الوسطى فى عهد السامانيين مصدرًا من مصادر الإشعاع الفكرى والروحى للبلدان المتاخمة لها ، والسامانيون أصلهم فارسى ، ومؤسس هذه الدولة "سامان خوداه" وكان فارسيًا اعتنق الإسلام فى خلافة "هشام بن عبدالملك" ([١]) وقد اتخذوا من بخارى عاصمة لهم .

ومن الأمور التى حققتها الدولة السامانية فى منطقة آسيا الوسطى:

١- تحويل المنطقة إلى مصدر إشعاع ثقافى إسلامى امتد من الصين شرقًا حتى كاشغر شمالاً وحوض الفولجا غربًا . ويقول الثعالبى فى يتيمة الدهر عن منطقة بخارى فى عهد الدولة السامانية أنها : "كعبة الملك ، ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر " .

وقد لمع "الرونكى" ([٢]) فى عهد السامانيين وهو مؤسس "الملحمة التعليمية" .

وظهر ابن سينا الفيلسوف والطبيب الشهير ومن مؤلفاته كتاب "القانون" المرجع الأساسى فى علم الطب بأوروبا ، كما بلغت الجغرافية العربية أوجَها العلمى فقد وضع "أبو زيد البلخى" مصورًا جغرافيًا جعله نيلاً لأطلس إسلامى قديم موضوع على أساس كتاب الخوارزمى عن جغرافية بطليموس ([٣]) .

٢- امتاز هذا العهد بدخول الصوفية المنطقة حيث أصبح رجالها إحدى القوى المؤثرة فى حياة آسيا الوسطى والتى امتدت على طول الزمان حتى وقتنا الحاضر. كما تعاظم دور الفقهاء فى توجيه الأمراء والساسة وكانوا موضعًا للشورى وتم التوفيق بينهم وبين الصوفية .

([١]) كارل بروكلمان ، مرجع سابق ، ص٢٦٢ .
([٢]) الرونكى ، شاعر سمرقندى ، قيل إنه أول من قال الشعر الجيد بالفارسية ، مات عام ٣٢٩هـ برونك وهى ناحية بسمرقند ينسب إليها الرونكى .
([٣]) المرجع السابق، ص٢٦٥ .

٣- دخول الأتراك في الإسلام واعتناقه حيث قدر تعداد الذين اعتنقوا الإسلام فى ذلك الوقت ما يقرب من مليون نسمة ، فما كاد القرن الرابع الهجرى ينتصف حتى أسلم جميع الأتراك الشرقيين وانتشر الإسلام فى المنطقة شرقًا وغربًا .

٤- إحياء اللغة الفارسية التى كسبت عامة الأتراك إلى اللغة العربية .

وكانت عناية السامانيين باللغة الفارسية كبيرة حيث قاموا بنقل بعض الكتب العربية إلى اللغة الفارسية وانتشرت الثقافة الإسلامية الفارسية وشعراؤها وأدباؤها طوال فترة سيطرة السامانيين على إقليم ما وراء النهر وأفغانستان وخراسان منذ أواسط القرن الثالث الهجرى حتى أواسط القرن الخامس . فأصبح المسلمون يتخذون من اللغة العربية لغة للعلم أما اللغة الفارسية فقد اتخذوها لغة للأدب متخذين من شعراء الفرس وكتابها نموذجًا لهم وخاصة الأشعار الصوفية التى أخذت بعدًا روحيًا لتقوية إسلامهم ، ومن آثار السامانيين ضريح اسماعيل السامانى فى بخارى .

الدولة الغزنوية (٣٥١-٥٨٢هـ)

دانت بلاد ما وراء النهر لحكم الدولة الغزنوية بداية منذ عام ٣٥١هـ حيث اتخذت من نيسابور مركزا لها وأشهر رجالها السلطان "محمود الغزنوى" الذى فتح فارس وخراسان وقضى على أهل البدع والأهواء وبنى المساجد والجوامع واستبدل بيوت الأصنام بمساجد الإسلام. وعلى حد وصف ابن الأثير "كان محمود الغزنوى عاقلاً دينًا خيرًا عنده علم ومعرفة وله كثير من الكتب فى الفنون وكان مقصد العلماء فى كل مكان ، وكان عادلاً كثير الاحسان إلى رعيته ، كثير الجهاد والغزوات وفى عهده تحولت السيادة والنفوذ من العنصر الفارسى إلى العنصر التركى" (١) .

ويمثل ظهور الدولة الغزنوية أول انتصار للعنصر التركى فى صراعه مع العنصر الإيرانى على السيادة فى الإسلام (٢) .

وفى عام ٦١٦هـ استولى "جنكيز خان" على المنطقة وشهدت صراعًا بين الإسلام والبوذية والمسيحية ، إلا أن النصر كان للإسلام على يد "طرماشير" مؤسس دولة المغول الإسلامية حيث أمر قواده وجنوده من غير المسلمين أن يعتنقوا الإسلام

(١) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، مرجع سابق، ص٩٤ - ١٠٢ .
(٢) المرجع السابق، ص١٠٩ .

وأصبح المسيطر على المنطقة . واسترد للدولة قوتها ودخل موسكو عام ٧٨٣هـ وخربها وقتل آلافا من سكانها وأحرقها ودمر كنائسها انتقاما من الروس .

وكان حرص المغول على الشريعة الإسلامية حرصاً شديدا ليس في مجال العبادة فقط وإنما طبقوا الشريعة في كافة مجالات حياتهم فكان السلاطين لا يتخذون أكثر من أربع زوجات ولم يقربوا الخمور أو لحم الخنزير وكان التقاضى يتم بينهم أمام قضاة المسلمين على المذاهب الفقهيه ، وكان فى كل مدينة قاض، وكانوا يحرصون على أداء الفرائض والسنن والزكاة والجهاد فى سبيل الله . وكان انتشار المساجد فى عهدهم كبيرًا إلى جانب الزوايا والربط التى كانت تغطى كل مكان . وظهر فى عهدهم الصوفى السيد على الهمدانى (١) .

ومما سبق يتضح لنا أن الإسلام قد انتشر فى تلك المناطق انتشاراً كبيراً وتمكن من سكان هذه المناطق لدرجة أنه تفوق على مختلف الديانات التى كانوا يدينون بها، وكان الفضل فى هذا يرجع إلى رجال التصوف الذين كانوا يجوبون الصحارى لنشر الإسلام حتى أنهم كانوا أكثر توفيقًا من العلماء الذين درسوا فى المدارس(٢).

---

(١) كمال السعيد ، الإسلام فى آسيا الوسطى ، مرجع سابق، ص٣١ ، ٣٢ .
(٢) و . بارتولد ، مرجع سابق، ص٨٧ – ٨٩ .

الفصل الثانى

الإسلام فى جمهوريات أسيا الوسطى والغزو الروسى

المبحث الأول : دخول الإسلام فى جمهوريات أسيا الوسطى - جمهورية أذربيجان - دخول الإسلام أذربيجان - جمهورية قازاقستان - دخول الإسلام قازاقستان - جمهورية أوزبكستان - دخول الإسلام أوزبكستان - جمهورية تركمانستان - دخول الإسلام تركمانستان -جمهورية قيرغيزستان - دخول الإسلام قيرغيزيا - جمهورية طاجيكستان - دخول الاسلام طاجيكستان -السياسة الروسية ودورها فى المنطقة - الاحتلال الروسى لأذربيجان

المبحث الثانى : السياسة الاستعمارية الروسية الشيوعية فى قازاقستان - الاحتلال الروسى لأوزبكستان - الاحتلال الروسى لتركمانستان - الاستعمار الروسى فى قيرغيزيا - طاجيكستان والاحتلال الروسى - السياسة الروسية لمحو الهوية الإسلامية فى المنطقة - فرض اللغة الروسية على آسيا

الفصل الثانى

الإسلام فى جمهوريات آسيا الوسطى والغزو الروسى

جمهوريات آسيا الوسطى (تركستان الغربية) تشمل الثلث الشمالى من قارة آسيا وتمثل نسبة ٥% من إجمالى مساحة قارة آسيا ، وترتبط بنهرى جيحون وسيحون ، وكان لهذه المنطقة أهميتها باعتبارها همزة الوصل على طريق الحرير للتبادل التجارى بين الشرق والغرب حتى القرن ١٦م ، وبعد هذا الوقت تحولت التجارة إلى الطريق البحرى ومساحتها الكلية تبلغ ٤,٠٤٢ مليون كم٢ وسوف نتحدث في الصفحات القادمة عن الإسلام فى جمهوريات آسيا الوسطى التى نالت استقلالها عام ١٩٩١ وأعلنت انفصالها عن روسيا وتسعى لإعادة أسلمتها الحقيقية بعد حكم روسى استمر ٧٠ عامًا جاهد وناضل من أجل طمس وتذويب شخصيتها الإسلامية.

المبحث الأول : دخول الإسلام جمهوريات آسيا الوسطى

جمهورية أذربيجان :

أذربيجان جمهورية مسلمة من ست جمهوريات إسلامية تتبع الاتحاد السوفييتى الذى يضم ١٥ جمهورية وهى الجمهورية التى تتبع القوقاز وليست لها حدود مشتركة مع الجمهوريات الإسلامية الأخرى . يحدها من الشرق بحر قزوين ومن الشمال جمهورية داغستان ومن الجنوب تركيا وأذربيجان الإيرانية (١) .

وأذربيجان تتكون من "أذر"وتعنى بالفارسية النار و"بيجان" بيت أوخازن فيكون معناها بيت النار أو خازن النار وهذه التسمية ترجع إلى الرحالة والمفكرين العرب(٢) .

---

(١) مجلة البيان ، عدد ٦٦ ، ١٩٩٣ ، ص٨٨ . وداغستان تعنى بالتركية بلاد الجبال ، وتقع شمال أذربيجان ، وتبلغ مساحتها ٥٠,٣٠٠كم مربع . ومن أهم قبائلها القوموق والآندى . ومن أهم مدنها دربند (باب الأبواب) أحد ثغور الإسلام المهمة . وللطرق الصوفية وخاصة النقشبندية والقادرية نشاط بارز هناك . وكانت لغة الداغستان الأولى العربية حتى قامت الحكومة الروسية بتحويل اللهجات إلى الحرف اللاتينى ثم الروسى .

(٢) محمد عبدالقادر، الجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٢م ، ص١٨٧ .

تبلغ مساحة أذربيجان ٨٦٦٣٠كم٢ بنسبة ٢,١% من حيث المساحة الكلية للدول الست وهى أصغرهم وعاصمتها باكو التى تقع على بحر قزوين وعدد سكانها حوالى ٦,٠٢٨,٠٠٠ طبقاً لإحصاء ١٩٧٩م([1]) وتأسست عام ١٩٢٠م واتحدت مع جمهورية روسيا من عام ١٩٢٢-١٩٣٦م إلى أن أصبحت جمهورية اتحادية فى نطاق الاتحاد السوفيتى عام ١٩٣٦م . ويدين بالإسلام نحو ٧٨% من مجموع السكان، ويوجد بينهم نسبة كبيرة من الشيعة ، أما ديانة الأقليات فالمسيحية تتصدر دياناتها ، ويعتنقها الأرمن والجورجيون ، أما اليهودية فيعتنقها عدد قليل منهم ([2]).

يتحدث الأذريون اللغة الأذرية تنتمى إلى مجموعة أوغوز وهى من اللغات التركية .

ويصف ياقوت الحموى أذربيجان بأنها "مملكة عظيمة يغلب عليها الجبال وفيها خيرات كثيرة وواسعة وفواكه جمة ، وما رأيت ناحية أكثر بساتين منها ، ولا أغزر مياها ولا يحتاج السائر بنواحيها إلى حمل إناء للماء فالمياه جارية تحت أقدامه أين توجه وهو ماء بارد عذب . ومن مدنها تبريز ، وخوى ، وسلماس ، وأرمية ، وأردبيل ([3]) .

أما شمس الدين الأنصارى المعروف بشيخ الربوة فيصفها أن بها مدينة يطلق عليها أرمية بها الجدار الذى أقامه موسى بن عمران "عليه السلام" مع العبد الصالح ، وبها أيضا مدينة مرغان التى نسى فيها موسى عليه السلام الحوت وهو ببحر الخزر ([4]) .

وأذربيجان غنية بثرواتها الطبيعية فهى من أكبر المناطق المنتجة للنفط فى العالم، وتصل نسبة إنتاجها إلى ٩٥% من مجموع إنتاج الاتحاد السوفيتى أما بالنسبة للنفط فتشكل نصف إنتاج العالم كله .

وتتميز أذربيجان بثروتها المعدنية فهى تمتلك رواسب ضخمة من الحديد الخام والنفط والغاز الطبيعى . كما تتميز بثرواتها الحيوانية وإنتاجها الزراعى .

([1]) ألكسندر بينغسن، المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى، ترجمة عبدالقادر ضللى، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ص٧٤ .

([2]) محمد عبدالعليم العدوى، العالم الإسلامى بين الماضى والحاضر والأقليات المسلمة ، ١٩٨٧، ص١٤١ .

(3) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ص ١٢٨ ، ١٤٩ .

(4) شمس الدين ابى عبدالله محمد بن ابى طالب الانصارى الدمشقى ، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، دار إحياء التراث العربى ، السلسلة الجغرافية ٧ ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٨م .

وقد ذكر القزوينى فى عجائب المخلوقات أن الخلافة العباسية خصصت وزيرًا لشئون النفط منذ القرن الثالث الهجرى ([1]) .

وتتبع أذربيجان مناطق تتمتع بالحكم الذاتى منها "تخجوان" ومقاطعة "قره باغ" التى حدثت فيها الاضطرابات الشهيرة بين الأذربيجانيين والأرمن قبيل وقوع زلزال أرمينيا الأخير .

وكان أول اختراق عربى لمنطقة القوقاز عام ١٨هـ-٦٣٩م فى منطقة أذربيجان وقد استطاعوا بسط نفوذهم على ممر دربند أو "باب الأبواب" واستولوا على أذربيجان وأرمينيا وجورجيا وسمحوا لحكام هذه المناطق بالاحتفاظ بديانتهم المسيحية([2]) .

دخول الإسلام أذربيجان :

وصل الإسلام أذربيجان فى عهد "عمر بن الخطاب" رضى الله عنه ، وكان أول وال مسلم عليها من قِبَلِه هو "حذيفة بن اليمان" ، ثم "عتبة بن فرقد السلمى" . فى عام ١٨هـ = ٦٣٨ ([3]) .

ويروى ابن الكلبى عن أبى مخنف : أن المغيرة غزا أذربيجان عام ٢٠ هـ ففتحها ثم ارتد أهلها فغزاها الأشعث بن قيس الكندى .

روى عن الواقدى أن المغيرة بن شعبة غزا أذربيجان سنة ٢٢ هـ من الكوفة ففتحها عنوة ووضع عليها الخراج .

فلما استخلف عثمان رضى الله عنه استعمل "الوليد بن عقبة بن أبى معيط" الذى غزا أذربيجان حين نقض أهلها عام ٢٥هـ، وطلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم وذكر أن الوليد بن عقبة ولى "الأشعث ابن قيس" أذربيجان وأمده بجيش عظيم من أهل الكوفة لتأمين فتح أذربيجان ، ففتحها وأسكنها بعضًا من العرب وأمرهم بدعاء الناس إلى الإسلام . ثم تولى "سعيد بن العاص" فغزا أهل أذربيجان([4]).

ثم ولى على بن أبى طالب "الأشعث" على أذربيجان ، فلما قدمها وجد أكثرها قد أسلموا وقرأوا القرآن ، فبنى مسجدها ثم وسع بعد ذلك .

([1]) محمد عبدالقادر أحمد ، مرجع سابق، ص١٨٩ .

([2]) محمود عبدالرحمن ، مرجع سابق، ص٣٣ .

([3]) مجلة البيان، أذربيجان بين الماضى والحاضر، على عبدالرحمن عواض، ص٨٧، ٨٨ .

([4]) محمد عبدالعليم العدوى، العالم الإسلامى بين الماضى والحاضر والأقليات المسلمة ، ١٩٨٧م، ص١٤٣ .

ولما نزل العرب أذربيجان وصلت فتوح المسلمين إلى مدينة "باب الأبواب" دربنت حاليًا وهى ثغر على بحر الخزر وشملت جميع بلاد شروان وجزءًا من الداغستان ، كما شملت بلاد الأرمن والكرج وبلغ المسلمون بلنجر قاعدة الخزر ، وأصبحت مدينة تفليس قاعدة الحكم الإسلامى فى المنطقة بعد أن أمن فتحها حبيب بن مُسيلمة إذ وجهه لذلك معاوية بن أبى سفيان والى الشام والجزيرة فى خلافة عثمان (١) .

واجتهد الولاة والمتصوفة في دعوة الناس إلى الإسلام ، واستمر انتشار الإسلام حتى بلغ كوبا ، وقد كانت المنازعات الداخلية التى تعرض لها حكام المسلمين تؤثر على سير الفتوح ، وفى خلافة هشام بن عبدالملك عمل مَسلمة أخو الخليفة على توطيد الحكم الإسلامى فى تلك المناطق ، ووصلت فتوح المسلمين إلى بلاد الداغستان فى عام ١٠٥هـ - ٧٣٣م ، كما قام بفتح مدينة الباب بالخزر وحاصر أهلها ... وقد ولى الثغر بعد ذلك مروان بن محمد فواصل الجهاد فى بلاد الخزر فأعلنوا إسلامهم ، وتابع مروان فى غزواته ، وأقيمت الثغور على بحر الخزر "قزوين" لتكون قواعد لحماية ديار الإسلام من جهة ، ومنطلقًا لنشر دعوته فى تلك الأرجاء من جهة أخرى ؛ وهكذا أصبح الحكم الإسلامى مستقرًا بقفقاسيا (القوقاز) فى أواخر عهد الدولة الأموية وانتشرت اللغة العربية مع دخول الإسلام ، حيث أخذت العناصر العربية المهاجرة فى دعمها ، وهكذا انتشر الإسلام فى منطقة أذربيجان أسرع من انتشاره فى غيرها (٢) .

وفى عهد العباسيين استمر ازدهار الدعوة الإسلامية ، وسار العباسيون على نهج الأمويين، وقد تولى منطقة الحدود الشمالية "يزيد ابن أسيد السُلمى" ، وذلك فى خلافة "أبى جعفر المنصور" ، واتخذ من أذربيجان قاعدة لمد الإسلام إلى الشمال .

واستمر نشاط أذربيجان كقاعدة لبث الإسلام فى المنطقة ، وتولى أمر المنطقة القائد العباسى "بغا الكبير" وفى سنة ٥٣١هـ - ١١٣٦م كانت أذربيجان من نصيب الأتابك ، ثم غزاها "جلال الدين خوارزم شاه" فى سنة ٦٣٢هـ - ١٢٢٥م، ثم حكمها المغول فى سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م وأصبحت جزءًا من إمبراطوريتهم ، ثم أصبحت تلك المنطقة أعظم معاقل الصوفيين فى سنة ٩٠٧هـ / ١٥٠٢م وبعد المغول حكمها العثمانيون حكمًا اسميًا (٣) .

---

(١) المرجع السابق، ص١٤٤ .
(٢) المرجع نفسه ، ص١٤٥ .
(٣) المرجع نفسه ، ص١٤٦ .

وشعب أذربيجان "تتار" يُنسبون إلى عناصر تركية ومغولية ، ولغتهم فرع من فروع اللغة التركية . وعاصمتهم "باكو" .

أما "تاجورنو – قاراباغ" فهو الإسم الروسى لمنطقة "داغليق قاراباغ" أو "قاراباغ" وهى منطقة تبلغ مساحتها ٤٥٠٠ كم داخل جمهورية أذربيجان الإسلامية. وهى المنطقة التى كانت مشتى لجيوش السلطان المسلم المجاهد "ألب ارسلان" صاحب موقعة "ملاذكرد" الشهيرة التى غلبت فيها الروم . وأهلها كانوا وما زالوا من المسلمين الأتراك الناطقين باللهجة التركية الأذرية .

وهذا الإقليم له موقع استراتيجى مهم ، فهو باب أذربيجان وإيران؛ لذلك ركز الروس على "قاراباغ" فاحتلوها فى صفر ١٢٢٠هـ ١٤ مايو ١٨٠٥م ، وكان قائد القوات الروسية المحتلة هو "سيسيانوف" قائد جيوش القوقاز الروسية ([1]) .

ويصل عدد المسلمون فى آذربيجان إلى ٥٦٩١٠٠٠ نسمة ويغلب عليهم المذهب الشيعى الذى تصل نسبته إلى ٧٠-٧٥% من المسلمين وقبل الثورة الشيوعية كان يوجد فى آذربيجان ٢٠٠٠ جامع و ٧٨٦ مدرسة لتحفيظ القرآن وفى عام ١٩٢٨ كان بها ٩٦٩ جامعًا للشيعة و٤٠٠ جامع للسنه هدمت فيما بعد ولم يبق منها إلا ١٦ جامعًا منها ٦ فقط مفتوحة للعبادة ويوجد بها ألف مكان سرى للعبادة و٣٠ مكان مقدس للزيارة ([2]) .

جمهورية قازاقستان :

قازاقستان إحدى الجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى وهى أكبر الدول الست مساحة بنسبة ٦٠% من المساحة الكلية . تقع فى وسط آسيا . وتحيط بها : أوزبكستان وقيرغيزيا جنوبًا ، وجمهورية روسيا الاتحادية شمالاً ، والصين شرقا([3]).

وعاصمة قازاقستان هى" الما آتا " وسكان هذه الجمهورية (حسب إحصاء ١٩٩٠م) ١٦,٥ مليون نسمة ، وبذلك فهى تحتل المرتبة الثالثة فى عدد السكان فى الاتحاد السوفيتى بعد جمهورية روسيا الاتحادية وجمهورية أوكرانيا .

([1]) محمد حرب ، المسلمون فى آسيا الوسطى والبلقان ، دار البشائر الإسلامية ، ط٢ ، بيروت، ١٩٩٥م ، ص٥٨.

(٣) أحامد فؤاد متولى ، الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز ، مركز الدراسات الشرقية عدد ١٢ ، ٢٠٠٠م ، ص٤٣ .

([3]) المرجع السبق ، ص٧٥ .

وقازاقستان تتكون من كلمتين : القازاخ أو القازاق ، وستان بمعنى أرض ، والقازاق شعب من الشعوب التركية يتحدث بالتركية ، وهو شعب مسلم سُنى [١] .

ويتكلم سكان قازاقستان اللغة القازاقية وهى لهجة من اللغات التركية معروفة باسم نوغاى [٢] وكانت لغتهم تكتب بحروف عربية حتى سيطر الروس على منطقتهم فاستبدلت بحروف لاتينية .

وتمتاز "قازاقستان" بالموقع الإستراتيجى المتفرد المهم ، والسعة فى المساحة بين الجمهوريات السوفيتية ، وتتميز بكثرة سكانها وهى الجمهورية الإسلامية الوحيدة فى روسيا التى تحتوى على معامل نووية . وقازاقستان غنية فى ثرواتها المعدنية والزراعية والحيوانية والكروم والبترول والفضة .

أما ثروتها المعدنية فهى تمتلك ٩٠ نوعًا من المعادن أهمها النحاس والرصاص والزنك والحديد الخام والفحم والمنجنيز والذهب إلى جانب إنتاجها للنفط والغاز الطبيعى .

كما تتميز بأنها أكثر الأراضى الزراعية مساحة بين الجمهوريات الإسلامية فيوجد بها ٦٥% من مجموع مساحة الأراضى الزراعية فيها . وتقدر مساحة أراضيها الزراعية بـــ ٥٠ مليون فدان .

وتمتاز "قازاقستان" بالنعم الكثيرة الاقتصادية . فهى الثانية فى إنتاج الصوف ، والثالثة فى إنتاج اللحوم ، والثانية فى إنتاج النحاس ، والثالثة فى إنتاج الفحم والبترول، والثالثة فى حجم الإنتاج الصناعى . كما أن قازاقستان كانت المصدر الرئيسى للاتحاد السوفييتى السابق فى إنتاج الرصاص والزنك .

ونسبة المتعلمين من المسلمين القازاق كبيرة فهى تصل إلى ٩٩,٧% ، والذين يحملون الشهادة الثانوية والجامعية ٥٢,٢% وقد أنشئت فى قازاقستان أكاديمية ضخمة للعلوم يتبعها ٣٤ مركز بحوث (عام ١٩٩٣م) .

---

(١) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٢) عبدالقادر أحمد ، مرجع سابق ، ص٢٠٠ .

دخول الإسلام قازاقستان :

دخل الإسلام هذه المنطقة فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) وذلك بواسطة جهود الدعاة الصالحين ورجال التصوف وتلاميذهم من تجار بخارى وسمرقند وخوقند حيث كانوا يجوبون هذه المناطق ، يهدونهم إلى الإسلام.

وفى عهد العباسيين زاد انتشار الإسلام فى منطقة قازاقستان ، خصوصاً فى عهد المعتصم العباسى ، وانتشرت اللغة العربية بمنطقة التركستان عامة ، وبرز علماء فى الدين واللغة العربية من بين التركستانيين .

وقد ازدهرت الدعوة إلى الإسلام فى ظل حكم السامانيين لمنطقة بخارى وما وراء النهر منذ القرن الثالث الهجرى ، فوصلت الحضارة الإسلامية إلى أقصى ازدهارها ، وتلك المناطق هى التى أنجبت لنا كثيرًا من عظماء الإسلام أمثال الإمام البخارى (١٩٤-٢٥٦هـ) وأبي حفص البخارى أستاذ الإمام البخارى وابن سينا وتلاميذهم وهؤلاء هم خير شاهد على ما كان فى هذه البلاد من نشاط ملموس فى الدعوة إلى الإسلام وحضارة المسلمين .

ولا تزال المدن الواقعة فى جنوب قازاقستان أكثر تدينا فى كل هذه البلاد ، وكانت فيها معظم المساجد ([1]) .

ثم توالت موجات نشر الدين الإسلامى فى القرنين الخامس والسادس عشر الهجرى بواسطة المريدين الصوفيين التابعين لطريقتى اليسوية والنقشبندية، والذين قدموا من الجنوب ([2]) .

ولكن الدين الإسلامى لم يعمق فى القلوب الا بعد الغزو الروسى لقازاقستان، ويعود انتشاره ونموه إلى جهود تجار تتار الفولجا الذين طردهم القياصرة من وطنهم، والذين كانوا يقومون ببناء المساجد والمدارس القرآنية .

كما أن إسلام الأتراك السلاجقة مكن من اشتداد الدعوة الإسلامية، إلى جانب تعرض المنطقة لغزو المغول والتتار الذى دمر معظم الحضارة الإسلامية بوسط آسيا وغربها . وعندما اعتنق المغول الإسلام تحولوا إلى قوة عظيمة لنشر الدعوة الإسلامية .. وعلى جانب آخر فقد قام رجال التصوف بدور فعال فى استقطاب الشعب للإسلام والجهاد فى سبيله . ففى أثناء الحرب العالمية الثانية جاء إلى

([1]) محمد عبدالعليم العدوى ، مرجع سابق، ص١٨١ .
([2]) الكسندر بنيغس ، مرجع سابق، ص٩٢ .

قازاقستان بعض الشيشان والأنجوش وكان لهم فضل إدخال بعض الطرق الصوفية إليها مثل القادرية والنقشبندية (١) .

وقد كان الروس الذين خضعوا للتتار المسلمين يتحينون الفرصة للانقضاض عليهم وعلى ديارهم ، وفى القرن الثامن عشر الميلادى قام الروس بفرض حمايتهم على سكان قازاقستان بحجة مساعدتهم فى صد غزوات القبائل الصينية البوذية - وبهذا استطاعوا التغلغل فى الحياة السياسية، فى المنطقة .

ويبلغ عدد المسلمين فى قازاقستان ٩٤٦٨٠٠٠ نسمة وهم من أهل السنة ويتبعون المذهب الحنفى .

جمهورية أوزبكستان :

تقع جمهورية أوزبكستان فى الجزء الجنوبى الشرقى من الاتحاد السوفيتى. وتعد ثانى أكبر جمهوريات آسيا الوسطى .

وتضم كاراكلباك وتشمل أقاليم انديزخان ، وبخارى ، وفرغانة ، وخوارزم ، وسمرقند ، وسرخان داريا ، وسرى داريا ، وطشقند أهم مراكز التعليم الإسلامى ولها حدود مشتركة مع أفغانستان وطاجيكستان فى الجنوب ، وتقع قازاقستان شمالها، وفى الشرق قيرغيزيا ، وفى جنوبها الغربى تركمانستان (٢) .

وتبلغ مساحتها ٤٤٩,٦٠٠ كم مربع بنسبة ١٠% من مساحة الدول الست الكلية.. وتضم وحدات سياسية مختلفة منها إمارة بخارى وسمرقند وخوارزم . ويوجد بها ٦٠٠ نهر أهمها نهرا سيحون وجيحون؛ ولهذا فهى تمثل موقعًا إستراتيجيا مهمًا فى المنطقة . وقد أصبحت جمهورية اتحادية فى عام ١٣٤١هـ ١٩٢٢م . وتتميز أوزبكستان بإنتاجها ٧٠% من مجموع إنتاج القطن فى الاتحاد السوفيتى، وتحتل المركز الثانى بين الجمهوريات فى تربية الماشية فهى تربى ٤,١ مليون رأس من

---

(١) المرجع السابق ، ص٩٣ . والشيشان تكونت عام ١٩٣٤م وأصبحت جمهورية مستقلة عام ١٩٣٦م وفى عام ١٩٤٤م تم طرد جميع سكانها إلى سيبريا وآسيا الوسطى ومات معظمهم فى الطريق ، ثم أعيد إنشاء الجمهورية بعد موت ستالين عام ١٩٥٧م وتقع على السفوح الشمالية لجبال القوقاز . ويزيد عدد سكانها على ١,٣ مليون نسمة ومساحتها ١٩٣٠٠كم مربع وعاصمتها جروزنى . ويتكلم الشيشان اللغتين الشيشانية والأنجوشية وتتميز ألفاظهما بعدد كبير من الألفاظ العربية والفارسية والتركية ، وكانت لغة الشيشان تكتب بالحرف العربى ثم استبدلت عام ١٩٢٨م إلى الحرف اللاتينى . وهم مسلمون شافعيون ، وللحركات الصوفية نفوذ كبير هناك وخاصة النقشبندية والقادرية .

(٢) محمد عبدالعليم العدوى ، مجلة الأزهر ، ج٦ ، السنة ٦٤ ، ١٩٩١ ، ص٦٤٤ .

الماشية كما تتميز بثروتها المعدنية فهى تمتلك رواسب ضخمة من الحديد الخام النفط والغاز الطبيعى .

يتكون سكان أوزبكستان من عناصر مختلفة أكبرها الأوزبك الذين يمثلون ٦٥,٥% من مجموع السكان ، يليهم الروس المحتلون ١٢,٥% والتتار ٤,٩% القازاق ٤%، والطاجيك ٣,٨% وقاراقلياك ٢,٥% وينتشر الروس فى معظم المدن ولا سيما العاصمة طشقند ، وأكثر من ٨٢% من سكان أوزبكستان مسلمون من أهل السنة . ويسكن شمال أفغانستان قرابة ١٥٠٠٠٠ أوزبكى (١) .

وعدد سكانها حسب إحصاء سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م هو ١٦١٦١٠٠٠ نسمة وعاصمتها طشقند .

وقد حاول الروس تغيير معالم أوزبكستان ، ومحو الطابع الإسلامى منها ولا سيما فى المدن ذات المجد الإسلامى العربى كبخارى وسمرقند وطشقند لكن المسلمين جاهدوا بكل ما أوتوا من قوة ... وكان من أثر ذلك الجهاد أن نقل الروس العاصمة من سمرقند بهدف تغيير الطابع الإسلامى منها إلى طشقند التى نزح اليها أكثر من مليون روسى واستوطنوها عنوة .

ويتكلم الأوزبك اللغة التركية وهى اللغة الرسمية للجمهورية ، وتنتشر إلى جانبها اللغة الروسية ، بينما يتكلم باقى الفئات اللغات الخاصة بها (٢) .

وأهم مدن أوزبكستان :

- طشقند العاصمة وعدد سكانها يزيد على مليون وتسعمائة ألف نسمة وتقع على نهر سيحون بالقرب من حدود قازاقستان ، ولهذه المدينة تاريخ حافل بأمجاد الإسلام والثقافة الإسلامية ، وهى الآن ذات مبان شاهقة حيث تقع وسط إقليم زراعى وتعد مركزًا صناعيًا هامًا (٣) .
- سمرقند وتقع على نهر زرافشان رافد جيحون ، وكانت عاصمة لتيمورلنك وبها مبان وآثار تاريخية تعود إلى القرنين الثامن والتاسع للهجرة، ويتجلى فيها الفن المعمارى الإسلامى ، وكانت سمرقند أيضًا منارة من منارات الإسلام فى العلم والمعرفة ، وهى تضم الآن

(١) الكسندر بنيغس ، مرجع سابق، ص٨٣ .
(٢) محمد عبدالعليم العدوى ، مرجع سابق، ص١٥٩ .
(٣) المرجع السابق، ص١٦١ .

مركزًا للبحث العلمى ومعاهد علمية ، وعدد سكانها يزيد على ربع مليون نسمة(١) .

- بخارى وتقع فى واحة جميلة يخترقها نهر زرافشان أحد روافد نهر جيحون .

وبخارى لها مكانة رفيعة فى قلوب المسلمين فهى التى أنجبت لنا كثيرًا من علماء المسلمين وعظماء المفسرين أمثال البخارى وغيره ، وقد كانت لمساجدها ومدارسها مكانتها العظيمة وظلت لمئات السنين مركزًا إسلاميًا متميزًا لا يقل عن مكة وبغداد والقاهرة فى تزويد الراغبين بعلوم الإسلام وثقافته (٢) .

وقد زخرت بخارى بنحو ١٩٧ مسجدا و١٦٧ مدرسة ، لم يبق فيها الآن سوى مسجد واحد ومدرسة واحدة ليراهما من يزور بخارى وخوارزم . وأشهر علمائها "أبو الريحان البيرونى" الذى اشتهر بالفلسفة والفلك والرياضيات والتاريخ و"أبو عبدالله محمد الخوارزمى" صاحب مفتاح العلوم ، و"محمد بن موسى الخوارزمى" واضع علم الجبر ، والإمام "الزمخشرى" صاحب الكشاف فى تفسير القرآن .

- ومن أهم مدنها أيضًا "ترمذ" المشهوره بمدارسها ومعاهدها وأسواقها وأشهر علمائها الامام الترمذى من علماء الحديث صاحب كتاب الجامع الصحيح المشهور بسنن الترمذى .

- ومن أشهر مدنها أيضًا "نسف" جنوب بخارى التى ظهر فيها "أبو اسحاق النسفى" من أشهر علماء التفسير والحديث و"أبو البركات النسفى" المفسر والفقيه وغيرهما علماء كثيرون فى علوم التفسير والكلام والحديث والأدب والفقه والتاريخ وغيرها .

- ومدينة صاغنيان وأشهر علمائها "أبو الفضائل الصاغانى" وقد فتحها قتيبة ابن مسلم فى خلافة عمر بن الخطاب ويقال إنها إحدى جنان الدنيا الأربع(٣).

---

(١) المرجع نفسه ، ص١٦٢ .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) انظر محمد عبدالقادر ، مرجع سابق، ص٢١٢ .

دخول الإسلام أوزبكستان :

وصل الإسلام إلى أوزبكستان بعد أن فتح المسلمون خراسان فى عهد عمر بن الخطاب "رضى الله عنه" بقيادة الأحنف بن قيس الذى وصل إلى مدينة هراة ثم مرو ، وفى خلافة عثمان بن عفان "رضى الله عنه" عاود الأحنف الفتح فى سنة ٣٠هـ حتى وصل إلى أعلى نهر جيحون .

وفى خلافة معاوية بن أبى سفيان ضمت خراسان إلى "عبدالله بن عامر" وعند تولى زياد بن أبى سفيان البصرة فى عام ٤٥هـ فرق عماله على أنحاء خراسان وولى عليها "الحكم بن عمرو الغفارى" وكان عفيفا وله صحبة ... وكان الحكم أول من صلى فى بلاد ما وراء النهر ... ثم ولى معاوية "سعيد بن عثمان" خراسان فقطع النهر ، وكان أول من قطعه بجنده (١) .

وهناك روايات لليعقوبى وغيره تقول أن أول من عبر نهر جيحون هو "عبدالله بن زياد" وذلك فى سنة ٥٤هـ - ٦٧٣م أثناء ولايته خراسان فى خلافة معاوية "رضى الله عنه" ، ويذكر أنه حاصر بخارى ثم فتح بيكند التى تقع بين بخارى ونهر جيحون ، وأعقب ذلك عبور "سعيد ابن عثمان بن عفان" عام ٥٥هـ - ٦٧٥م وقد أغار على بخارى وسمرقند ثم تتابعت الغزوات على تلك المنطقة حينما ولى الحجاج بن يوسف خراسان (٢) .

وفى عهد الوليد بن عبدالملك تولى "قتيبة بن مسلم الباهلى" أمر خراسان عام ٨٨هـ - ٧٠٦م حيث عبر النهر فى عام (٨٣-٨٤هـ)- (٧٠٢-٧٠٣م) فاستعاد منطقة طخارستان ثم استعاد بخارى سنة (٨٧-٩٠هـ) (٧٠٥- ٧٠٨م).

وفى الفترة من (٩٠ - ٩٣هـ) (٧٠٨ - ٧١١م) إستطاع قتيبة أن يرفع راية الإسلام فى حوض نهر جيحون ثم قام بتوجيه الحملات إلى ولايات سيحون ودانت له بلاد أوزبكستان فى الفترة من (٩٤ - ٩٦هـ) (٧١٢ - ٧١٤م) ونجح فى نشر الدعوة الإسلامية هناك وثبت دعائم الإسلام وبنى أول مسجد فى بخارى عام ٩٤هـ وواصل مسيرته حتى فتح مدينة كاشغر وقارب تخوم الصين (٣) .

---

(١) محمد عبدالعليم العدوى، مرجع سابق، ص١٦٣، نقلا عن فتوح البلدان، ٣٩٧ -٤٠١.
(٢) المرجع السابق، ص١٦٤ .
(٣) المرجع نفسه ، ص١٦٤ ، ١٦٥ .

وعندما استخلف الخليفة "عمر بن عبدالعزيز" أمر الولاية وفد عليه قوم من أهل سمرقند ، فرفعوا إليه أن قتيبة دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين بالقوة فكتب عمر إلى عامله أن ينصب لهم قاضيًا لينظر فى أمرهم ، فإن قضى بإخراج المسلمين أخرجوا، فحكم القاضى بالفعل بإخراج المسلمين إلا أن أهل سمرقند كرهوا الحرب مع العرب فطالبوا بسكن المسلمين معهم والتعايش معهم .

وفى ولاية المعتصم بالله العباسى دخلت قبائل التركستان إلى الإسلام ، وقام السامانيون بنقل الدعوة الإسلامية إلى بلاد التركستان عن طريق أحد أمراء السامانيين ويدعى "ساتوف" الذى أخذ على عاتقه نشر الدعوة الإسلامية حتى حدود الصين .

ثم دخل المغول الإسلام وامتدت حدود الإسلام إلى مناطق أبعد .

لكن بعد إمبراطورية المغول وتفتت أوصالها سهل على الروس غزوها([1]).

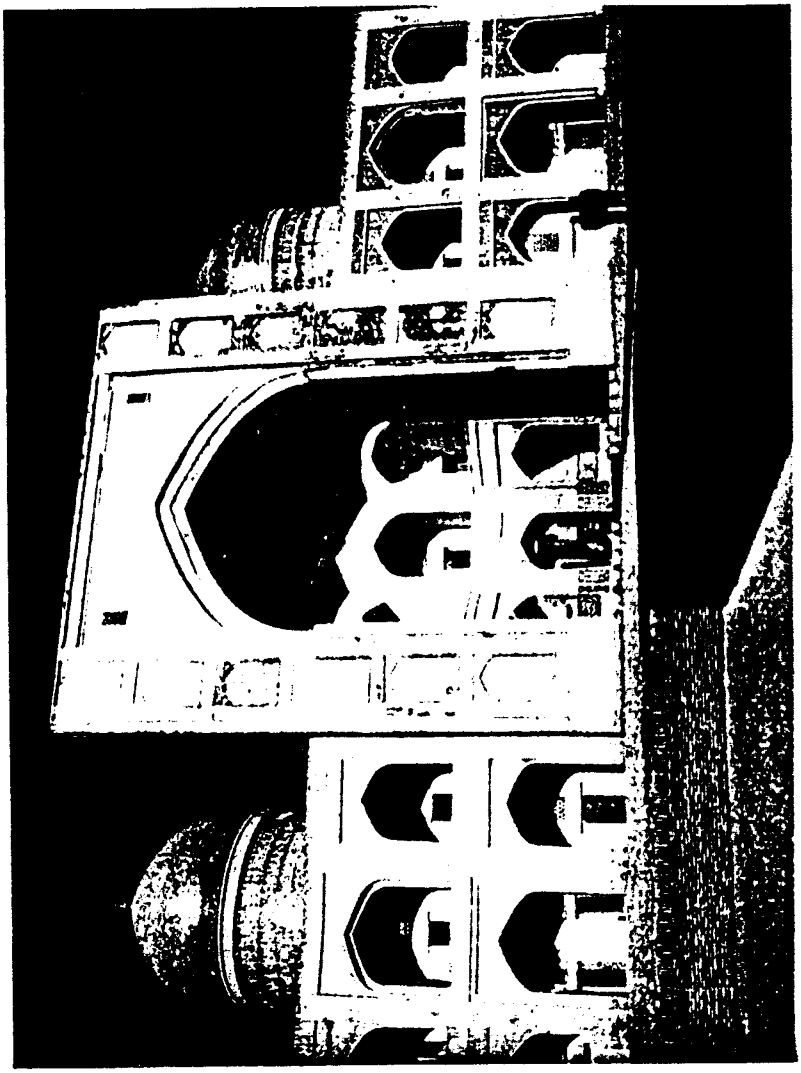
وتضم اوزبكستان معظم المدن الإسلامية ذات التاريخ الحافل بالأمجاد كبخارى وسمرقند وترمذ وطشقند وخوارزم وخوقند والتى أصبح مجدها الإسلامى صرحًا شامخًا . ويوجد فى أوزبكستان مدرستان فقط يسمح فيهما بتدريس المواد الدينية – تحت رقابة الشيوعيين وهما مدرسة (أمير عرب) فى بخارى ومدرسة الإمام البخارى فى طشقند ، ويتخذ مفتى أوزبكستان طشقند مقرًا له وهو ضياء الدين خانوف ، ويعتبر بمثابة المفتى العام لجميع المسلمين فى الاتحاد السوفيتى .. ويستقبل الوفود الإسلامية الأجنبية . وتنشر فى طشقند مجلة دورية إسلامية هى مجلة المسلمون فى الشرق السوفيتى ([2]) .

ويصل عدد المسلمين فى اوزبكستان إلى ١٤٦٠٠٠٠٠ مسلم وبلغ عدد الجوامع بها عام ١٩٧٩م إلى ١٢ جامع ويوجد بها ١٠٠ مسجد مفتوح للعبادة وتقع بها الإدارات الإسلامية الروحية وتكثر بها الطرق الصوفية وتمارس نشاطها بطريقة غير رسمية ومن أشهر الطرق الموجودة بها النقشبندية ، والكبراوية واليسوية والقادرية والقلندرية([3]).

([1]) محمد عبدالعليم العدوى ، مرجع سابق ، ص١٦٦

([2]) المرجع السابق، ص١٧٠ .

(٣) أحمد فؤاد متولى ، مرجع سابق ، ص ٥٣ .



صورة مدرسة مير عرب في اوزبكستان

جمهورية تركمانستان :

تركمانستان تتكون من كلمتين "ترك" أى الأتراك و"مان" وتعنى رجل أو جنس أو سلالة بشرية والتركمان من الأرومة التركية الخالصة التى تضم شعوبا متعددة منهم : الهوم ، طانجاج ، الأوار ، الكوك تورك ، والأغوز وغيرهم . وكان للأسر التركمانية دورًا كبيرًا فى إدارة السياسة والعلاقات بين الدول الكبيرة فى ذلك الوقت وهى الدولة العثمانية فى الأناضول والدولة الصفوية فى إيران ، ودولة المماليك فى مصر والشام(١) .

ومن أشهر القبائل التركمانية "تركمان التكة" الذين عاشوا فى منطقة آسيا الوسطى وتعود تلك التسمية التكة إلى ذكر الماعز الذى كانوا يتخذونه رمزا لهم ومؤسس هذه الاسرة يدعى تكة باشا وقد لعب تركمان التكة دورًا كبيرًا فى قيام الدولة الصفوية وهم على المذهب الشيعى (٢) .

وتقع جمهورية تركمانستان غربى نهر جيحون وهى جزء من خراسان ، وهذا الإقليم مقسم حاليًا بين جمهورية تركمانستان شرقا وإيران غربًا وتحدها قازاقستان شمالاً وأفغانستان جنوبًا . وتقع فى الجنوب الغربى من تركستان الغربية .

وتركمانستان عبارة عن منطقة هضبية تأخذ فى انحدارها الاتجاه من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى وتأخذ المظهر الجبلى والمقطع بعدد من الاودية أهمها نهرى مورغاب وهارى رود وجزء من نهر جيحون كما تضم سلاسل جبلية من بحر قزوين إلى هضبة تركمانستان وتمثل صحراء قره قوم سهول فسيحة فى تركمانستان (٣) .

وتبلغ مساحة تركمانستان ٤٤٨,٠٠٠ كم٢ وتصل نسبتها من المساحة الكلية للدول الست إلى ١٥% .

وعدد سكان تركمانستان تقريبًا يصل إلى ٣,٦٧٢,٠٠٠ نسمة وينتمون إلى عناصر التركمان وهم من أهل السنة، وقد أنجبت هذه البلاد كثيرًا من العلماء والفقهاء والمحدثين الذين أسهموا فى الدعوة إلى الله وتثبيت دعائم الإسلام (٤) .

---

(١) عبدالعزيز عوض ، التركمان بين الماضى والحاضر ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، العدد ١٩ ، ٢٠٠١م ، ص٢٧ ، ٢٩ .
(٢) المرجع نفسه ، ص٣٢ .
(٣) عبدالعزيز عوض ، مرجع سابق ، ص٣٨ .
(٤) محمد عبدالعليم العدوى ، مرجع سابق، ص١٧٢ .

أما أهم مدن تركمانستان فى العاصمة "عشق أباد" الذى بلغ عدد سكانها عام ١٩٧٥م نحو ٣٠٠٠٠٠ نسمة ، وتمتاز هذه المدينة بجمالها الخلاب حيث تجتازها مجموعة من المجارى المائية وتكثر فيها الحدائق والبساتين حولها وسكنها تركمان التكه فى القرن الماضى ثم صارت مدينة بعد الاحتلال الروس لها عام ١٨٨١م وهى اليوم مركز تجارى وصناعى وثقافى وفنى ، أما مدينة مرو فتقع فى وسط واحة جميلة تحوطها مزارع القطن وأشجار الفواكه كما أنها تقع على الخط الحديدى بين عشق أباد وبخارى. وتمتاز تركمانستان بثروتها الضخمة من النفط والغاز الطبيعى ، كما يوجد بها رواسب الكبريت والبوتاسيوم ، كما تشتهر بثرواتها الحيوانية حيث تربى أعداد كبيرة من رؤوس الأغنام والماعز.

ويتحدث التركمانستانيون اللغة التركية كما توجد عناصر مختلفة منها التتار ... وهم مسلمون من السنة على المذهب الحنفى ... ويمثل الروس ما يقرب من١٢,٦% من مجموع السكان ([1]).

ونسبة القراءة والكتابة بين التركمان قليلة ولا يوجد فيها إلا أربعين ألف شخص حصلوا على التعليم العالى . وتوجد جامعة واحدة وتسع مدارس ([2]) .

دخول الإسلام تركمانستان

تضم تركمانستان المدن الإسلامية الشهيرة مرو، وسرخس ، وبيهق ، وجزءًا من خوارزم وطبرستان ، والتى كانت مساجدها ومعاهدها الإسلامية لا تعد ولا تحصى لكثرتها ، والتى تخرج منها مشاهير العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين([3]) .

وقد دخل الإسلام تركمانستان لأول مرة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وفى عهد الإمام على "كرم الله وجهه" وجه "الأحنف بن قيس" إلى تركمانستان فوجد أهلها قد دخلوا الإسلام ، وقرأوا القرآن . والتركمان سُنّيون على المذهب الحنفى ([4]) .

([1]) المرجع السابق، ص١٧٣ ، وعبدالعزيز عوض ، مرجع سابق، ص٣٩ ، ويتكون الشعب التركمانى من عرقيات مختلفة تتشكل على النحو التالى : التركمان ٦٨,٤% ، الروس ١٢,٦% الاوزبك ٨,٥% ، القازاق ٢,٩% ، قوميات أخرى، ٧,٦% .

(٢) عبدالعزيز عوض ، مرجع سابق ، ص٣٩ .

([3]) محمد عبدالقادر أحمد ، مرجع سابق، ص٢٤٠ ، ٢٤١ .

([4]) محمد عبدالعليم العدوى ، مرجع سابق، ص١٧٥ .

وقد انتشرت بينهم الطرق الصوفية التى كان لها دور كبير فى إسلامهم وتعميق الإسلام فيهم ، وإبقاء جذوته مشتعلة فى قلوبهم . وذلك فى القرنين الثانى عشر والرابع عشر ، ومن أهم الطرق التى انتشرت بينهم الطريقة اليسوية والكبراوية والنقشبندية .

ومن أهم الجوامع الموجودة فى تركمانستان جامع "خوجه يوسف بابا حمدانى" وجامع "تلختن بابا" وجامع "بلال بابا" ومن أهم الأماكن المقدسة هناك قبر الولى "يوسف حمدانى" وكان لحمد يسوى أحد مريديه[1] . وترتبط الجماعات الصوفية هناك بالمجتمع القبلى التركمانى وزعامته وراثية تتمسك بأربع قبائل مقدسة وهم "أتا، وخوجه ، وسيد، وشيخ" ([2]) .

جمهورية قيرغيزستان :

تقع قيرغيزستان فى الجزء الشرقى من آسيا الوسطى ، وتشترك حدودها الشرقية مع إقليم التركستان الشرقية – الواقعة تحت الاحتلال الصينى – وتحدها جمهورية قازاقستان شمالاً وجمهورية أوزبكستان غربًا ومن الجنوب الغربى والغرب جمهورية طاجيكستان ، وتحيط بكل حدود قرغيزستان بلاد إسلامية . تبلغ مساحتها ١٩٧ ألف كم٢ بنسبة ٥% من المساحة الكلية للدول الست ([3]) .

وتتكون قيرغيزستان من مناطق جبلية ومناخها قارى متطرف ، تعتريه التقلبات، بارد فوق المرتفعات دافىء فى المناطق السهلية الوسطى . وإنتاجها الزراعى يتركز فى زراعة الأعلاف وتقدر المساحة المزروعة بها ٣٠ مليون فدان.

أما من ناحية الثروة الحيوانية فتتميز بتربية الأغنام والماعز وتمثل نسبة ١% من مجموع رؤوس الحيوان فى الجمهوريات الست والثروة المعدنية تتركز فى إنتاج الرصاص والزنك والفحم والنفط والغاز الطبيعى .

وعاصمتها : قرونـــزى وتبلغ مساحتها ١٩٨,٥٠٠كم مربع .

([1]) ألكسندر بنيغسن ، مرجع سابق ، ص١٠٧ .
([2]) أحمد فؤاد ، مرجع سابق ، ص٧١ .
([3]) محمد عبدالعليم العدوى ، مرجع سابق، ص١٨٦ .

ويصل عدد سكانها إلى : ما يقرب من ٣٦٥٥٠٠ نسمة ، وذلك بسبب حملات الإبادة والإذابة منذ الاحتلال الروسى القيصرى (١٨٦٦م) ثم تبعه فى نفس السياسة الاحتلال الروسى الشيوعى ([1]) .

ويتكون السكان من عناصر مختلفة ، يشكل المسلمون أغلبية بينهم حيث يبلغ عددهم ٣١٨٧٠٠٠ نسمة وهم من السنة الأحناف . وينتمى المسلمون إلى عناصر تركستانية من القرغيز والأوزبك والتتار. كما كان هناك انتشار كبير للطرق الصوفية حيث تنتشر هناك النقشبندية الذين قادوا حربًا مقدسة ضد البوذيين . والطريقة القادرية واليسوية والكبراوية هناك وقامت بأدوار مؤثرة فى الحياة الإسلامية لديهم.

وتمثل العناصر الإسلامية الآن حوالى ٥٧% وكانت من قبل تمثل ٩٢% إلا أن سياسة التهجير ، أدت إلى نقص عددهم ونسبتهم ([2]).

والمسلمون هناك من أهل السنة .. يتحدثون اللغة القرغيزية التى تكتب بالحروف الهجائية الروسية وتستعمل بقية السكان اللغة الخاصة بهم ..

دخول الإسلام فى قيرغيزيا :

عرفت هذه المنطقة ، بإقليم "فرغانة" التى وصفها ياقوت الحموى بقوله (فرغانة مدينة وكور واسعة وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان (الشرقية) كثيرة الخيرات ، يقال كان بها أربعون منبرًا (أى أربعون مسجدًا جامعًا) ... وكان لكل مدينة (مسجد جامع) .

وقد وصل الإسلام إلى هذا الإقليم بعد فتح خراسان .. ولكن الفتح الحقيقى لبلاد فرغانة ، بدأ فى نهاية القرن الأول الهجرى ، وذلك على يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلى الذى عبر خلال فتوحاته نهر سيحون ووصل إلى فرغانة ، بل تجاوزها إلى مدينة كاشغر على حدود الصين .

واعتنق العديد من أهل المنطقة الإسلام طواعية ، فى خلافة عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه ([3]) .

([1]) المرجع السابق، الصفحة نفسها .
([2]) محمد عبدالعليم العدوى ، مرجع سابق، ص١٨٧ .
([3]) المرجع السابق، ص١٨٨ .

وازداد انتشار الإسلام فى عهد العباسيين ولا سيما فى العصر العباسى الثانى فأخذت هذه الدولة على عاتقها نشر الإسلام عبر المنطقة وانتشرت فيها اللغة العربية ، وأضحت اللغة الرسمية فى دولة الخواقين .

وإلى جانب هذا قام الكثير من التجار بنشر الإسلام فى تلك المنطقة، بسبب مرور طريق القوافل – والذى عرف بطريق الحرير – بوادى فرغانة ، ومكث أحد الدعاة من هؤلاء التجار وهو "إسحاق ولى" اثنى عشر عامًا بنشر الاسلام بقيرغيزيا، وازداد الإسلام تمكينًا فى عهد السلاجقة ، ثم تعرض لفترة من الجمود فى بداية غزو المغول ، ثم تحولت الدعوة إلى مرحلة من الازدهار بعد إسلام ملوك المغول والتتار بفضل انتشار الطرق الصوفية فى المنطقة وخاصة الطريقة اليسوية، فأخذ الكثير من خواقين المغول الدعوة على عاتقهم بعد إسلامهم، بالإضافة إلى دور المتصوفة فى نشر الإسلام فيها حيث انتشرت فى القرنين ١٧ ، ١٨ الطريقة النقشبندية التى أخذت شكل الحرب المقدسة ضد البونية والقادرية التى نشأت فى وادى فرغانة فى نهاية القرن ١٨ والكبراوية وأصلها من خوارزم.

وتنشط فى قيرغيزيا أربع طرق صوفية وهى النقشبندية والقادرية واليسوية والكبراوية .

كما انتشرت الطريقة اللاتشية فى القرن ١٩ وقد انشقت عن اليسوية وطريقة "إيشان شفلو" التى اتهم مريدوها بنشاطهم المعادى للسوفيت ، وقد انشقت عن اليسوية أيضًا (١) وهكذا ازدهرت الدعوة الإسلامية بقيرغيزيا قبل استيلاء الروس عليها(٢).

جمهورية طاجيكستان :

تقع طاجيكستان فى وسط آسيا ويحدها من الشرق تركستان الشرقية ، ومن الشمال جمهورية قيرغيزيا ومن الجنوب أفغانستان ومن الغرب والشمال جمهورية أوزبكستان ، ، ويشكل المجرى الأعلى لنهر جيحون الحدود بينهما (٣).

وتبلغ مساحتها ١٤٣,١٠٠ كم مربع .. بنسبة ٣,٥% بالنسبة للمساحة الكلية للدول الست وتتكون طاجيكستان من كتلة جبلية مرتفعة ، تصل إلى أقصى ارتفاعها فى

---

(١) ألكسندر ، مرجع سابق، ص١٠١ .
(٢) محمد عبدالعليم العدوى ، مرجع سابق، ص١٩٠ .
(٣) المرجع السابق، ص١٩٣ .

الجزء الشرقى من البلاد حيث تقوم هضبة البامير التى تدعى سقف العالم وتتلاقى فوق الهضبة مجموعة من السلاسل الجبلية فى عقدة البامير وتتفرع منها صوب اتجاهات مختلفة . ويختلف المناخ فى طاجيكستان طبقًا لاختلاف السطح من برودة شديدة على المرتفعات إلى حرارة معتدلة فى الوديان.

وتقدر مساحة الأرض المزروعة بها ٣٠ مليون فدان وتقوم بتربية ٣,٤ مليون رأس من الأغنام والماعز وفى طاجيكستان رواسب ضخمة من الحديد الخام والرصاص والزنك والزئبق إلى جانب الفحم والنفط والغاز الطبيعى .

ويبلغ عدد سكان طاجيكستان وفق تعداد ١٩٨٩م خمسة ملايين و ١١٢,٠٠٠ نسمة ويعتمد اقتصادها على الزراعة والثروة الحيوانية . لكن الشعور الدينى الإسلامى أقوى منه فى الجمهوريات الإسلامية الأخرى فى آسيا الصغرى .

والأغلبية الساحقة من شعب "طاجيكستان " يتبعون المذهب السنى الحنفى. وعرقهم تركى ، وثقافتهم فارسية ويتحدثون بها ، ويقدم الإسلاميون هناك الإسلام على العرق . وعاصمتها دوشنبه وعدد المسلمين بها يصل إلى ٤٥٢٢٠٠ نسمة .

دخول الاسلام طاجيكستان :

وصل الإسلام إلى بلاد الطاجيك عن طريق المسلمين الفاتحين فى هذه المنطقة والتجار الدعاة إلى الله عبر العصور ، ففى الفترة الواقعة بين ٦٤هـ – ٦٦هـ فتح القائد قتيبة بن مسلم منطقة فرغانة. وتجاوزها نحو الشرق حتى وصل إلى حدود الصين ، وتم ذلك بفتح كاشغر ، وبعد سلسلة من الفتوحات المظفرة عاد قتيبة وتولى القيادة أخوه "صالح بن مسلم" فأكمل فتح باقى منطقة وادى فرغانة حيث توجد الآن جمهورية طاجيكستان (١) .

ومن الطاجيك ظهر الشيخ ابن سينا والشاعر الفردوسى صاحب الشاهنامه وعمر الخيام صاحب الرباعيات .

وتقول المصادر السوفيتية أن الطاجيك والأوزبك هم أشد السكان فى آسيا الوسطى تدينًا وهم سنيون على المذهب الحنفى ، وكان لكل من الطريقة النقشبندية والقلندرية دورها الكبير فى إسلام طاجيكستان ، وهناك فئة خاصة هم شبه متصوفين

---

(١) المرجع نفسه ، ص١٩٥ .

وشبه شامانيين (وهى عبادة قديمة يغلب عليها أعمال السحر والشعوذة وعبادة الطبيعة والقوى الخفية وترجع إلى الشعوب البدائية)[١].

وخلال فترة حكم دولة السامانيين فى خراسان وما وراء النهر ومنطقة فرغانة ازدهرت الدعوة الإسلامية فى عهدهم . وفى عهد الغزنويين وخاصة فى عهد محمود الغزنوى زادت قوة الدعوة الإسلامية فى المنطقة ثم جاء الأتراك السلاجقة فأسسوا دولة واسعة ، ثم اجتاح المغول منطقة وسط آسيا بعد ضعف الدولة السلجوقية ، ثم أخذ ملوك المغول - بعد إسلامهم - على عاتقهم نشر الدعوة الإسلامية . وعندما ضعفت الدولة المغولية انقسمت إلى دويلات مما سهل على روسيا القيصرية ابتلاعها [٢] .

المبحث الثانى : السياسة الروسية ودورها فى المنطقة

قامت روسيا بالسيطرة على منطقة آسيا الوسطى مدة سبعين عامًا واتبعت سياسة واضحة المعالم فى تلك البلاد ألا وهى القضاء على الإسلام وطمس معالمه من المنطقة ، هذا وقد بدأ هجوم مباشر ضد الدين الإسلامى فى المنطقة من قبل روسيا عام ١٩٢٨م واستمر حتى إعلان الحرب العالمية الثانية.

وقد ظهر الروس على المسرح السياسى للمنطقة منذ سنة ٩٥٩هـ. ففى عهد "إيفان" الملقب بالرهيب بدأ الروس بعد أن أصاب التفكك الإمارات المغولية المجاورة فى استعادة "قازان" - عاصمة تتارستان الآن - من أيدى المغول واعترفت قبائل "نوجاى" المغولية التى كانت تتنقل بين سهول الفولجا وجبال الأورال بتبعيتها لقيصر روسيا وعزز من موقف روسيا تزوج الأمير "إيفان" حاكم موسكو فى ذلك الوقت من الاميرة "صوفيا" ابنة آخر أباطرة القسطنطينية ، فاعتبر إيفان نفسه وريثًا لأباطرة القسطنطينية ، كما أعطى لنفسه الحق فى حماية الأرثوذكس بأجمعه.

ثم أخذت القوات الروسية خلال القرون ١٥-١٩ تزحف على المناطق الإسلامية فى آسيا الوسطى وتضمها بالتدريج إلى حدود الإمبراطورية الروسية فبدأ نشاطهم بالاستيلاء على قازان وقد دخلها "إيفان" دون قتال عام ٩٥٩هـ ، ثم لستولوا على منطقة "إستراخان" عام ٩٦٥هـ وأسكنوا فيها أعداد من أبناء جنسهم، وحولوا مساجدها إلى كنائس وتم طرد التتار منها فى منتصف القرن الحادى عشر الهجرى.

---

(١) ألكسندر بنيغسن ، مرجع سابق ، ص٩٧ .
(٢) العدوى ، مرجع سابق، ص١٩٦ .

ومن الجدير بالذكر فإن عمل هؤلاء الذين تولوا نشر الإسلام فى تلك المناطق أنهم كانوا يتجهون فى أول أمرهم إلى حرب الكفار والقضاء عليهم ثم يتجهون إلى محاربة أهل البدع من المسلمين أنفسهم وقد تمثل هذا الوضع فى "أردبيل" التى تقع فى أذربيجان الشرقية (١) .

واستمرت الحرب بين الأتراك والروس فى هذه المنطقة أكثر من نصف قرن. وأصبحت آسيا الوسطى بين نار الروس وهجوم قبائل "القالموق" على بلادهم وتفشت الفتن الداخلية فى إماراتهم مما جعل الروس يحثون الخطى لاحتلال آسيا الوسطى بأقسامها الثلاث الكبيرة وهى إمارة "خوقند" ، وإمارة "بخارى" وإمارة "خوارزم" (خيوة) .

وقد ساعدت عوامل كثيرة على هزيمة أهل تركستان وانتصار الروس عليهم ، من أهمها الصراع الذى استمر بين الأسر التركية الحاكمة، والصراع المذهبى بين الشيعيين والسنيين ، ثم الخلل الذى حدث فى العلاقة بين العلماء والحكام ، فبعد أن كان الحكام تلامذة ومريدين للمشايخ وعلماء التصوف أصبح العلماء فى موقف ضعيف بالنسبة للحكام، إلى جانب نشر الثقافة الروسية وإضعاف الوجود الإسلامى وإغلاق المدارس الوطنية وفتح المدارس الروسية ، ثم محاولة الروس التبشير بالديانة المسيحية الأرثوذكسية والعمل على تحويل المسلمين عن دينهم . وقد فرضوا على المسلمين أن يتنصروا أو يتركوا البلاد مثلما فعل الأسبان مع مسلمى الأندلس ، وقد تحول كثير من البشكير والتتار إلى النصرانية خوفا على أرواحهم وأرواح ذويهم بينما ظلوا محافظين على إسلامهم سرًّا لمدة استمرت ثلاثة قرون ، وقد بلغ عدد الذين تنصروا فى ذلك الوقت أكثر من ثلاثمائة ألف نسمة وظلوا على هذا الحال حتى عام ١٩٠٥م إلى أن عادوا إلى إسلامهم الحقيقى (٢) .

وقد قامت العديد من الثورات لمواجهة القياصرة كان من أهمها ثورة العمال والفلاحين عام ١٩١٦م لرفضهم دخول القتال مع الروس فى الحرب العالمية الأولى. وقد أنزل الروس بهم ضربة قاضية راح ضحيتها ٢٠٠ ألف ونفى فيها مثل هذا العدد فى سيبيريا وهرب حوالى ٣٠٠٠٠٠ إلى تركستان الشرقية . وقد أمر الحاكم الروسى على سمرقند بإشعال الحرائق فى ٥٠ قرية فيها وبلغ ضحايا هذه المحنة ٦٧٣٣٤٧ نسمة بين مقتول ومنفى وهارب .

---

(١) كارل بروكلمان ، مرجع سابق، ص٤٩٣ .

(٢) محمود محروس قشطة ، الاحتلال الروسى للجمهوريات الإسلامية ، مؤتمر المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، جامعة الأزهر، ٢٨-٣٠ سبتمبر ١٩٩٣، المجلد الثانى ، ص١٢٦ .

وكان الروس يدينون بالديانة الوثنية حتى نهاية القرن العاشر الميلادى ، حيث رفضوا الديانة اليهودية بسبب تشتتهم فى البلاد ، كما رفضوا الإسلام لأن الإسلام يحرم الخمر ويلزم الرجال بالختان ، ولم يقبلوا المسيحية الكاثوليكية لخلو حفلاتهم الدينية من مظاهر الأبهة والجلال . أما المسيحية الأرثونكسية فقد لاقت قبولاً لديهم حيث أعجبتهم ملابس القسيسين الكهنوتية وزخارف المذابح وروائح البخور التى كانت تنطلق فى كنائسهم .

فأصدر الإمبراطور "فلاديمير" مرسومًا بترك عبادة الأوثان ودخول الروس جميعًا الديانة المسيحية الأرثونكسية على أن يتبعوا كنيسة القسطنطينية الأرثونكسية . ولم تكن المسيحية متجذرة فى نفوس الروس بل إنهم تأثروا بالمظهر الكنسى الذى كان موجودًا فى كنيسة "أيا صوفيا".

وظل الروس تابعين للمسيحية حتى عام ١٩٠٥م عندما صدر مرسوم ينص على التسامح الدينى ، وكان هذا المرسوم يهدف لتهدئة نفوس المسلمين فى المناطق التى استولوا عليها ، لكنهم عملوا على قهر المسلمين على اتباع دين الدولة الرسمى .

الاحتلال الروسى لأذربيجان:

ظلت أذربيجان تحت الحكم الإسلامى إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادى عندما بدأت روسيا تحتل أجزاء من القوقاز. وقد خضعت أذربيجان لحكم روسيا القيصرية منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادى ، وفى ذلك الوقت تحولت أذربيجان إلى مجموعة من الخانيات الصغيرة المتنافسة ، فسهل عندئذ على الروس احتلالها على الرغم من مقاومة الأهالى وحكامها المحليين الذين قاوموا الروس مقاومة باسلة.

ومع توالى سقوط خانيات أذربيجان واحدة إثر الأخرى ، كان الأهالى يقومون بمقاومات كثيرة حيث اغتالوا القائد الروسى الجنرال "سيسيانوف" ، وقد أدى ذلك إلى مزيد من البطش بهم ومصادرة أملاكهم وأراضيهم حتى أن أحد المؤرخين الروس بمعهد التاريخ والفلسفة فى أكاديمية العلوم السوفيتية اعترف بما فعله أجداده من جرائم فقال : "من الجلى أن الذين حلوا فى الحكم محل الخانات من قوادنا المركزيين المختارين من بين الضباط الروس والذين أخذوا يطبقون فى أذربيجان نواة السياسة القيصرية الرجعية الجائرة ... كانوا يعاملون الأهالى أسوأ معاملة ، فكان الموظفون من رجال حكومة القيصر يرسون فى القوقاز الجنوبية قواعد نظم الاستعمار بتنفيذهم

أساليب عسكرية إقطاعية ، وأما الادعاء القائل بأن الثقافة الروسية قد أثرت على تطور الثقافة الأذرية منذ (احتلال) روسيا أذربيجان فهراء لا يمثل الحقيقة .

وقد كشفت مجلة المرأة والعائلة التركية فى عدد يناير ١٩٨٨م أن السلطات السوفيتية تضع المواد الكيماوية المسممة فى الأراضى الزراعية الأذرية بهدف العمل على تسميم الأهالى العاملين فى الأرض وكانت النساء العاملات فى الحقول تفقد قابليتهن للأمومة . كما أثبتت المجلة أن هذه السموم أدت إلى ولادة أطفال معوقين والإصابة بأمراض الكلى ، وكان هدف الحكومة فى هذا هو إبادة الشعب المسلم . وقد تكررت هذه الظاهرة فى بعض الجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى([1]).

وقد نشرت جريدة "ترود" فى أذربيجان فى عددها الصادر فى ٢٥ أغسطس ١٩٨٨م مقالة بعنوان "الأرض المسمومة" وكاتب هذه المقالة "قاسم أوف" وزير الصحة فى أذربيجان جاء فيها :

"إن أذربيجان هى أكثر جمهوريات الاتحاد السوفيتى التى رشت فيها الأراضى الزراعية بمادة "بستيسيدين" السامة كما كتب بختيار وهاب زاده شاعر أذربيجان الشهير فى مجلة "أدبيات" فى ٢٣ اكتوبر ١٩٨٧م عن هذه الظاهرة بقوله :

"تفقد الفتيات والنساء العاملات فى الحقول استعدادهن للأمومة بسبب استخدام الأدوية السامة فى زراعة القطن والشامى والفواكه ويولد أطفال معاقين ، وينتشر بيننا وباء الصفرة ([2]) .

وكان أول ما فعلته روسيا بعد احتلالها "قاراباغ" هو توطين الأرمن فيها عن طريق تهجيرهم إليها ؛ وذلك لكى يتم القضاء على الشخصية الإسلامية للإقليم ، إلى جانب القضاء أيضاً على شخصيته الوطنية الأذرية . وكانت سياسة التهجير هى السياسة الروسية القيصرية فى محاولتها الجادة المخططة لمحو الإسلام من تركستان والقوقاز .

وأخذت البيئة السكانية الأذرية فى التناقص بالفعل ، وما جاء عام ١٩٠٨م إذ وكان عدد الأرمن الذين هاجروا إلى منطقة القوقاز قد بلغ المليون نسمة ، وبالنسبة المئوية نقول : إن نسبة الأرمن عام ١٨٢٣م كانت ٢٠% من السكان وبلغت نسبتهم عام ١٩١٧م إلى ٤٣% .

([1]) محمد حرب ، مرجع سابق، ص٥٥ .
([2]) المرجع السابق، ص٥٦ .

أخذت "قاراباغ" حكم منطقة ذات استقلال ذاتى فى إطار جمهورية أذربيجان، خاصة وأن هذه المنطقة تقع فى وسط أذربيجان . وتنفيذاً لسياسة "ستالين" فى إنقاص عدد العنصر المسلم من الإقليم فقد أضحت بالضرورة نسبة المسلمين فى بلادهم قاراباغ ٢٥% من عدد السكان وارتفعت نسبة المهجرين من الأرمن إلى قاراباغ إلى ٧٥% وذلك على الرغم من أن قاراباغ إقليم مسلم تاريخيًا داخل أذربيجان والمسلمون فيه أذريون (١) .

وفى ١٣ يونيو ١٩٨٨م قامت مظاهرات ضخمة فى "أريوان" عاصمة أرمينيا ضد أذربيجان ، وحدث إضراب أرمنى عام فى أريوان للضغط على حكومة أرمينيا لانتهاج سياسة متشددة فى المسألة القاراباغية ، فقام مجلس السوفييت فى أرمينيا باتخاذ قرار بإلحاق إقليم قاراباغ بالدولة الأرمينية السوفييتية ، لكن أذربيجان أعلنت بطلان القرار الأرمنى ، معلنة أنه لا يمكن تغيير حدود جمهورية ما دون رضائها "وقاراباغ داخل حدود أذربيجان ، وبالطبع فهى ترفض تغيير حدودها لصالح أرمينيا . وقامت فى "باكو" وفى "كيروف أباد" وفى "تخجوان" مصادمات بين الأذريين وبين الأرمن ، جُرح فيها ١٢٦ شخصًا (٢) .

وقامت مظاهرات أذرية ضخمة فى "باكو" اشترك فيها ٨٠٠٠٠٠ شخص نادت بوقف المطالب الأرمنية ، وأن الإقليم المتنازع عليه يدخل فى سيادة أذربيجان. وعقب هذه المظاهرات اضطر ١٨٥,٠٠٠ أرمنى إلى الفرار من أذربيجان .

وكانت المحصلة لهذه الاضطرابات والمصادمات فى عام واحد – من فبراير ١٩٨٨م إلى فبراير ١٩٨٩م هو قتل وإصابة ١٧٤٠ شخص بين قتيل وجريح من الجنود والمدنيين الأذريين وطبقت موسكو نظام الإدارة الخاصة لإقليم قاراباغ، ووافقت أذربيجان على ذلك بعد سحب موسكو اختصاصات الإدارة الأرمينية للإقليم وأعلنت موسكو حينذاك ان قاراباغ إقليمًا أذريًا (٣) .

بعد ذلك كون الأرمن عصابات من جنود غير نظاميين ، وقام هؤلاء الجنود بإرهاب القرى الأذرية فى قاراباغ فى شهرى يونيو ويوليو ١٩٨٦م ولم يكتفوا بذلك بل دمروا خطوط السكة الحديد فى الإقليم .

---

(١) المرجع نفسه ، ص٥٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٦١ .

(٣) المرجع نفسه، ص٦٢ .

وعلى إثر ذلك كون الأذريون جبهة الشعب الأذرى فى أذربيجان لتتولى الدفاع عن حقوق الأذريين ، سواء فى قاراباغ أو فى أذربيجان نفسها . ورفضت الجبهة التعامل مع العلَم الشيوعى السوفييتى ، وأحيت العلَم الأذرى بألوانه الثلاثة. وقامت هذه الجبهة بقطع الاتصالات الحديدية والبرية بأرمينيا ، حيث إن ٨٧% من حاجيات أرمينيا كانت تمر عن طريق أذربيجان . وقد أعلنت الجبهة برنامجها كاملاً بعد تسجيلها رسميًا فى ٥ أكتوبر ١٩٨٩م (١) .

وفى ٢٨ نوفمبر من نفس العام قرر مجلس السوفيت الأعلى فى الاتحاد السوفيتى إعادة قاراباغ إلى أذربيجان مع شرط بقاء قوة عسكرية سوفيتية فى الإقليم قوامها ٥٠٠٠ جندى . إلا أن الأرمن لم يعترفوا بهذا القرار . وأعلن المجلس الوطنى الأرمنى فى "أريوان" عاصمة أرمينيا فى أول ديسمبر ١٩٨٩م أن قاراباغ رغم كل الظروف الجغرافية والتاريخية - تابعة لأرمينيا (٢) .

وبهذه النسبة استطاع الأرمن السيطرة على الأعمال الإدارية فى الإقليم ، وقاموا بأمور غريبة ، فقد ألغوا الأسماء الأذرية من الشوارع والطرقات والمدن والقرى فى إقليم قاراباغ وجعلوها أسماء أرمنية . ولم تعد تصدر فى الإقليم أى جريدة أو مجلة باللغة الأذرية ، وهى اللغة التركية فى لهجتها الأذرية ، وسيطر الأرمن على الدوائر الرسمية فى الإقليم ، بل وعلى كوادر الحزب الشيوعى ومنظماته فيه ، حتى لا تعطى الفرصة لأى أذرى لاختراقها . وجعلوا اللغة الرسمية فى الإقليم اللغة الأرمنية (٣) .

السياسة الاستعمارية الروسية الشيوعية فى قازاقستان :

قامت السياسة الاستعمارية الروسية بحرب إبادة ضد القازاق ودينهم الإسلامى، وقامت المجازر الرهيبة التى قام بها الروس ، وخاصة مذبحة عام ١٣٣٥هـ - ١٩١٦م ، الى جانب سياسة التهجير التى قام بها الروس فى المنطقة فى الثلاثينيات والتى قضت على ثلث سكان قازاقستان المسلمين .. ونتيجة لذلك فعند وصول المنفيين من مسلمى الشيشان والقوقاس والتتار القوميين إلى قازاقستان أثناء الحرب العالمية الثانية أدخل هؤلاء معهم طرقهم الصوفية "القادرية" و"النقشبندية" إلى

---

(١) المرجع نفسه ، ص٦٣ .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) المرجع نفسه ، ص٦٠ .

قازاقستان وخاصة فى المناطق الجنوبية من الجمهورية ، وقام هؤلاء المتصوفة بنشر الإسلام وتعميق الكره لاعدائه لمقاومة هذا الاستعمار الروسى الذى أطبق على المنطقة زمناً طويلاً (١) .

وقد قامت السلطات الروسية بنفى الشيخ "شدى يورطلو على خان" وهو من مشايخ النقشبندية الكبار وأعدمت الشيخ النقشبندى "منثوبه لى ما دالى" كما مات الشيخ "بهاء الدين وزيروف" وهو شيخ نقشبندى فى منطقة قازان فى مستشفى روسى للأمراض العقلية .

وبداية من عام ١٨٩١م قامت روسيا بسياسة الاستعمار الاستيطانى ، فامتلأت مناطق قازاقستان بالمتوطنين الروس . وقام هؤلاء المستعمرون بطرد السكان الأصليين من أخصب أراضيهم، كما قاموا بمصادرة أراضى الأوقاف الإسلامية لصالح الإقطاعيين من النبلاء الروس وكبار الموظفين والضباط ؛ مما أدى إلى قيام الثورات المستمرة من الشعب القازاقى . وحرب الإبادة من قبل السلطات الروسية البربرية (٢) .

ومنذ عام ١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م بدأ الروس الاستيلاء على أراضى المسلمين بالقوة وطردهم منها وتوطين المستعمرين الجدد ؛ ونتيجة لهذا القهر وسياسة السلب والنهب والتشريد انتشرت المجاعات فيهم . فمات من مسلمى القازاق ما يقرب من مليون فى المجاعات ، فى عامى ١٩٢١-١٩٢٢م كما مات مليون آخر فى مجاعة ١٩٢٦م .

وقد قامت الحكومة السوفيتية بالكثير من التجارب النووية فى أراضى قازاقستان أدت إلى موت مائة ألف مسلم نتيجة للإشعاع النووى إلى جانب إصابة مائة ألف آخرين بمرض السرطان من جراء تنفيذ التجارب النووية، وقد أدت هذه التجارب إلى موت ٢٩ فى الألف من أطفال مسلمى قازاقستان قبل أن يولدوا نتيجة تأثير هذه الإشعاعات على الأمهات، كما أدت إلى إصابة ٤٨% من المسلمين بالأمراض النفسية(٣).

---

(١) المرجع نفسه ، ص٩٣ .
(٢) محمد عبدالعليم العدوى ، مرجع سابق، ص١٨٥ .
(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها .

وبعد إعلان قازاقستان استقلالها عن الاتحاد السوفيتى أعلن الرئيس "نظر باييف" فى قازاقستان أنه مع العلمانية الغربية التى طبقتها تركيا ، وأنه النموذج الصالح لقازاقستان ، وأنه مع الحروف اللاتينية .

الاحتلال الروسى لأوزبكستان :

كانت أراضى أوزبكستان موزعة بين خانية بخارى وخانية خيوة وحكومة التركستان العامة (كراى تركستان) التى كانت خاضعة مباشرة للحكم العسكرى الروسى القيصرى منذ سنة ١٣٠٤هـ - ١٨٨٦م وكانت خانية خيوة وبخارى غير داخلتين فى جمهورية أوزبكستان ، وقد بدأ الاحتلال الروسى لمدن أوزبكستان بسقوط طشقند (الشاش) ١٢٩٢هـ - ١٨٧٥م وسمرقند سنة ١٢٨٥هـ ١٨٦٨م وفى عام ١٢٩٠هـ - ١٨٧٣م قامت روسيا بفرض حمايتها على خانية بخارى[1] .

ثم بسطت روسيا حمايتها على خانية خيوه (خوارزم) واحتلت خوقند عام ١٢٩٣هـ - ١٨٧٦م وقام الروس بتطبيق أساليبهم الوحشية فى كل منطقة يستولون عليها فكانوا يقومون بإحلال الروس محل السكان الأصليين ويبيدون المدن التى تحاول المقاومة ، إلا أن المسلمين لم يخضعوا ، بل جاهدوا المحتلَّ الغاصب وقاموا بعشرات الثورات ، وأظهر العلماء وزعماء الطرق الصوفية ومريدوهم جهادًا ومقاومة باسلة ومستترة ضد الاستعمار الروسى الذى كان يعمل على محو وإبادة إسلامهم .

وبعد إعلان قيام دولة التركستان المستقلة بقيادة علماء الدين والصوفية والمثقفين وكانت قاعدتها مدينة خوقند ، قام الروس فى ٥ فبراير ١٩١٨م بهدم مدينة خوقند ... وأبادوا سكانها وقاموا باغتصاب الفتيات المسلمات فيها .

وفى عام ١٩٢٢م سقطت بخارى أمام جحافل لينين ، كما سقطت خيوة عام ١٩٢٤م ، وتأسست فى ٢٧ أكتوبر ١٩٢٤م جمهورية أوزبكستان.

وفى سنة ٢٧ أكتوبر ١٩٢٨م أصدر ستالين مرسومًا بتكوين جمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفيتية الفيدرالية ضامًّا إليها أراضى خانية خيوة وخانية بخارى وجمهورية طاجيكستان ذات الحكم الذاتى .

وفى ٥ ديسمبر ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م قرر ستالين فصل طاجيكستان عن أوزبكستان وجعلها جمهورية فيدرالية سوفيتية .

---

[1] المرجع السابق ، ص١٦٧ .

ومرة أخرى قرر ستالين تغيير حدود ومعالم أوزبكستان الجغرافية فأضاف إليها جمهورية قارقلباك الذاتية ، وذلك عام ١٣٥٥هـ – ١٩٣٦م([١]) .

وقد قام النظام الشيوعى بعمليات هدم للمساجد التى كانت مقامة فى أنحاء أوزبكستان والتى كانت منارات يُهتدَى بها فى مدن الإسلام الزاهرة وقام بتحويلها إلى متاحف معادية للدين الإسلامى... ... إلى جانب محاربته للإسلام والمسلمين ورجال التصوف وفرض دراسة الإلحاد والشيوعية فى المدارس ومنع تدريس الدين الإسلامى منعًا باتا .

بالإضافة الى هذا فقد لعبت وسائل الإعلام دورًا أساسيًا فى تشويه حقائق الإسلام ورجالاته . وقامت بنشر مئات الكتب المناهضة للدين الإسلامى .

وتذكر المصادر السوفيتية ان أوزبكستان هى المنطقة التى تراعى فيها الأعراف الدينية بكل دقة مثل الختان والزواج الشرعى وخلال الأعوام ١٩٤٨ – ١٩٧٥م نشر ١٧٧ كتابًا ضد الدين الإسلامى ([٢]) .

وبعد استيلاء الشيوعيين عليها حاولوا جاهدين القضاء على الإسلام والمسلمين وذلك بهدم المساجد وتجريم قراءة القرآن والكتب الدينية ومنع إقامة الشعائر الإسلامية ومصادرة أوقاف المسلمين إلى جانب التصدى لرجال التصوف والعمل على إبادتهم بكل الوسائل ، وفى عام ١٩٧٩م أصبح عدد المساجد المفتوحة للعبادة (تحت رقابة رجال الحزب الشيوعى) فى جمهورية تركمانستان أربعة مساجد فقط .

الاحتلال الروسى لتركمانستان:

كان الإسلام فى تركمانستان قبل الغزو الروسى يتشكل من الدين الإسلامى الصحيح والتصوف وعبادة الأجداد التى كان يدين بها أرستقراطية البدو إلى جانب الممارسات الشامانية ديانة الترك القدامى([٣]).

وقد احتل الروس هذه المنطقة الواسعة بدءًا من عام ١٣٠٠هـ – ١٨٨٢م وقامت روسيا – بعمليات إبادة وإذابة لسكان تركمانستان ، ثم احتل الروس محل السكان الأصليين ، وأقاموا لهم المستوطنات وبدأوا بمشاريع مائية لتوطين الروس فيها حيث

([١]) محمد عبدالعليم العدوى ، مرجع سابق، ص١٦٨ ، ١٦٩ .
(٢) أحمد فؤاد ، مرجع سابق ، ص٥٣ .
(١) ألكسندر ، مرجع سابق، ص١٠٦ ، ١٠٧ .

قاموا بحفر قناة تصل المجرى الأسفل لنهر جيحون ببحر قزوين وذلك عام ١٩٥٠م . مما زاد من نشاط الصوفية كرد مباشر على الأعمال العدائية ضد الإسلام.

الاستعمار الروسى فى قيرغيزيا :

وقعت قيرغيزيا فى براثن الاحتلال الروسى القيصرى عام (١٢٨٣هـ - ١٨٦٦م).

وقام الروس بتأسيس الكثير من القرى بوادى فرغانة بغرض الاستيطان بها، ثم تدفقت هجراتهم إليها وأقاموا ثمانين مستعمرة داخل قيرغيزيا ، خمسون منها فى وادى فرغانة الخصيب حيث طردوا منه سكانه القرغيز إلى الصحارى .. وأخذ سكان البلاد يتناقصون ولكنهم قاوموا بكل ما أوتوا من قوة ، وأشعلوا الثورات المتتالية ضد الاستعمار الغاشم ، لكن الروس اتخذوا من هذه الثورات التى تطالب برد الحقوق لأصحابها ذريعة لإبادة سكان القرغيز المسلمين شيوخًا وشبابًا ، نساء وأطفالا.

وفى ثورة عام ١٩١٦م أبادت القوات الروسية ١٥٠٠٠٠ قيرغيزى، وتبع ذلك مجاعة مات فيها مئات الآلاف المسلمين ([1]) .

وقد أبيد سكان الجزء الشمالى من قيرغيزيا عن بكرة أبيهم ، ومن أفلت منهم فر إلى الصين حيث لاقى الكثير منهم حتفهم أثناء الفرار من معسكرات الاعتقال الصينية، ولم تكن الإبادة موجهة إلى الأناس فقط بل شملت مواشيهم وزروعهم .

وحينما حصلت قيرغيزيا على استقلالها الذاتى فى عام ١٩٢٦م ذاقت ألوان الذل والاستعباد والنفى والتشريد والقتل على يد الاستعمار الروسى وتم إعلان قيرغيزيا جمهورية اتحادية فى عام ١٩٣٦م ([2]) .

وواجه القرغيز ولا يزالون الإهانات والمذلة فى المناطق الجنوبية كإخوانهم فى المناطق الشمالية ، حتى أولئك الذين تظاهروا بالشيوعية كانوا يواجهون الموت الأحمر أو السجن إذا طالبوا بتوفير المنتجات الغذائية المنتجة فى قيرغيزيا لأهل قيرغيزيا أولا ثم يصدر الفائض بعد ذلك إلى روسيا ، .. وهكذا واجه الروس الشيوعيون كل من طالب بالفتات للشعب القيرغيزى حتى ولو تظاهر بالولاء لهم .. بالإبادة .

([1]) المرجع السابق ، ص١٩١ .

([2]) المرجع نفسه ، ص١٩٢ .

طاجيكستان والاحتلال الروسى :

انتهز الروس القياصرة فترة الضعف فاكتسحوا بلاد طاجيكستان على مراحل كان آخرها فى سنة ١٨٩٦م وقد أصاب المسلمين فى طاجيكستان ما أصاب إخوانهم فى سائر الجمهوريات الإسلامية ثم أعطيت الحكم الذاتى بعد استيلاء الشيوعيين عليها وذلك فى سنة ١٩٢٤م وكانت طاجيكستان تابعة لجمهورية أوزبكستان ، وتضم فى بادئ الأمر بعض المناطق العائدة لحكومة التركستان العامة السابقة ولإمارة بخارى، فلما سقطت حكومة التركستان وإمارة بخارى بيد البلاشفة الروس ، قاموا بوضع التقسيم الإدارى الجديد وجعلوا طاجيكستان جمهورية ذاتية تابعة لأوزبكستان ، ثم ما لبثوا أن أضافوا إليها القسم الشمالى من منطقة البامير وهى المنطقة المحاذية لأفغانستان وهو آخر اقليم إسلامى ضمه الروس إليهم عام ١٩٠٠م (١) .

وفى سنة ١٩٢٥م تحولت طاجيكستان من مقاطعة إلى جمهورية ذاتية تابعة أيضًا لأوزبكستان ، وفى عام ١٩٢٩م أعلن ستالين طاجيكستان جمهورية اشتراكية سوفيتية فيدرالية. وقد عانى المسلمون الأهوال تحت الاحتلال الشيوعى الذى حاول جاهدًا القضاء على الإسلام فى هذه المنطقة عن طريق تطبيق سياسة التهجير وتوطين المستعمرين الروس لإذابة العنصر الأصلى للسكان والقضاء على المسلمين.. (٢)

كما قامت الشيوعية بتأسيس جامعات تدرس الإلحاد فى دوشمبه ولنيين أباد إلى جانب تنظيم المؤتمرات المعادية للإسلام ، إلى جانب نشر ٧٠ كتابًا معاديًا للإسلام (٣) ولا يزال المجاهدون المسلمين يعملون فى وجه الحملات الدعائية الشيوعية ضد الإسلام .

السياسة الروسية لمحو الهوية الإسلامية فى المنطقة :

اتخذت روسيا سياسة شديدة المعاداة فى منطقة آسيا الوسطى بهدف السيطرة عليها، فكان الإسلام هو عدوهم الأساسى الذى يقف سدا حائلا أمام أطماعهم ، فوجهوا كل إمكاناتهم وقدراتهم للعمل على محو الإسلام من المنطقة والقضاء عليه، ومن الخطوات التى اتبعوها لتنفيذ تلك السياسة :

---

(١) محمد عبدالعليم العدوى ، مرجع سابق، ص١٩٦ .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) ألكسندر بنيغسن ، مرجع سابق، ص٩٧ .

- تفريغ جمهوريات آسيا الوسطى من مواطنيها الأتراك المسلمين واستبدالهم بعرقيات أخرى، ونقل المسلمين إلى مناطق أخرى .
- ممارسة القمع المستمر بتكلفة يسيرة بسبب القرب المكانى بين حدود روسيا ومواقع هذه البلاد .
- تدمير قوة المسلمين بإخضاعهم لموجات التنصير .
- تشريد المسلمين وقتلهم بأحكام الإعدام أو بالنفى إلى سيبريا . حيث قتل الشيوعيون فى التركستان وحدها عام ١٩٣٤م ما يقرب من مائة ألف مسلم من علماء ومثقفين وتجار ومزارعين وفيما بين سنتى ١٩٣٧- ١٩٣٩م ألقت السلطات الروسية القبض على ٥٠٠ ألف مسلم أعدمت منهم فريقًا والفريق الآخر تم نفيه فى مجاهل سيبيريا وفى عام ١٩٥٠م تم قتل سبعة الآف مسلم (١) .
- هدم المساجد وقد بلغ عدد المساجد التى تم هدمها أو إغلاقها او تحويلها إلى دور لهو ٦٦٨٢ مسجدًا .
- التخلص من رجال الدين البارزين المستقلين او المعادين ومنهم الشيخ "برهان البخارى" قاضى قضاة تركستان، والشيخ "خان مروان " مفتى بخارى . واتهامهم بالطفيلية والتجسس .
- قتل الزعماء السياسيين وتشريدهم مثل الحاج "خوجه منار" رئيس جمهورية تركستان و "مولانا ثابت " رئيس مجلس الوزراء ، و"عثمان أوراز " قائد مقاطعة كاشغر .
- استيلاء البنوك الروسية على أراضى الفلاحين التركستانيين بسبب عجزهم عن سداد الديون التى اقترضوها من البنوك .
- إغلاق المدارس الوطنية وفتح المدارس الروسية ورفض تدريس اللغة العربية ونشر الثقافة الروسية . وقد بلغ مجموع المدارس والكتاتيب التى أغلقوها فى تركستان ٧٠٥٢ مدرسة .
- تأسيس "اتحاد المناضلين الملحدين" عام ١٩٢٥م .
- إلغاء المحاكم الشرعية واستبدالها بالقوانين الشيوعية التى تنادى بالإباحية والانحلال .
- تشجيع عمليات التبشير بالديانة المسيحية الأرثوذكسية فى محاولة لتحويل المسلمين إليها (٢) .

---

(١) محمد عبدالعليم العدوى ، مرجع سابق ، ص٢٨١ .

(2)Bondensted Frederic, Les Peuples du caucase et leur d,lmdelen dance, contre la Russia Paris,1895, pp. 1-5 .

- نشر المواد الكيماوية المسممة فى الأراضى الزراعية بهدف إبادة الرجال والنساء المسلمين العاملين فيها .
- إغلاق أضرحة الصالحين وأولياء الصوفية ومنع زيارتها .
- منع المسلمين من الحج إلى الأراضى المقدسة، الأمر الذى جعل المسلمين يتوجهون إلى زيارة المزارات والأضرحة المقدسة المحلية المنتشرة فى أراضيهم ، فقام الروس بالهجوم على هذه الأماكن التى يزورها المسلمون لمقابر زعماء الصوفية ورجال الدين والشهداء وقاموا بوصفها أنها "أماكن للمشعوذين والكسالى والجناة والمتعصبين" وقامت السلطات السوفيتية بالاعتداء على هذه الأضرحة فقاموا بتحويلها إلى متاحف أو نوادٍ أو قصور ثقافة، كما حولوا بعضًا منها الى إسطبلات للخيل . وكلما كان السوفيت يقومون بهذا العمل أو هدمه فإن المسلمين يعاودون بناءه من جديد وذلك مثلما حدث فى منطقة داغستان عام ١٩٥٤م.
- وضع مقابر زعماء المسلمين تحت حماية الدولة وتحويلها إلى متاحف مثل قبر بهاء الدين نقشبند قرب بخارى وقبر شاه زنده فى سمرقند .

فرض اللغة الروسية على آسيا الوسطى :

منذ اعتناق الأتراك الإسلامَ وهم يستخدمون الحروف العربية فى كتابة لغتهم ؛ تلك اللغة التى استخدمها جميع أتراك تركستان ، ووجد الروس أن تركستان منطقة واسعة ثقافتها إسلامية تتحدث لغة واحدة ؛ ومن هنا كون الروس لجنة علمية لمحاربة هذه الوحدة عن طريق القضاء على الإسلام متمثلة فى القضاء على اللغة العربية .

قامت السياسة الروسية السابقة فى منطقة آسيا الوسطى على مبدأ تحريم وتجريم استخدام الحروف العربية فى كتابة اللغة التركية ، وهى الحروف التى استخدمها الأتراك هناك منذ أن عرفوا الإسلام وكانت لغتهم بحروفها العربية جامعة موحدة لهم.

وعندما قررت الحكومة السوفيتية عام ١٩٢٤م تقسيم تركستان الغربية إلى عدة جمهوريات سوفييتية هى : "أوزبكستان " ، و "قازاقستان " ، وأذربيجان ، و "تركمانستان " ، و "قيرغيزستان " و " طاجيكستان " ، أعلنت أن كل جمهورية لها

لغة خاصة مستقلة . ويقصد القرار أن تتخذ كل جمهورية لهجتها لغة لها . ثم دبر الروس الرسميون مع بعض عناصر إدارية شيوعية محلية فى تركستان مؤتمرات تجمع ممثلين لأتراك تركستان فى الاتحاد السوفيتى، وكان الهدف من هذه المؤتمرات التمهيد لإلغاء الحروف العربية ([١]) .

وفى عام ١٩٢٨م قامت روسيا بتطبيق عملية اغتيال الحرف العربى بين مسلمى تركستان ، وكانت الحروف هى مفتاح الثقافة الإسلامية وعلوم الإسلام ، وأحلوا محله أبجدية لا تينية بها بعض الحروف الروسية "الكيريل " وراعت الإدارة الروسية عند الأخذ بالحروف اللاتينية ضرورة اختلاف بعض أشكال الحروف مع كل لهجة محلية . وكان هذا قرارًا سياسيًا يحقق أهدافا روسية سياسية .

وكان إلغاء الحرف العربى يعنى قطع صلة المسلمين بالإسلام ، كما قامت السياسة الروسية اللغوية بإصدار أمر مركزى عام ١٩٤٠م يفرض على مسلمى تركستان الغربية ترك الأبجدية اللاتينية واتخاذ الحروف الروسية الكيريلية بديلاً عن اللاتينية .

وفى عام ١٩٢٨م قام الروس بإحراق وإبادة الكتب الإسلامية، وفى هذا يقول العالم السوفيتى "باسكاكوب " عام ١٩٥٢م :

"إن من أهم الإنجازات التى وصلت إليها شعوب الاتحاد السوفيتى ثقافيًا هو اتخاذ الشعوب السوفيتية غير الروسية لنظام الخط الروسى فى الكتابة . إن الحروف الروسية ستعمل على تطوير اللغات المحلية وفى الوقت نفسه تساعد هذه الشعوب على سرعة تعلم اللغة الروسية. وبالتالى يعمل الحرف الروسى عمله فى سرعة تنويب هذه الشعوب غير الروسية وخضوعها للثقافة الروسية وتأثيراتها بشكل واضح .

ولم ينس الروس – وهم يطبقون قضية إبعاد المسلمين عن إسلامهم وتراثه– أن يحذفوا من لغة التركستانيين الكلمات والمصطلحات العربية فى هذه اللغة ، وهى كثيرة بحكم ارتباط الأتراك وغيرهم بالإسلام، واستبدال ذلك بكلمات روسية ، وملء هذا الفراغ باصطلاحات روسية ، خاصة التكنيكية منها والسياسية والأدبية وغيرها([٢]) .

([١]) محمد حرب ، مرجع سابق، ص١٠ .
([٢]) المرجع السابق ، ص١١،١٢ .

وفى عام ١٩٩١م عقد اجتماع فى إستانبول دعت إليه اليونيسيف ضم ١٨٠ مليون من الناطقين بالتركية كما عقد اجتماع آخر عام ١٩٩٢م تبنى دراسة أبجدية لاتينية مشتركة والعمل على تنسيق المساعدات لدول آسيا الوسطى للتحول إلى الأبجدية اللاتينية (١) .

وكانت النتيجة أن ابتعد مسلمو آسيا الوسطى – عن تراثهم الإسلامى أولاً ، وعن بعضهم البعض ثانيًا ، وعن مسلمى العالم ثالثًا .

وقد عملت الشيوعية على تأصيل تدريس الإلحاد فى كل المقررات التى يدرسها الطلاب ابتداء من الحضانة ، ويستمر فى كل المراحل التعليمية ، وتشكل الإلحادية العلمية جزءًا أساسيًا وإجباريًا فى مناهج الجامعات ، كما أنهم ينظمون الندوات لتعليم الإلحاد ، ويعملون على إعداد "المعلم الملحد المثالى" ونظريتهم فى الإلحاد تقول : إن الطبيعة هى التى خلقت نفسها ومن عليها . ولم يقتصر تعليم الإلحاد هناك على التلاميذ فى المدارس فقط ، بل شمل العمال فى المصانع حيث قاموا بعمل برامج خاصة لتعليمهم الإلحاد ، وذلك عن طريق نشر المقالات فى الصحف وعقد المؤتمرات وإلقاء الخطب ، وكل صحيفة لا تقوم بنشر الدعوة إلى الإلحاد كانت تُعرَّض للمصادرة ، بالإضافة إلى تجنيد معلمين وطلاب وموظفين وعمال لمقاومة أى أثر للدين (٢) .

وفى تقرير لمجلة "ملى تركستان " تحدثت فيه فى بيان مراحل العدوان الروسى على المسلمين جاء فيه :

- المرحلة الأولى شملت الفترة من ١٩١٨ – ١٩٢٤م تم فيها الزحف على البلاد الإسلامية ، ودارت معارك قضت فيها على الكثير من المدن واستولى الروس على شمال القوقاز واحتلت القرم وواصلت الهجوم على أذربيجان وسقطت خيوة واستمر القتال للاستيلاء على بخارى ، وحدثت المجاعات التى راح ضحيتها الآلاف من المواطنيين .

وقد ذكر قول لينين فى هذه الأثناء: أن أكل لحم الانسان لم يكن مستغربًا أو عجيبًا فى ذلك الوقت .

- المرحلة الثانية ١٩٢٤ – ١٩٢٨م تم فى هذه الفترة إلغاء المحاكم الشرعية واستخدام الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية .

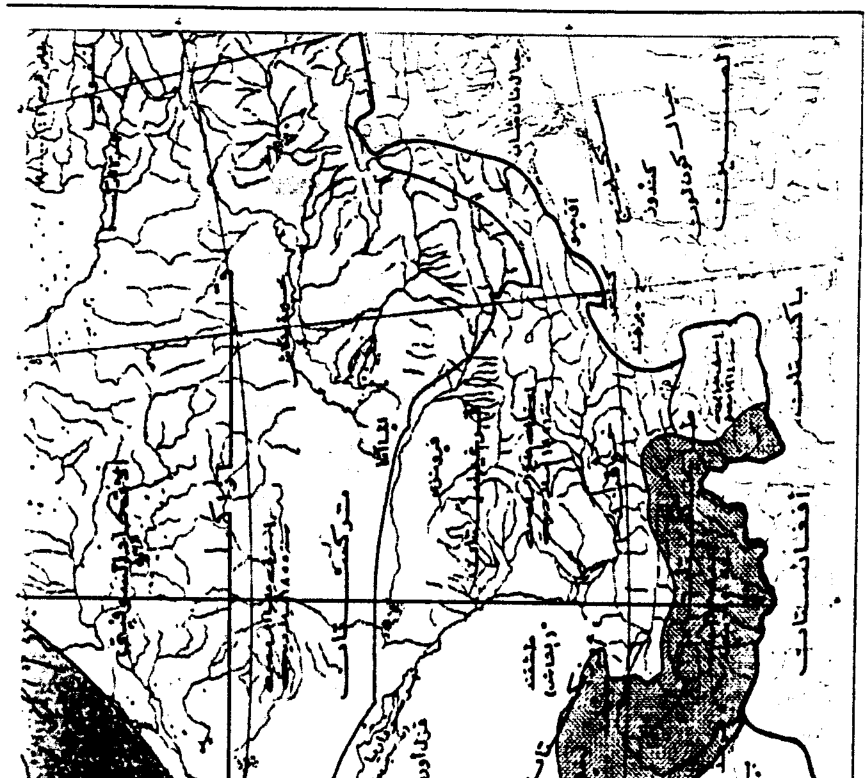
---

(١) محمد عبدالقادر ، مرجع سابق ، ص٢٧٧ .
(٢) المرجع السابق، ص١٥٢– ١٥٦ .

- المرحلة الثالثة : ١٩٢٨ – ١٩٣٦م تم فيها القضاء على الألوف من الشخصيات الدينية.
- المرحلة الرابعة : ١٩٣٦ – ١٩٣٨م تم فيها القضاء على ألوف من الأساتذة والطلاب والصحفيين وأصحاب المناصب الرسمية ،كما تم فيها دمج الجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى .
- المرحلة الخامسة : ١٩٣٨ – ١٩٤٥م تم فيها إبادة عدد كبير من الناس بتهمة التجسس ، ووجهوا التهم خاصة إلى أتباع الطرق الصوفية.
- المرحلة السادسة : وهى المرحلة التى تم فيها القضاء على التاريخ والفكر والأدب كما تم فيها تفسير الدين الإسلامى تفسيرات ماركسية ويسارية وشيوعية(١).

---

(١) كمال السعيد ، مرجع سابق ، ص٤٧ – ٤٩ ، نقلا عن مجلة "ملى تركستان" عدد ديسمبر ١٩٥١ .


مراحل استيلاء الروس
على الأراضي الإسلامية

الفصل الثالث

الطرق الصوفية فى آسيا الوسطى والقوقاز ودورهـــا فى مقاومـــة أعـــداء الإســـلام

المبحث الأول : نشأة التصوف وانتشاره الواسع فى بلاد ما وراء النهر - الطريقة النقشبندية - الطريقة القادرية - الطريقة اليسوية - الطريقة الكبروية - الانتساب إلى الطرق الصوفية فى آسيا الوسطى - أعداد المنتسبين للطرق الصوفية فى آسيا الوسطى والقوقاز - الإسلام الرسمى وغير الرسمى - أشهر علماء ومتصوفى آسيا الوسطى

المبحث الثانى :دور التصوف فى قمع أعداء الإسلام ونصرة المسلمين فى المنطقة - دور قتيبة بن مسلم فى القضاء على الوثنية ونشر الإسلام فى المنطقة - دور الطريقة النقشبندية فى الحفاظ على الإسلام فى آسيا الوسطى - الطريقة القادرية ودورها فى المقاومة - دور الطريقة اليسوية فى كفاح أعداء الإسلام - كفاح المجاهدين المسلمين ضد السياسة الروسية - ثورة الشيخ منصور الشيشانى ١٧٨٥م - ثورة الامام الغازى مولاى محمد - جهاد الشيخ شامل فى القوقاز ضد السيطرة الروسية - جهاد العلامة ابو النصر مبشر الطرازى ضد الروس - حاضر آسيا الوسطى

الفصل الثالث

الطرق الصوفية فى آسيا الوسطى والقوقاز ودورها فى مقاومة أعداء الإسلام

المبحث الأول : نشأة التصوف وانتشاره الواسع فى بلاد ما وراء النهر :

مع ظهور الإسلام فى منطقة بلاد ما وراء النهر بدأ التيار الصوفى يشتد ويتزايد بين عامة الناس وذلك لخصائصه الميسرة وخصاله فى السماحة واللين والرحمة والحلم ، حيث رأى الناس فيهم سعة الصدر والرضا وعدم الشدة أو التعصب فاقبل منهم الكثير ودخلوا الإسلام يطلبون راحتهم وأمانهم واستقرارهم ، بعد معاناه الحروب والصراعات والثورات والفتن التى كانوا يتعرضون لها وخاصة الحروب الصليبية ، والاجتياح المغولى للدولة ، ثم الغزو الروسى للمنطقة .

ونظرا ؛ لأن أخلاقيات الصوفية تمنح الروح قدرًا كبيرًا من الاهتمام حيث تبث فيها شعور الأمان والرضى والسكينة والعزوف عن الدنيا . فقد توجه السلاطين والحكام إلى مشايخ الطرق للتتلمذ على أيديهم مما جعل هؤلاء المتصوفة يتبوؤن مكانة عالية فى الدولة واصبحت لهم سلطة واسعة فى حكم الدولة .

ومن ناحية أخرى فقد كان الحكام والأمراء فى حاجة لاستجلاب محبة الناس وميلهم إليهم نتيجة الصراعات التى كانت تدور بينهم من أجل الحصول على السلطة ؛ فكان كل حاكم وأمير يعمل على التقرب لهؤلاء المتصوفة حتى يظفر بالسلطة مما جعله يولى همته إلى تشييد المساجد وتأسيس التكايا والمدارس حتى ينول رضا شعبه (١) .

ونخلص من هذا أن نشأة التصوف فى بلاد ما وراء النهر ترجع إلى عدة عوامل:

أولها : أخلاقيات الصوفية وتعاملهم اللين السمح مع سكان البلاد.

الثانى : احترام وتوقير الحكام والأمراء لهؤلاء المتصوفة .

---

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية ، ج، ص٣٩٧ – ٣٩٩ .

الثالث : ظهور بعض الطرق التى اتخذت العقيدة الباطنية اساسًا لها . وكانت تميل إلى الهرطقة والترهات إلا أنها كانت أقرب إلى أذهان أصحاب العقائد القديمة.. والمتصوفة يرفضون هؤلاء الذين يعتمدون على العقائد الباطنية ؛ لأن الأساس عندهم هو الكتاب والسنة .

الرابع : الحاجة إلى الشعور بالأمان والطمأنينة والسكينة هربًا من الصراعات والحروب والفتن التى كانت تتعرض لها المنطقة .

الخامس : روح الجهاد التى اتسم بها المتصوفة؛ فكانو درعا لسكان تلك المناطق لحمايتهم من أعداء الداخل والخارج .

هذا وقد ارتبطت الطرق ارتباطًا وثيقًا بالطريقة اليسوية التى كان لها تأثير كبير فى أسلمة المنطقة ، ويقال أن كل الطرق تؤدى إلى أحمد اليسوى مؤسس اليسوية وكان شاعرًا اتخذ من الشعر الشعبى وسيلة لنشر الإسلام بين الناس .

كما ظهرت الطريقة البكتاشية وهى شيعية فى جوهرها ، سنية من الناحية الرسمية وكان البكتاشيون من المغالين فى الإيمان بـــ "على بن أبى طالب" كرم الله وجهه ويؤمنون بالتثليث "الله – محمد – على" ومن أهم مبادئ البكتاشية ، التسامح مع الأديان الأخرى وخاصة المسيحية فهى تكاد تتشابه تشابها قويًا مع العقيدة المسيحية فى التثليث وبينها وبين اليسوية العديد من الممارسات المشتركة من بينها السماح بدخول المرأة حلقات الذكر دون أن تضع خمارًا وأن تجلس بجوار الرجل .

وقد ورد فى "ولا يتنامه مناقب حجى بكتاش ولى" أن أحمد اليسوى أضفى على حجى بكتاش عدد من الرموز المقدسة مثل التاج والخرقة والسفرة والسجادة والسراج والعلم وكلها صفات أعطاها الله للنبى ثم للأئمة الاثنى عشر ثم لأحمد اليسوى ثم لحاجى بكتاش" (١) . كما تؤمن البكتاشية بالتناسخ ووحدة الوجود واكتشاف حقيقة الله داخل النفس.

هذا وكان انتشار البكتاشية فى البلقان يرتبط ارتباطًا أصيلاً بأحد خلفاء حجى بكتاش ولى وهو "صارى صالتوق" الذى ظهر فى القرن الحادى عشر (٢).

---

(١) هـــ . ت. نوريس ، الإسلام فى البلقان ، ترجمة عبدالوهاب علوب ، المجلـــس الأعلـــى للثقافة، رقم ٤٩ ، لندن ، ١٩٩٣م ، ص١١١ – ١١٣ .

(٢) هدى درويش ، المنهج الصوفى للطريقة البكتاشية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، ٢٠٠١م ، ص٥٣ .

وأهم الطرق غير الشيعية والتى أحدثت تأثيرًا كبيرًا فى نفوس شعوب بلاد ما وراء النهر ، الطريقة المولوية ومؤسسها مولانا جلال الدين الرومى العالم والشاعر الصوفى العظيم الذى ولد فى بلخ عام ٦٠٦هـ - ١٢٠٧م وكان له تأثير معنوى وروحانى شديد، واشتهر بالانجذاب الروحانى عن طريق السماع والرقص، وهو الذى نظم المثنوى الشهير تلبية لرغبة مريده "حسام الدين جلبى" الذى أحبه حبًا شديدًا وكان أقرب مريديه إلى قلبه . ويعد المثنوى أثرًا صوفيًا عظيمًا ويتكون من ستة وعشرين ألف بيت فى ستة أجزاء وضع فيها مولانا جلال خلاصة إلهاماته وفيوضاته الروحانية التى أحدثت تأثيرًا عظيمًا فى نفوس الناس فكان بمثابة المرشد للسالكين طريق التصوف(١) .

وتدل البحوث التى تحدثت عن تاريخ المولوية أنها انتشرت على أيام "ولد عارف جلبى (١٣٢٠م) بجهوده الشخصية عن طريق العلاقات الوثيقة التى أقامها مع حكام الإيلخانيين وحكام الامارات التركمانية حتى انتشرت على طول منطقة الأناضول وعرضها (٢) .

أما الطريقة الخلوتية ومؤسسها ابراهيم زاهد كيلانى (١٣٠٥م) فكان لها انتشار كبير فى خوارزم وخراسان .

ومن هنا يتضح كيف كسب الإسلام العالم التركى الشرقى ، وكيف سنحت الفرصة لدخول الصوفية ميدان الدعوة إلى الإسلام فى بلاد التركستان حيث كان لهؤلاء المتصوفة دور كبير فى ذلك إلى جانب الفقهاء ، فقد كان الفقهاء يتولون الطبقة المثقفة والصوفية يتجهون إلى الطبقات الشعبية .

كما أدت النهضة العلمية الثقافية فى المنطقة إلى تهذيب البدو سكان تلك المناطق والارتقاء بهم حضاريًا ، إلى جانب اتخاذهم أسماء عربية إسلامية ، كما اتخذوا ألقابًا إسلامية مثل لقب شيخ، وحاج ، وعرب ، وخوجه . وكان هؤلاء يحرصون على أداء الصلوات فى أوقاتها، وفى سفرهم يحملون خيامًا يجعلونها مساجد ، وفى مجال حياتهم العامة أدى دخولهم الإسلام إلى ترك عاداتهم القديمة ، فلم يقربوا الخمور أو لحم الخنزير ، كما كان التقاضى بينهم يتم على طريقة المذاهب الفقهية المعروفة ، وكان لكل مدينة قاض وحلت الشريعة الإسلامية محل القوانين المغولية وخاصة منذ

---

(١) محمد فؤاد كوبريلى ، المتصوفة الأولون فى الأدب التركى ، ترجمة عبدالله أحمد ابراهيم، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٢م ، ج٢ ، ص٤٨ - ٦٦ .

(٢) أكمل الدين إحسان ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ترجمة صالح السعداوى ، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، إستانبول ، ١٩٩٩م ، ج٢ ، ص١٧٩ .

عصر السلطان محمود ، الذى كان غيورًا على السنة وكان يشن حربًا شعواء على أهل البدع ويضطهد طوائف الإسماعيلية كما كان يعادى أصحاب النزعة الاعتزالية وقد رفع "الفردوسى" ملحمته الشهيرة فى الشاهنامه إلى السلطان محمود؛ حيث مجده بقوله : إن السلطان محمود أشد الملوك بأسا وأرأفهم بالعباد" وتعد الشاهنامه من أعظم الروائع الشعرية فى الأدب الفارسى ([1]) وبالإضافة إلى هذا فقد تم إنشاء الزوايا والمدارس الإسلامية ، فكان لكل زواية شيخ يتولى أمورها.

يتضح مما سبق أنه كان للطرق الصوفية دورها الحيوى فى هذه المنطقة ، ومصادرنا فى هذا الشأن نادرة بسبب محاولات السوفيت طمس هذه الحقيقة والعمل على تحريف كل ما يمت بالثقافة الإسلامية بأى صلة بالإضافة إلى المعلومات الخاطئة التى كانوا يحاولون نشرها ، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت هذه المنطقة مهد الطرق الصوفية التى أدت دورها على أيدى كبار رجالها ومشايخها المتصوفين.

وقد تسبب فساد النظام السياسى فى هذه البلاد إلى ظهور الحاجة الملحة للتصوف من أجل بث الأمن والطمأنينة فى نفوس الناس ، واشتدت حاجة النفوس للأمن والأمان بعد اجتياح الغزو المغولى أرجاء البلاد ، فكان التصوف هو مبعث السكينة التى اشتاقت لها نفوسهم ، فأخذت الطرق الصوفية وتكاياها الصفة الرسمية، والقانونية وأصبح السلاطين مريدين لكبار المتصوفة الذين نالوا مكانة رفيعة فى الدولة ، وتأثرت الشعوب المحلية المسلمة فى آسيا الوسطى بالشعراء المتصوفين فى ذلك الوقت وكانت لهم مكانة عظيمة فى نفوسهم ، وتأثروا بنظرية وحدة الوجود واعتنقوها خاصة وحدة الوجود عند "محيى الدين بن عربى" وقد كتبت شروح ومناقب وكرامات فى حق محيى الدين باللغات العربية والفارسية والتركية .

ويمكننا القول أن نشاط الطرق الصوفية هو الذى سيطر على منطقة آسيا الوسطى ابتداء من القرن ١٣هـ وحتى القرن ١٨هـ إلى أن سيطرت روسيا على المنطقة ، بعد ذلك بدأت مرحلة الجهاد المقدس من أجل الحفاظ على الإسلام آخذة أشكال كثيرة فى مقاومة العدو الروسى والشيوعية والإلحاد بوجه عام .

ومن الصوفية الذين تبوأوا مكانة كبيرة فى آسيا الوسطى الشاعر الصوفى يونس إمره الذى تميز بتقديم الأدب الصوفى الشعبى للمنطقة وأحدث تأثيرًا عميقًا فى النفوس عاش حتى وقتنا الحاضر، وقدم منظومات صوفية بأسلوب بسيط وواضح

([1]) كارل بروكلمان ، مرجع سابق ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

من خلال انفعالاته الروحية العميقة التى كان لها أبلغ الاثر فى إرشاد الناس وهدايتهم .

ومن الثابت تاريخيًا أن مدن هراة ونيسابور ومرو كانت تعج بالمتصوفة إبان القرن الثالث الهجرى ، وفى القرن الرابع الهجرى انتشر المتصوفون فى مدن بخارى وفرغانة وكانوا يطلقون على مشايخهم ألقابًا مثل "بابا" ويعنى عندهم "الأب" واستقر التصوف ، وانتشر فى بلاد ما وراء النهر عن طريق الأتراك الرحل والمهاجرين ، وانتشرت التكايا والزوايا فى معظم بلاد تلك المنطقة متأثرين بالمتصوفة تأثرًا كبيرًا وكانت لغتهم حافلة بالكلمات العربية والفارسية ، وكان كبراء الدولة وسلاطينها يرعون مشايخ التصوف ويوقرونهم مما بوأ لهؤلاء الصوفية نفوذًا كبيرًا وسلطانًا عظيمًا .

وعلى جانب آخر برزت طرق صوفية اتبعت المذهب السنى وأعطت صورة صحيحة للتصوف وأهميته ودوره فى إسلام تلك المناطق وأحدثت تحولاً كبيرا فى العقيدة الصحيحة أدت إلى إحداث ردود فعل عظيمة فى نفوس المسلمين ودورًا كبيرًا فى الإسهام فى تثبيت العقيدة ودعمها فى الجهاد والكفاح من أجل الحفاظ على الإسلام . ومن اهم هذه الطرق انتشارا وتأثيرا فى المنطقة : الطريقة النقشبندية والطريقة القادرية والطريقة اليسوية والطريقة الكبروية .

الطريقة النقشبندية :

مؤسس هذه الطريقة هو الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند (٧١٨- ٧٩٢هـ) (١٣١٨-١٣٨٩م) ولد فى قرية "قصر عارفة" قرب بخارى ، وقد احتلت هذه الطريقة المكانة الأولى بين الطرق الصوفية من حيث انتشارها ، وكان عدد المنتسبين إليها كبيرًا للغاية ، وترتبط هذه الطريقة بتاريخ الأسر التى حكمت تركستان فى القرون ١٥-١٨ وقد انتشرت هذه الطريقة بصورة كبيرة بين القبائل التركمانية فيما وراء بحر الخزر فى القرنين ١٨،١٧ وظهرت فى الداغستان وانتشرت فى منطقة الشيشان ووسط وغرب القوقاز وشمال أذربيجان (١) . كما نشر النقشبنديون الإسلام فى منطقة قيرغيزستان فى القرن ١٨ . وكان لها دور عظيم فى الرد على الوثينة المغولية إلى جانب إسهامها فى تدعيم مبدأ السنة فى بلاد ما وراء النهر .

---

(1) Alexdre. B-Cantal . L,Sufi ve komiser Rosyada Islam Tarikatlari, cev.Osman Turer,Ankara, 1988,s. ٢٢-٢٣ .

ويُرجع أصحاب هذه الطريقة نسبهم إلى أبى بكر الصديق "رضى الله عنه" ويفخرون بانتسابهم له مما يثبت أن نهجهم نهج صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

وكان قادة هذه الطريقة يمثلون طبقة التجار الأثرياء والقادة العسكريين ورجال الفكر والشعراء أمثال "نوائى" ، و"عبدالرحمن جامى" ، و"مخدوم قولى" إلى جانب العامة من أصحاب الحرف والقرويين . والمنتسب لهذه الطريقة لم يكن زاهدًا بل إنه كان يندمج مع المجتمع وكان سلوكه يتواءم مع ظروف الحياة الاجتماعية مثل سائر الناس مما أكسبها نجاحًا كبيرًا وانتشارًا واسعًا وكان جهادهم يتمثل فى محاربة البونية إلى جانب محاربة سياسة الروس فى المنطقة ، أما أذكارهم فكانت يطلق عليها "الذكر الخفى" ويطلق عليهم الأدب السوفيتى المعادى للدين لفظ "المتمتمون"(٢).

ومن سمات النقشبندية أنها ترفض كل أنواع التعصب أو التطرف؛ ولهذا كان انتشارها عنصرًا مكملاً للحياه السياسية والاجتماعية والثقافية؛ فكان لها دور فعال وحققت نفوذاً فى مناطق الداغستان وشرق الشيشان وشمال أذربيجان وامتدت إلى المناطق الشرقية والجنوبية من تركمانيا فى آسيا الوسطى ، ووادى فرغانة خاصة منطقة القيرغيز وفى خوارزم وفى منطقة القاراقالباق (٣) .

وكان أول ظهور للنقشبندية فى البلقان فى القرن الخامس عشر على يد الملا عبدالله إلهى (المتوفى عام ٨٩٦هـ / ١٤٩٠م) خليفة الشيخ عبيد الله أحرارت (المتوفى عام ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) فى سمرقند . ومركزها فى بخارى وقد ظهرت فى بلاد التركمان فى القرن ١٩ .

أما أول تكية نقشبندية فقد تأسست فى البوسنة عام ١٤٦٣م على يد إسكندر باشا والى روملية وحاكم البوسنة . وفى القرن التاسع عشر بنيت تكية أخرى فى سراييفو، ولا يزال نشاط التكايا فى منطقة البوسنة قائمًا حتى وقتنا الحاضر على درجة عالية من الفعالية والنشاط (٤) .

وقد انتسب لهذه الطريقة الكثير من المجاهدين العظام منهم الإمام الشيخ القاضى "ملا محمد" المشهور بالغازى و "محمد الكمراوى" ، والإمام الشيخ "محمد شامل"

---

(١) هـ . ت . نوريس ، مرجع سابق، ص١٣١ .

(2) The Naqshbindi order Apreliminary Suravy of its history and signi ficance

(3) Studia Islamic, paris, Xliv, 1977. S. 123-152 .

(٤) هـ . ت . نوريس ، مرجع سابق، ص١٣٢ .

الشهير بصقر القوقاز والأمير المجاهد "حمزة الحتراجى" الذين قادوا الثورة ضد الروس من عام ١٢٤٦هـ ١٨٣٠م إلى عام ١٢٧٦هـ ١٨٥٩م ، وغيرهم كثيرون.

الطريقة القادرية :

تحتل هذه الطريقة المكانة الثانية بين الطرق التى انتشرت فى آسيا الوسطى ، مؤسسها هو الشيخ عبدالقادر الجيلانى (٤٧٠ - ٥٦٢هـ) (١٠٧٧ - ١١٦٦م) وكان مركزها فى بغداد وقد انتقلت إلى منطقة آسيا الوسطى عن طريق التجار العرب وظهرت فى منطقة فرغانة فى القرن ١٢ ، وقد حافظت هذه الطريقة على وجودها فى تلك المنطقة حتى الآن ، وفى النصف الثانى من القرن ١٩ دخلت هذه الطريقة إلى الشيشان وكان دورها حيويًا وكبيرًا على يد مرشدها "قونتاحاجى" وتذكرها المصادر الروسية بطريقة قونتاحاجى ؛ لعدم معرفتهم بالقادرية القديمة ، وقد لعبت هذه الطريقة دورًا أساسيًا فى ترسيخ الإسلام فى منطقة القوقاز ، هذا وقد قامت السلطات الروسية باعتقال قونتاحاجى مع أقاربه وآلاف من مريديه؛ خشية تزايد موجات العصيان الكبرى التى كانوا يشنونها ضدهم ، وقد توفى قونتاحاجى فى أحد السجون الروسية عام ١٨٦٧م.

وينتشر أتباع هذه الطريقة أيضًا فى شمال أذربيجان والداغستان وقازاقستان وقيرغيزيا ولا يزال انتشارها واسعًا فى تلك المناطق حتى الآن . نظرًا لطابعها الشعبى . وكان لها انتشار أيضًا فى كوسوفا ومقدونيا ، وأسست فيهما العديد من التكايا ، وقد لعبت دورًا مهمًا فى تشجيع الأدب الإسلامى فى البوسنة وكوسوفا، ومن أشهر التكايا تكية "سنان أغا" التى كان الدراويش ينشدون فيها أورادهم وأشعارهم الصوفية وهى من أجمل التكايا التى ظهرت فى القرن السابع عشر، وتقع حاليًا على إحدى روابى سراييفو، وهى تضم أضرحة الشيوخ وضريح سنان أغا(١).

وتنتشر القادرية على شكل جماعات مركزية ترتبط بمشايخها ارتباطًا وثيقًا، وأورادهم تصحبها أغانى وموسيقى ورقص ؛ ولها جانبيتها الخاصة بين أتباعها وكانت على عكس النقشبندية التى عرفت بعدم التطرف وتسامحها مع الكيان

---

(١) هـ . ت . نوريس ، مرجع سابق، ص١٢٦ ، ١٢٧ .

السوفيتي ، فكانت القادرية أكثر تعصبًا؛ حيث كان لها طابع أصولي معاد للأجنبي وترفض أى نوع من أنواع الصلح مع الفكر الملحد ، وقد ظلت هذه الطريقة تتخذ شكل الجهاد لأكثر من قرن وصاروا هدفاً للروس ولقوات الإبادة السوفيتية(١) .

ومن أهم زعماء القادرية أيضاً "ويس حجى" وقد أسس طريقة سميت باسمه عام ١٩٥٥م وهو الذى قاد الهمم وبث روح الحماس للجهاد وتأليف قلوب المجاهدين الذين كانوا يواجهون الموت فى مجاهل سيبريا فحقق لهم القدرة على الصمود والثبات خلال فترة النفى وكانوا لا يلبسون الملابس المصنوعة فى المصانع السوفيتية ، ولا يتناولون أطعمتهم، ويحذرون المسلمين من التعامل مع الكفار ، وقد سمحت هذه الطريقة بإشراك النساء فى مجالس الذكر ، واتخذت طابعًا أصوليًا وهو ما تحرمه الطرق الأخرى(٢).

ورغم ملاحقة المريدين فقد بلغ عدد القادريين من سكان الشيشان ما يقرب من ٤٠٠٠٠٠ مريد وفى داغستان كان يوجد حوالى ٦١٢٠٠ مريد و١٩ شيخ و٦٠ وكيل شيخ ، وقد أدى عداء الروس وقتلهم لرجال الدين والمتصوفين ونفيهم إلى ازدياد النشاط الصوفى فى المنطقة ولا سيما نشاط الصوفية التى انبثقت عن طريقة "كونتاحاجي" فقد ظهرت فى داغستان طريقة "ويس حاجي" الذين أطلق عليهم الروس "جماعة الطاقيات البيضاء" لأن مريدهم كانوا يرتدون طواقى من الفرو الأبيض أثناء أدائهم الذكر (٣) .

ويمكننا القول أنه على الرغم من محاولات هدم هذه الطرق من قبل السلطات الروسية وفشلها فى العديد من المعارك الجهادية إلا أن هذا الفشل أكسبها قوةً وإصرارًا على استمرار الجهاد المقدس .

---

(1) Sufi ve Komiser, Rusyada Islam Tarikatlari, a.g.e, Ankara , 1988 . s.30.
(2) M. M Muotaginov, Zikrizm ..., ayni baskl, s. 32 .
(٣) ألكسندر بينغسن ، مرجع سابق، ص٢٠٢ .

الطريقة اليسوية :

كانت الطريقة اليسوية من أهم الطرق التى ظهرت فى المنطقة خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر ثم تراجعت تلك الأهمية بعد ظهور النقشبندية إلا أنها عاودت نشاطها فى القرن العشرين .

تأسست هذه الطريقة على يد الشيخ أحمد اليسوى وكان تلميذًا للشيخ يوسف الهمدانى .

ولد أحمد اليسوى فى صايرام وتوفى فى مدينة يسى (شمال قازاقستان) عام ٥٦٢هـ - ١١٦٦م .

كان أحمد اليسوى شاعرًا يكتب باللغة التركية وكان له كتاب يسمى "ديوان الحكمة" وكان لأشعاره تأثيرها فى دخول قبائل الترك والمغول للإسلام ، وقد انتشرت هذه الطريقة فى معظم أرجاء آسيا الوسطى وخوارزم ودولة التركمان ودولة التتار فى وسط الفولجا ، وانتشرت طوائف اليسوية فى خراسان وشمال إيران والأناضول، كما انتشرت فى وادى فرغانة. وقد وفد أحمد اليسوى إلى التركستان ليعمل بالإرشاد والهداية وكان يعتمد تصوفه على الإشارات الروحية الأخلاقية .

وتروى المناقب أنّ الشيخ أحمد يسوى قد يمم وجهه شطر بخارى بمشورة شيخه أرسلان بابا ، وتعرف هناك على الشيخ يوسف الهمدانى وانتسب إلى طريقته وانشغل بالدعوة الإسلامية واضطلع بنشرها بين الناس ([1]) والتف المريدون حوله وذاع صيته فى كل أرجاء التركستان وبلاد ما وراء النهر وخراسان حتى شمل خوارزم ، وكان له اليد الطولى فى العلوم الظاهرة والباطنة، والجدير بالذكر أن عدد مريدى الشيخ أحمد يسوى وصل إلى تسعة وتسعين ألف مريد ، وفى رواية أن عددهم بلغ اثنى عشر ألفًا .

ومن أبرز خلفائه الشيخ "بابا ماجين" من مشاهير رجال خراسان المتصوفة، وللشيخ أحمد يسوى مناقب وكرامات لا حصر لها ظهرت فى بلاد ما وراء النهر مما كان له أبلغ الأثر فى نفوس مسلمى هذه البلاد واستمر تأثيره الأخلاقى والمعنوى بين عموم الناس فى الروملى وآسيا الصغرى وأذربيجان ([2]).

([1]) محمد فؤاد كوبريلى، ج١ ، مرجع سابق، ص٨٢ .

([2]) انظر محمد فؤاد كوبريلى ، مرجع سابق، ص٨٧ – ١٠٠ .

ويقوم اليسيويون بأذكارهم جهرًا إلا أنهم حولوا أذكارهم إلى الخفاء فى ظل الحكم السوفيتى . وأصبح للطريقة اليسوية دورًا فعالا فى القرن العشرين وقد تفرعت عنها طريقة "الصوفية ذوو الشعور" وكانت من أهم الطرق الصوفية فى آسيا الوسطى .

ومن سمات الطريقة اليسوية انغماسها فى النشاط السياسى . فكان كثير من الزعماء العسكريين فى منطقة وادى فرغانة من شيوخ اليسوية مثل "عبدالعزيز مقسوم" و"مُلادهقان" و "حال خوجه" واتسمت الطريقة اليسوية بأنها أكثر الطرق تصوفًا وبعدًا عن الانغماس فى الأمور الدنيوية وكان لها نشاط سياسى فعال فى المنطقة ، ومن الجدير بالذكر أن الطريقة اليسوية كانت تسمح باشتراك النساء فظهرت طريقتان خاصتان بالنساء هما "اللاجيون "، و"المتصوفة الفرسان " وهما متفرعتان من اليسوية وتتميزان بالسرية والأصولية ولها مجموعات تتزعمها شيخات(١) .

وتصف المصادر السوفيتية هذه الطريقة بأنهم "علماء الدين الرجعيون" كما تذكر الأجهزة السوفيتية أنها عاجزة عن فهم إستراتيجية هؤلاء المتصوفين .

كما انبثقت من اليسوية فى العشرينيات طريقة جديدا تسمت باسم "طائفة إيشان شفلو" وكان مركزها مدينة أرسلان باد فى وادى فرغانة ولها مريدون فى أوزبكستان وفى قيرغيزيا ، وقد اكتشفت السلطات السوفيتية هذه الطريقة عام ١٩٦٣م أثناء محاكمة شيوخ المتصوفة الذين اتهمتهم السلطات بإنشاء مدارس دينية وبيوت سرية للصلاة (٢) .

الطريقة الكبروية :

نشأت هذه الطريقة على يد نجم الدين الكبرا (٥٤٠ – ٦١٧هـ) (١١٤٥ – ١٢٢٠م) وقد لعبت هذه الطريقة دورًا تاريخيًا فى دخول قبائل الترك والمغول المهاجرة إلى الإسلام وانتشرت فى كل أرجاء آسيا الوسطى وخاصة منطقة خوارزم، وتؤدى هذه الطريقة أذكارها بشكل جهرى قبل الاستيلاء الروسى على المنطقة ثم حلت محلها أذكار الطريقة النقشبندية السرية .

ومن خلال ما تقدم سابقا يتضح لنا أن هذه الطرق قد حافظت على الإسلام فى منطقة آسيا الوسطى طوال القرون ١٧، ١٨، ١٩ إلى جانب دورها الفعال على

---

(١) S. Mambctaliev, Perejitki nekotorykh musul, manskikh Teche-niiv Kirghizii. I khistorriiq Frunze, 1969, s. 13 ve , 36 .

(٢) ألكسندر بنيغس ، مرجع سابق، ص٢٠٣ .

المستويين الثقافى والسياسى الذى استمر حتى الآن فى وسط وشرق القوقاز وخاصة فى منطقة الداغستان والشيشان.

ومع ظهور الروس وقيامهم بعملياتِ الإبادة والتخريب فى المنطقة والعمل على محو الإسلام والحياة الإسلامية التى عاشتها المنطقة ظهر المجاهدون المتصوفون ورجال الدين أحفاد العلماء الإسلاميين فى المنطقة وقاموا بأدوار بطولية فى الجهاد فى سبيل تثبيت الإسلام والقضاء على النظام الروسى الشيوعى الذى أحكم قبضته على المنطقة طوال ٧٠ عامًا أمثال الإمام "شامل" وجهاده فى القوقاز و"إيشان مدالى" فى فرغانة ، و"قربان مراد" فى تركمانيا وتبرزهم المصادر الروسية بأنهم أشخاص رجعيون وطفيليون (١) .

الانتساب إلى الطرق الصوفية فى آسيا لوسطى :

خصص الباحثون السوفيت كثيرًا من الأبحاث من أجل معرفة المسألة الصوفية وكيفية الدخول إلى الطرق الصوفية المنتشرة فى المنطقة وقاموا باستطلاع الآراء بين سكان إحدى القرى الشيشانية فكانت الإجابة:

- ٣٢% فعلوا ذلك بالاختيار الشخصى .
- ٣٦% تابعون لأسرهم .
- ١٥% رفضوا الإجابة .
- ٦% لم يقدموا إيضاحات (٢) .

وتفيد الدراسات التى تمت فى هذا الموضوع أن التصوف مهنة تنتقل من الأب إلى الابن ، كما أن معظم أتباع الطريقة دخلوها عن طريق العائلة ، وقد حافظت الأسر المسلمة على نمط الحياة التقليدى ، وكانت حياة العائلة تدار من قبل النساء فكان أفراد العائلة يؤدون فريضة الصلاة جماعة ويستمعون إلى الدروس الدينية التى يلقيها علِيهم الشيخ (٣) .

ويذكر المتخصصون السوفيت أن هناك علاقة وطيدة بين روح القبيلة وبين التصوف ، وأن الاحترام العميق تجاه المرشد يمتزج بالموروثات القبلية ، وأن الالتزام بالمبادئ والمعلومات الحديثة عن التصوف تقول أن التصوف اكتسب

(1)Turk Edebiyatinda ilk mutasavviflar, Ankara, 1984 . S. 132 .
(2) Yu Aidacv ve V. G. Pivovorov, "Problemy Konkretnykh issledovanii religii" , Sotsiologiia, Ateizm, Religiia, Groznyi, 1972, s. 17 .
(3) J. Bozarbaev, Sekularizatsiia naseleniia Sotsialistiche – skol kar akalpakii, Nukus, 1973, s. 78 .

أشخاصًا من الطبقة المثقفة والطبقات العليا فى المجتمع ، ويذكر المتخصصون السوفيت فى السنوات الأخيرة أن التصوف اجتذب الشباب تدريجيًا.

ويصف الكتاب السوفيت أن هؤلاء المتصوفة أكثر الفئات تعصبًا وأنهم يرفضون الحديث أو الحوار مع غير المسلمين ، ويرى هؤلاء المتخصصون أن الصوفيين جادون فى تحمل مسئولياتهم تجاه الإسلام وأنه لوسمح لهم بنشر معتقداتهم والدعاية لدينهم فسوف يشكلون خطرًا كبيرًا على استقرار المجتمع السوفيتى .

وتلك الطرق تركز مهماتها الأساسية فى تدريس القرآن الكريم للأطفال وتشكيل المجموعات الدينية الموجهة للأطفال والشباب وبذل المال وتلبية احتياجات المساجد والتمسك بمبدأ عدم المصاهرة مع غيرهم(١) .

أعداد المنتسبين للطرق الصوفية فى آسيا الوسطى والقوقاز:

يعتبر الوصول لأعداد المنتسبين للطرق الصوفية فى منطقة آسيا الوسطى والقوقاز من الأمور التى يصعب على الباحث تعقبها ؛ بسبب النظام السوفيتى الصارم لهؤلاء فهم يتهمونهم بأنهم طفيليون ويعتبرونهم عناصر غير اجتماعية وجناة وأعداء النظام الاشتراكى بالإضافة إلى أعمال التعذيب التى كان يكيلها النظام السوفيتى لأتباع الطرق الصوفية ، وبالرغم من هذا فيمكننا القول أن عدد المريدين فى منطقة الشيشان وأنجوشيا كان يصل إلى ٦ آلاف مريد عشية ثورة ١٩١٧م وفى عام ١٩٢٦م وصل عددهم إلى ٧٠ ألف مريد منهم ٦٠ ألف شيشانى و١٠ آلاف أنجوشى طبقًا لإحصاء سوفيتى . ويقول كاتب سوفيتى آخر أنه لا يزال يوجد فى الشيشان وأنجوشيا عام ١٩٢٧م ، ٣٨ شيخ طريقة ويمكننا القول أن هؤلاء الـــ ٣٨ هم الذين كانوا معروفين لدى الشرطة ؛ وذلك لأن معظم الطرق فى ذلك الوقت كان نشاطها سريًا بعيدًا عن أعين النظام السوفيتى .

وتذكر المصادر السوفيتية أن ٩% من الشعب المسلم فى جمهورية داغستان فى نهاية العشرينيات من أتباع الطرق الصوفية .

وتقول الدعاية السوفيتية فى عهد ستالين وخروتشوف وما بعدهما عام ١٩٦٦م أن هناك تيارات فى الإسلام :

(1) Yu Aidacv ve V. G. Pivovorov problemy iss ledovanii religii, sotsiologiia Ateizn, Religiia, Groznyi, 1972, S. 12 .

- تيار تمثله المساجد ويتزعمه المفتون وشيخ الإسلام وممثلوا الهيئات الإشرافية الدينية .
- والتيار الثانى يمثله الدراويش والطرق الصوفية الذين يقيمون خارج المدن ويتزعمه شيوخ المتصوفة ومؤسسو الطرق والمرشدون . والمنتسبون للتيار الثانى يبلغ عددهم أضعاف عدد المنتسبين للتيار الأول (المساجد) كما أن رجال الدين جميعهم ينتسبون إلى إحدى الجماعات الصوفية .

ومن الجدير بالذكر أنه بعد الحرب السوفيتية وحتى الآن لم يصدر أى إحصاء لعدد المنتسبين للطرق إلا أنه ظهر استطلاع رأى فى علم الاجتماع الدينى فى فترة الستينيات والسبعينيات على أيدى بعض المتخصصين السوفيت وذلك علم ١٩٧٥م حيث ذكرت ان أكثر من نصف المسلمين فى جمهورية الشيشان وأنجوشيا أعضاء فى احدى الطرق الصوفية .

وهناك إحصاء آخر تم عام ١٩٨١م جاء فيه أن عدد المنتسبين للطرق يمثلون نسبة ٣٩,٣% من جميع المسلمين فى منطقة الشيشان وأنجوشيا .

وفى عام ١٩٧٩م بلغ عدد المسلمين فى داغستان ١٣٨٨٨٨٨ شخصًا منهم ١٢٦٧٠٠٠ داغستانى وعدد المريدين فيها ٩٥٠٠٠ مريد .

ووفقا لاجتماع الهيئة العامة للجنة المركزية للحزب الشيوعى فى تركمانيا عام ١٩٨٤م فانه يوجد فى تركمانيا ٣٠٠ زعيم معنوى وهم شيوخ وكبار المريدين الذين يقودون جماعاتهم .

وفى عام ١٩٧٩م بلغ مجموع سكان آسيا الوسطى ٢٧٠٠٠٠٠٠ منهم ١٠% أى حوالى ٣٠٠٠٠٠ ينتسب إلى الطرق الصوفية . وتذكر المصادر أنه فى نهاية العشرينيات وصل عدد السكان المسلمين فى الداغستان إلى ٧٠٠٠٠٠ نسمة من بينهم ٦١٢٠٠ مريد و١٩ شيخًا و ٦٠ خليفة (١) .

ويظهر من هذه الاستطلاعات أن شمال القوقاز هو القلعة الحقيقية للتصوف اليوم كما كان منذ عهد مضى ، وأنه المكان الذى تفضله الطرق الصوفية، وأنهم أكثر تعصبًا من التركستانيين الذين يلتزمون بمبدأ التقية ويأخذون الحذر والحيطة والتكتم

---

(١) المرجع السابق ، ص٥٩ ، رقم (١) .

على شئونهم ، وترى المصادر الرسمية أن الشباب المتصوف هو الذى يمثل الخطر الأكبر نظرًا لثقافته .

وطبقا للمصادر السوفيتية تأكدَ أن للذكر جانبية خاصة لدى الشعب وخاصة الشباب ويشيرون إلى التأثير غير العادى على المشاركين والمشاهدين لمراسم الذكر هذه .

ويذكر أحد الكتاب السوفيت وهو "ش. إسماعيليوف" أن تأثير الطرق الصوفية فى المجتمع كبير لدرجة تجبر غير المتصوفة بل غير المسلمين على المشاركة فى أذكارهم . وقد تطورت الصوفية تطورًا كبيرًا فى القوقاز، وأدت أهمية الجهاد والحرب المقدسة لدى النقشبندية إلى تسييس الذكر هناك.

الإسلام الرسمى وغير الرسمى :

قام ستالين أثناء اندلاع الحرب بمنح الإسلام مظهرًا رسميًا يتولى أمره إدارة خاصة تعطى له شكلاً شبه رسمى تحت الرقابة المشددة من الحكومة الروسية ، وتعنى هذه الإدارة بشأن السنيين والشيعة وتهتم بشئون الإفتاء . وقد قسم الإسلام الرسمى جغرافيًا إلى أربع ادارات روحية برئاسة المفتى وهى :

١- الادارة الروحية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاقستان وهى إدارة سنية حنفية المذهب يرأسها المفتى ضياء الدين بابا خانوف .

٢- الادارة الروحية لمسلمى روسيا الأوربية وسيبيريا وهى سنية على المذهب الحنفى .

٣- الادارة الروحية لمسلمى القوقاز الشمالى وداغستان وهى سنية على المذهب الحنفى .

٤- الادارة الروحية للمسلمين الشيعة والسنيين فيما وراء القوقاز وهى شيعية على المذهب الجعفرى وسنية على المذهب الحنفى ومركزها باكو فى أذربيجان .

وكل نشاط يخرج عن هذه الإدارات يعد غير قانونى وهم الوحيدون المصرح لهم بتمثيل المسلمين السوفيت فى الدول الإسلامية ، والحياة الدينية مقتصرة على إقامة الصلاة داخل الجامع ومواعظ الأئمة الخطباء وهم مراقبون رقابة شديدة ويمنع منعًا باتا فى الجوامع جباية الزكاة أو توزيع الصدقات . ودور الدعاة يكمن فى الحفاظ على ولاء المسلمين للحكومة السوفيتية.. ولولا الإسلام المتوازى الذى يشكل الإسلام

الحنفى الذى يديره متصوفة تلك المناطق غير الرسميين لأصبح الإسلام فى طى النسيان فى هذه الجمهوريات ([١]) .

وقد أدى الإسلام غير الرسمى "أتباع الطرق الصوفية" دورهم التعليمى فكان مديرو المدارس السرية هم اتباع الطرق وخاصة فى منطقة وادى فرغانة وكانوا يعملون على تنشئة الأجيال تنشئة إسلامية وتعليمهم مبادئ القرآن . كما قام رجال التصوف بتنظيم دورات تعليمية دينية جماعية فى طاجيكستان وقيرغيزستان وكان يشرف على التعليم الدينى فى شمال القوقاز أتباع طريقة بطل حجى فى الشيشان والنقشبنديون فى الداغستان .

وقد قام أحد الزعماء الدينيون الكبار فى تركيا والأستاذ بجامعة أنقرة : "أسعد جوشان" بزيارة هذه البلاد وافتتح مدارس لتحفيظ القرآن الكريم فى أذربيجان وأوزبكستان وكان يمولها الأتراك المسلمون .

وبهذه المناسبة يجدر بنا أن نسجل ما نشر فى مجلة "الميزاب الذهبى" التركية فى عددها الصادر فى يناير ١٩٨٩م حيث جاء على صفحاتها :

إن الرئيس السوفيتى جورباتشوف شارك فى الاحتفال الألفى لدخول المسيحية روسيا وفى الوقت نفسه ألقت السلطات الروسية القبض على مجموعة من مسلمى الجمهوريات الإسلامية وأودعتهم السجون والمستشفيات العقلية بتهمة ترويج القرآن وتحفيظه ، وتعليم قراءته للصغار ، وبيع الكتب الإسلامية، وقد صرحت المجلة : أن النصرانية لا تشكل خطرًا على النظام السوفيتى ، إنما الخوف على مستقبل الشيوعية يأتى من الإسلام فهو الدين الذى لا يتفق مع الشيوعية([٢]).

وفى سبيل السيطرة على الإسلام منح ستالين أثناء الحرب الإسلام الرسمى إدارة خاصة تخضع للسيطرة السوفيتية على أن يكون مجلس الشؤون الدينية الإسلامية بمجلس وزراء الاتحاد السوفيتى همزة الوصل بين المؤسسة الدينية والحكومة السوفيتية ، وتتكون هذه الادارة من أربع إدارات روحية لها سلطة تعيين الائمة والخطباء فى الجوامع مع صرف رواتبهم ولها حق تمثيل المسلمين السوفيت فى البلاد الأجنبية ([٣]) .

([١]) انظر ألكسندر بنيغسن ، مرجع سابق ، ص١٦٤ – ١٧٤ .
([٢]) محمد حرب ، مرجع سابق ، ص٣٧ ، ٣٨ .
(٣) ألكسندر ، مرجع سابق ، ص١٦٤ – ١٧٣ .

أما الإسلام المتوازى فيعنى عند السوفيت المؤسسة الدينية التى يصعب تحديدها وتشتمل على المتدينين النشطاء الذين تجاوزوا سن الخامسة والأربعين، والطرق الصوفية ما بين خفية سرية وجهرية علنية.

ويعتبر السوفيت الإسلام المتوازى أشد نفوذًا وحيوية من الإسلام الرسمى (١). وتمثل الإسلام المتوازى النقشبندية والقادرية التى تهتم بالاماكن المقدسة التى يوجد بها قبور أولياء صوفيين سقطوا شهداء أثناء الغزو الروسى وقد وصل عددها إلى مائة مكان كما تهتم بالحج .

هذا وقد عمل الروس فى القرن التاسع عشر على تكوين جبهة من العلماء المسلمين الرسميين ضد المتصوفين وقد تعاون هؤلاء بشكل ظاهرى مع السلطة إلا أن الصوفية قاموا برفض كل أنواع التبعية للسلطة الروسية ولهذا اعتبرهم الروس أكبر أعدائهم .

وفى عام ١٩٥٩م أعلن مفتى آسيا الوسطى ضياء الدين بهانوف: أن التصوف تيار دخيل على الإسلام .

وفى عام ١٩٦٠م أصدر مفتى شمال القوقاز وداغستان فتوى تحرم الدعاء فى أضرحة المتصوفين ، وهذه الفتاوى جاءت من قبل السلطات السوفيتية باعتبارالتصوف نشاطاً معاديًا للسوفييت ، وقد زاد هذا من انتعاش هذه الطرق بالإضافة إلى زيادة عدد المنتسبين إليها إلى جانب أن المسلمين الرسميين معظمهم من اتباع الطرق وخاصة النقشبندية إلا أنهم يعملون من أجل إحداث نوع من التوازن بين السلطة السوفيتية وبين المسلمين المتعصبين "أتباع الطرق" والمؤسسة الإسلامية الرسمية تعارض الممارسات التى لا تتناسب مع المذهب السنى كاشتراك النساء فى مجالس الذكر وغيرها .

ويعد الإسلام الرسمى فى أوزبكستان جيد التنظيم وبلغ عدد الجوامع فيها إلى مائة جامع وضمت طشقند اثنى عشر جامعًا كبيرًا ومائة جامع صغير وذلك عام ١٩٧٩م . وتصرح المصادر الروسية أنَّ كل حى فى كل مدينة فى أوزبكستان يوجد به بيت للصلاة غير رسمى ورجل دين غير مسجل . هذا وقد نشطت هناك بعض الحركات الإسلامية مثل حركة "التوبة" التى ظهرت أواخر عام ١٩٩١م منشقة عن الحركة الوهابية فى منطقة فرغانة، وقد تبنت هذه الحركة أسلوب التعامل بالعنف لبناء

---

(١) المرجع السابق، ص١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٢٧ .

المجتمع الإسلامى (١) وإلى جانب هذه الحركة كانت توجد حركة "الإسلام والديمقراطية" التى انتشرت عام ١٩٨٨م و"الحزب الديمقراطى الإسلامى" و"الحركة الشعبية الأوزبكية" التى كانت تعمل من خارج طشقند ، و"الحركة الوهابية" وبرزت منها جماعة أهل السنة وقد حصرت نشاطها فى مفهوم التربية الإسلامية والعمل على بناء جامعة إسلامية تكون متخصصة فى الشئون الإسلامية(٢).

اما الإسلام غير الرسمى فى أوزبكستان فيتمثل فى الطرق الصوفية وهى :

- الطريقة النقشبندية ومركزها بخارى ولها مريدون كثيرون فى كل أوزبكستان .
- الكبراوية ومركزها خوارزم .
- اليسوية ولها مريدون فى أوزبكستان الشمالية ووادى فرغانة .
- القادرية ولها كثير من المريدين فى أوزبكستان كلها .
- القلندرية ولها مريدون فى أوزبكستان كلها .

وتوجد فى أوزبكستان الكثير من الأماكن المقدسة وقد وضعت تحت إشراف الإسلام الرسمى مثل قبر بهاء الدين نقشبند فى بخارى وقبر خوجه أحرار وهو ولى نقشبندى وقبر الإمام البخارى فى سمرقند (٣) .

هذا وقد تم اتحاد وثيق بين الجماعات الصوفية والبنية القبلية للمجتمع الإسلامى فى القوقاز الشمالى وآسيا الوسطى فى قازاقستان وتركمانستان وقيرغيزيا وأصبح الولاء مزدوج للقبيلة وللطريقة وأصبح كل مجتمع يرتبط بطريقة صوفية وظيفتها السيطرة على المدارس القرآنية السرية وإقامة الاحتفالات الدينية مثل الختان وعقود الزوج وشعائر الدفن إلى جانب إدارة بيوت الصلاة السرية وهى ليست منظمات منعزفة عن الدنيا بل همها بناء مملكة الله على الأرض ويتخذون من أنفسهم مقاتلين للكفار وتصفهم المصادر السوفيتية أنهم قوى متعصبة معادية للاشتراكية ورجعية(٤).

---

(١) إبراهيم عرفات ، حركات إسلامية فى آسيا الوسطى ، مركز الدراسات الآسيوية ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٨، ص٢٥٩ .
(٢) إبراهيم عرفات ، مرجع سابق ، ص٢٦٢ ، ٢٦٣ .
(٣) ألكسندر بينيجسن ، مرجع سابق، ص ٨٦ ،٨٧ .
(٤) الكسندر ، مرجع سابق، ص٢٠٦ .

أشهر علماء ومتصوفى آسيا الوسطى :

اشتهرت بخارى بعلمائها العظام الذين كان لهم الفضل فى تطوير العلوم الإسلامية، ومن أشهر هؤلاء العلماء العالم والطبيب ابن سينا (١)، والإمام البخارى الذى يعد صحيحه أقوى كتب السنة على الإطلاق ، ومسلم ، والفارابى ، والنسفى وغيرهم من كبار العلماء العظام كثيرين .

كما انتشرت فى بخارى طائفة من الأضرحة تنسب إلى النبى "أيوب وبعضها ينسب إلى الصحابه وبعضها إلى الأولياء .

وقد ذكر أن النبى أيوب لم يدفن فى هذا المكان ولعله ابتُلى هناك . ويذكر بارتولد أن قبر النبى أيوب موجود فى فرغانة (٢) .

وتذكر المصادر أنه يوجد فى بخارى ٢٧٠٠ مقبرة لشهداء من الصحابة والعلماء أمثال "محمد بن جرير" الذى كان معاصرًا لعهد "عثمان بن عفان" رضى الله عنه وتوجد مقبرة "لعبدالله" حفيد الإمام على "كرم الله وجهه" شقيق الإمام "محمد الباقر" الابن الأكبر للإمام الحسين "رضى الله عنهما" .

وقد ظهر فى تركمانستان كثيرُ من عظماء الإسلام من مدينة مرو خرج منها الإمام "أحمد بن حنبل" و"سفيان الثورى" و"عبدالله بن المبارك" و"الفضيل بن عياض". أما مدينة نسا فقد ظهر منها الإمام "النسائى" صاحب السنن الكبرى ، ومن سرخس ظهر "أحمد بن سهل السرخسى" صاحب كتاب المبسوط والفقيه المحدث "أبو على

---

(١) ابن سينا ٣٧٠-٤٢٨هـ / ٩٨٠ - ١٠٢٧م ، يعرف بالشيخ الرئيس وهو أبو على الحسين بن عبدالله بن على بن سينا وقد ذكر عن نفسه ان والده من أهل بلخ الذى انتقل إلى بخارى أيام نوح ابن منصور . وقد أحصى المؤرخون ٢٢٣ كتابا له يوجد فى ٥٦ مكتبة بإستانبول بالإضافة إلى شروح وترجمات هذه الكتب فى مجال اللغة والفلسفة والطب والفلك ، والكيمياء ، وله رسالة عن أسرار الصلاة ولسان العرب والإنصاف فى الحكمة ورسالة فى النبات والحيوان وأسباب الرعد والبرق ورسالة فى العشق ومن أهم مؤلفاته الآثار العلوية، إجابة الدعاء وكيفية الزيارة ، الأجرام العلوية، الأخلاق ، برهان الشفاء ، أقوال فى الحكمة ، الأفعال والانفعالات ، وغيرها كثير يصعب جمعها إلا أن أعماله ما كادت تترك علما فى جميع العلوم التى عرفها الانسان إلا وتحدث ابن سينا عنه . (انظر ابن سينا فى الزركلى - الأعلام - ٢/٤١أ ، ٢٤٢ ، (فاطمة محجوب ، الموسوعة الذهبية ، دار الغد العربى ، م٣٤) ١٥٨، ٢٧١، وابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب، ٣/٢٣٧،٢٣٦) .

(٢) بارتولد (و.) تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ، ترجمة صلاح الدين هاشم، الكويت ، ١٩٨١ ، ص١٦٠ .

زاهر بن محمد بن عيسى السرخسى" ومدينة بيهق ظهر منها عدد لا يحصي من العلماء والفقهاء والأدباء منهم الامام الحافظ "أبو بكر البيهقى" والفقيه "الحنفى" (١) .

ومن شعراء التصوف الذين ظهروا ونالوا شهرة وتأثيرًا : "الفضيل بن عياض" وكان مولده فى سمرقند و(٢) "إبراهيم بن أدهم" المولود فى بلخ (٣) . و"بشر الحافى" من أهل مرو و"شاه الكرمانى" من مرو و"محمد بن على الترمذى" من ترمذ و"أبو بكر الوراق" من ترمذ أيضًا ومن عظماء الصوفية أيضا الذين كتبوا المثنويات سنائى الذى ولد فى بلخ (٤) و"فريد الدين العطار" و"جلال الدين الرومى" المولود فى بلخ ، كتبوا أيضاً الكثير فى أسرار الحب الإلهى والفيوضات الإلهية . ومن أشهر شعراء السامانيين "الرونكى" السمرقندى و"أبو طاهر الخسروانى" و"الدقيقى" و"نظامى الكنجوى" و"سوزنى" السمرقندى .

---

(١) محمد عبدالقادر أحمد ، مرجع سابق، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٢) الفضيل بن عياض ، عالم صوفي وداعية اسلامى عظيم ، ولد بسمرقند ، ومات عام ١٨هـ، شهد له كثير من أئمة العلماء والحفاظ بمكانته فى العلم والحديث . يذكره الحافظ الذهبى انه كان سيدًا ،عابدًا، ورعا، زاهدًا واماما ربانيًا وفقيهًا محدثًا.أخذ عنها الإمام الشافعي. وكان يؤمن أن للعلم رسالة سامية وهى الدعوة الى الله، ويرى أنه بالمزاوجة بين العلم والعمل تنصهر الذات فى محراب العبودية.. ويؤمن بأن صلاح الرعية معقود على صلاح الراعى ، ويرى أن له واجبًا خطيرًا تجاه مجتمعه ألا وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد شهد له عبد الله بن المبارك بقوله : ما بقى على ظهر الأرض عندى أفضل من الفضيل بن عياض (انظر جودة محمد ابواليزيد المهدى ، أعلام الصوفية، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٨م ص١٤٣-١٥٣).

(٣) إبراهيم بن أدهم (١٦١هـ - ٧٧٨م) من أشهر العباد والزهاد ولد فى بلخ ، علم الناس الزهد والورع والبعد عن شهوات الدنيا وكان يقول : فروا من الناس كفراركم من الأسد الضارى ، ولا تخلفوا عن الجمعة والجماعة . ومن كلامه : إنما يتم الورع بتسوية كل الخلق فى قلبك ، والاشتغال عن عيوبهم بذنبك ، وعليك باللفظ الجميل من قلب ذليل لرب جليل ، فكر فى ذنبك وتب إلى ربك ينبت الورع فى قلبك ، واقطع الطمع إلا من ربك . وله ترجمات مستفيضة فى كتب التصوف وسمى بالبلخى نسبة إلى بلخ . (ابن كثير ، البداية والنهاية ، تحقيق عبدالعزيز النجار ، دار الغد العربى، م٥ ، عدد ٥٤ ، ٦٣٦ - ٦٤٤) .

(٤) سنائى هو أبو المجد مجدود بن آدم ولد ٤٦٥هـ ، أول الشعراء الصوفية الثلاثة الكبار الذين نظموا المثنويات وهم على الترتيب سنائى ثم فريد الدين العطار ثم جلال الدين الرومى ويذكرهم مولانا جلال بقوله: إن العطار هو الروح وسنائى بمثابة العينين لهذه الروح، ثم يأتى دورى بعدهما. ويذكر عبدالرحمن جامى فى نفحات الإنس: إن سنائى كان يجلس يومًا فى إحدى الخانات ينشد شعرًا فى مدح الملوك ، فجاءه مجذوب يسخر منه ويؤنبه ويقول له: إنك تنشد لتمدح الملوك، ولا تمدح ملك الملوك . وفى هذه اللحظة صار سنائى صوفيًا لا يقول الشعر إلا فى المقامات والأحوال . ويهتم بالسلوك الصوفى أكثر من اهتمامه بالتصوف النظرى، ومن آثاره سبع مثنويات وديوان أشهرها حديقة الحقيقة (عبدالمنعم الحفنى، الموسوعة الصوفية، ٢٠٨، ٢١٠).

كما ظهرت فى منطقة آسيا الوسطى المدارس الإسلامية، وانتشرت المراكز الإسلامية خاصة فى "بخارى" ، و"سمرقند" ، و"بلخ"، و"هراة"، و"مرو" ، وظهر الأطباء والحفاظ ، والفقهاء ، والشعراء ، واللغويون، والنحاة ، والمفسرون كرجال عظام أفرزتهم المنطقة .

برز أيضًا فى المنطقة أشهر علماء النحو وعلى رأسهم العالم الشهير "سيبويه" وفى مجال التفسير نبغ، "ابن جرير الطبرى" ، وفى علوم السُنة ، ظهر "محمد بن اسماعيل البخارى" ، و "محمد ابن عيسى الترمذى" ، كما برز "الرازى الكيميائى"([١])، و"الجرجانى" ، و"السكاكى"، و"البيهقى" ، و"الزمخشرى" و"النسفى"، و"الفارابى"، و"البيرونى" و"جابر بن حيان" ([٢]) و"الخوارزمى" و"البتانى" و"البوزجانى" .

وكان أشهر متصوفى تلك المناطق "السيد على الهمدانى" وهو من أسرة على زين العابدين ابن الحسين رضى الله عنه ، و"خواجه بهاء الدين" مؤسس الطريقة النقشبندية ، ويعد من أعظم أولياء "بخارى" وقد اهتم باستقدام المعلمين من نيسابور وخوارزم ومرو وبغداد لمدارس بخارى وسمرقند وكش .

ومن علماء أذربيجان كما ذكرهم الذهبى فى سير أعلام النبلاء من مدينة باكو الامام الصالح المحدث ابى عبدالله محمد بن باكويه ، والشيرازى الباكوبى ، ومن مدينة زنجان سعد بن على بن محمد الزنجانى([٣]) .

---

(١) الرازى الكيميائى ، هو الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف المفيدة فى التفسير والفقه واللغة والوعظ الشيخ زين الدين محمد بن ابى بكر بن عبدالقادر بن عبدالمحسن الرازى الحنفى أصله من الرى ٦٦٦هـ - ١٢٦٨م ، كان بارعًا فى علوم كثيرة ، شديد الورع لا شبيه له فى الفهم والحفظ والزكاء ، إماما فى اللغة والأدب إلى جانب الزهد والولاية والعبادة وهو من أعلام القرن السابع الهجرى ، من أعماله الذهب الإبريز فى تفسير الكتاب العزيز ، روضة الفصاحة فى علم البيان ، تحفة الملوك ، كنز الحكمة وكثير من الأعمال غيرها . (انظر الزركلى ، الاعلام ، /٥٥ .

(٢) جابر بن حيان (٢٠٠هـ - ٨١٥م) ، فيلسوف كيميائى ، يعرف بالصوفى وأصله من خراسان ولد فى مدينة طوس عام ٧٢١م، درس العلوم الدينية ثم مال إلى التصوف حتى لقب بالصوفى ، وزعم أهل الشيعة بأنه من كبارهم ، وزعم الفلاسفة أنه منهم ، وله مصنفات فى المنطق والفلسفة وكتب فى مذاهب الشيعة ، وعندما كان يتحدث عنه الرازى فى كتبه يصفه بأنه أستاذه ، ويقول الزركلى أنه قيل : إن لجابر بن حيان تصانيف كثيرة يصل عددها إلى ٢٣٢ كتاب وقيل خمسمائة (قدرى حافظ طوقان، العلوم عند العرب، الألف كتاب، مكتبة مصر ١٩٧٦، ٩٠-٩٦).

(٣) البيان ، مرجع سابق، ص٨٩ .

وتقول المصادر السوفيتية ان تزايد الشعور الدينى فى المنطقة وخاصة تركمانستان يرجع إلى عدة عوامل :

١- نشاط المتصوفة المتزايد .

٢- عدم التمييز بين القومى والمتدين بمعنى ان كلمة مسلم تعنى فى مفهوم التركمانستانى قومية .

٣- نفوذ رجال الدين الأوزبك وتأثيرهم على المنطقة .

٤- الدعاية الإيرانية حيث إنها تبث إذاعة باللغة التركمانية .

بالإضافة إلى ذلك فإن نشاط الصوفية المتزايد جعلهم يوثقون صلتهم بالمجتمع القبلى .

وفى تركمانستان أماكن مقدسة نشطة ساعدت على نمو الشعور الدينى مثل قبور الأولياء الصالحين التى تنتشر هناك وعلى رأسها مزار "يوسف حمدانى" ومزار "نجم الدين كبرى" (١) . إلا أن الصوفية التركمانية اصطبغت ببعض الممارسات الشامانية التى ينبذها الإسلام وبخاصة أتباع الطريقة الكبراوية (٢) .

ويوجد فى قيرغيزستان الكثير من الأماكن المقدسة مثل عرش سليمان وقبر قيرغيزستان فى منطقة أوش وتقول المصادر السوفيتية أنه يوجد بقيرغيزستان من مائة إلى مائتى مكان مقدس وبفضل جهود المتصوفة إلى جانب الإسلام الرسمى أصبح الجزء القيرغيزى من وادى فرغانة أحد المناطق الأشد تدينًا فى منطقة آسيا الوسطى (٣) .

هذا وقد اتجه الإسلام المتوازى إلى الاتجاه نحو المزارات والمقابر المقدسة لديهم لأولياء أسطوريين نظرًا لفقدانهم الجوامع وأخذوا يعملون على إضفاء الصفة الرسمية لهم لتصبح مراكز للحياة الدينية عندهم (٤) .

ورجال الدين هناك معظمهم ينتمى إلى الجماعات الصوفية وكانوا يمارسون شعائرهم خفاءًا طول فترة العهد السوفيتى وينتشر معظمهم فى الريف إلا أنهم يواجهون معارضة من الحركات السياسية العلنية مثل الإخوان المسلمين والوهابيين(٥) .

---

(١) المرجع السابق ، ص١٠٨ .
(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(٣) ألكسندر بنيجسن ، مرجع سابق، ص١٠٢ .
(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(٥) جوليان ثونى ، النزاع فى طاجيكستان ، دراسات عالمية ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، عدد ٤ .

المبحث الثانى : دور التصوف فى قمع أعداء الإسلام ونصرة المسلمين فى المنطقة:

سنعرض الآن الدور الذى قام به رجال التصوف لمقاومة الأعداء حيث نوجهه إلى كل من يدعى أن التصوف عزوف عن الدنيا ويصفون مريديه بأنهم قوم كسالى يعيشون بلا عمل، ويقضون أوقاتهم فى العبادة والنوم والراحة . ويصفون تكاياهم وزواياهم بأنها أماكن للشعوذة يقضون وقتهم فى كسل وتراخى .

والرد على هؤلاء بالأدلة القاطعة، والتى اوردناها سابقا أن هؤلاء المتصوفة أدوا أدوارا عظيمة فى أسلمة تلك المناطق، وكانت تكاياهم رمزا للنشاط والحركة ؛ فكانت تفتح أبوابها للمجاهدين الفاتحين لإقامتهم وإطعامهم ،ويقيم معهم شيوخ المتصوفة فيعلموهم أمور دينهم ويغرسون حبه فى قلوبهم ، أما المقاتلين منهم الذين لم يسلموا بعد، فكانوا ينشرونه بينهم عن طريق اللين والسماحة؛فينشأون على حب الاسلام والتعلق به.

ان التصوف عمل وهمة وإرادة وعزيمة وشجاعة لا تهدأ ولا تكل فهؤلاء المتصوفة الذين نعرض الحديث عنهم هم نموذج ومثال للشجاعة والإقدام والبسالة فى مقاومة أعداء الدين ، عملوا وجاهدوا وثابروا وصبروا وبذلوا أنفسهم وراحوا شهداء من أجل إعلاء كلمة الله ورفع راية الإسلام عالية شامخة وواجهوا وقاتلوا وتحدوا أناس عرفهم التاريخ بأنها أقوى القوى التى ترهب وتفزع العالم فى كل مكان وتمثلت تلك القوى فى الصليبيين والمغول فى الماضى ثم الروس والشيوعية فى الحاضر .

دور قتيبة بن مسلم فى القضاء على الوثنية ونشر الإسلام فى المنطقة :

أشرنا سابقا إلى أن قتيبة بن مسلم القائد الإسلامى العظيم فاتح بلاد ما وراء النهر كان له فضل القضاء على العبادات القديمة التى كانت تؤمن بها شعوب تلك المناطق بتعصب شديد ، ثم نجاح فتوحاته التى وصلت حدود الصين ، وتابعها سياسته فى توطيد واستقرار الاسلام هناك ،الى جانب تأسيس عدد من المؤسسات الخيرية والدينية التى أطلق عليها "الربط" بهدف إيواء الفاتحين المسلمين ويقيم فيها رجال التصوف ومريدوهم ؛ فكان لها بصماتها فى النواحى الصوفية التى تعتمد على تعاليم المرشد وطاعة المريدين له ، وكانت هذه المؤسسات تعمل على تأمين إطعام

المجاهدين ورعاية إبلهم . وقد شكل هؤلاء ما يعرف بجيش المتصوفة الذين قدموا خدمات وأدوارًا كبيرة فى أسلمة المنطقة .

هذا وقد كان نجاح قتيبة بن مسلم فى توطيد الحكم فى آسيا الوسطى وإجراءاته السياسية والدينية سببًا فى جعله موضع تقديرواحترام وإعجاب المؤرخين ، سواء كانوا غربيين أو إسلاميين، فقد أحدث ردود فعل واسعة لدى الكتاب الذين أدهشتهم سياسته فى الفتوح التى قام بها وشجاعته المنقطعة النظير وانتصاره على أعدائه، فقد تحدث عنه راسونى من أشهر كتاب الغرب فى كتابه "العصبية التركية فى التاريخ" قائلاً : أنه فاتح طريق الإسلام فى هذه البقاع وأنه قوة ساقت الإسلام فى مجراه الذى أخذه فى المنطقة ويقول "لويس ب" فى كتابه،"العرب فى التاريخ" : أن قتيبة جعل بحركاته العسكرية الناجحة الحكم العربى فيما وراء نهر جيحون مستقرا بأحسن أشكال الاستقرار، وأمن فى معركة الإسلام مع الأديان الأخرى سيادة سياسية للإسلام .

أما "موير" فيعتبر قتيبة واحدًا من أعظم أبطال الإسلام، ويرى "جب" أن قتيبة وضع الأساس السليم للإسلام وأرسى أساسه بدرجة طيبة للغاية .

ويقول الطبرى: "إن ما قام به قتيبة اهتز اهتزازًا واضحا للأسف فى السنوات الست التى أعقبت موته" وقال عنه النرشخى : "لقد بذل قتيبة جهدًا جهيدًا ومساعى حثيثة من أجل نشر الإسلام وبذر فى قلوب الناس بذرة هداية الإسلام" .

أما "ابن كثير" فقد عظم دور قتيبة تعظيمًا كبيرًا ووصفه بأنه "واحد من أعظم الأمراء ، وهو قائد وبطل عظيم ، كتب على يده هداية أعداد من البشر لا يعلم عددهم إلا الله" .

وبحق ، فإن قتيبة يعد من أعظم القادة الفاتحين وأشجعهم حيث فتح أقاليم شاسعة وهدى الله على يديه للإسلام خلقا لا يحصيهم إلا الله .

وقد واجه شعوبًا تدين بديانات الزرادشتية والبوذية وكانت شعوب شديدة التعصب لديانتها حيث حطم مقدساتهم وأحرق أصنامهم أمام عيونهم بجرأه وجسارة لا نظير لها . وكان قائدًا عسكريًا فذا وبطلاً سياسيًا بارعًا يعمل لاعلاء كلمة الله ولا يثنيه عن عزمه إلا الموت، كما يرجع له الفضل فى تشييد الجوامع فى كل منطقة يقوم بفتحها ، كما يجزل العطاء لكل من يؤدى الصلاة، الى جانب تأسيس الربط والزوايا لإقامة وخدمة جنود الله .

دور الطريقة النقشبندية في الحفاظ على الإسلام في آسيا الوسطى:

كان للطريقة النقشبندية دورها الفعال في التصدى للوثنية المغولية إلى جانب جهودها العظيمة في الحيلولة دون شيوع الدعاية الصفوية الشيعية في البلاد ، إضافة إلى دورها في نشر الطابع السنى على المدن والقصبات([1]) .

والجدير بالذكر أن معظم قادة الإسلام وعظماءه الذين ناضلوا وكافحوا أعداء الدين في تلك المناطق، ينتسب معظمهم إلى الطريقة النقشبندية، وقد بدأ دور النقشبندية بنشر الإسلام وتثبيته ثم مواجهة أعدائه على امتداد الزمن منذ بداية الهجمات المغولية حتى صد المعتدى الروسى على المنطقة ؛ ففى نهاية القرن ١٨ ظهر في داغستان وبلاد الشيشان دعاة النقشبندية الذين قدموا من شيروان وآسيا الوسطى و تصدوا للزحف الروسى على آسيا الوسطى ، فكان لهم دورهم في إذكاء الروح القتالية لدى شعوب تلك المناطق من أجل الدفاع عن الإسلام .

وينتسب إلى الطريقة النقشبندية الإمام "محمد على" الذى قاد الثورة ضد القياصرة عام ١٣١٦هـ ــ ١٨٩٨م في منطقة فرغانة (أوزبكستان حاليًا) ومن أشهر رجالها "الشيخ منصور" قائد أول ثورة ضد الروس عام ١٧٨٥م ، والنقشبنديون هم الذين كشفوا خداع لينين ووعوده الزائفة المخادعة([2]).

وأول مبشر صوفى نقشبندى ظهر في القفقاس الشمالى الشيخ "منصور أشورمة" الذى قاد الجهاد ضد الروس وقد تم أسره على يد الروس عام ١٧٩١م وحكموا عليه بالسجن المؤبد وتوفى في سجنه ، وقد ظهر الإمام "منصور" في مدينة "الدى" ببلاد الشيشان ، وعرف بزهده وتقواه وكرهه لغير المسلمين ، وكان حافظا للقرآن والأحاديث الشريفة النبوية ، يدعو لاتحاد المسلمين ضد الروس ،و يخطب في الناس ويعظهم بترك أمور الدنيا . وقد استنجد الأتراك بالإمام منصور في حربهم ضد الروس عام ١٧٨٧م ، فلبى النداء ودافع عن الأتراك دفاعًا عظيمًا ونجح في توحيد شمال القوقاز ، وخلال المعارك بين القوات الروسية والأتراك سقط الإمام منصور جريحًا فتم أسره وأودع في السجن حتى قتل شهيدًا بعد مقاومة استمرت تسع سنوات متواصلة ([3]) .

---

(١) أكمل الدين احسان ، مرجع سابق، ج٢ ، ص١٨٥ ، ١٨٦ .
(٢) محمد عبدالقادر أحمد، مرجع سابق، ص١٦،١٥.
(٣) محمود عبدالرحمن ، مرجع سابق ، ص٥٦ – ٥٩ .

والمرشد الثانى للنقشبندية كان الشيخ "خاس محمد أفندى" وقد حرض المسلمون على الجهاد والحرب المقدسة ضد القوات الروسية ، وبعده ظهر الشيخ "ملا محمد الكمراوى" الذى ألحق الكثير من الهزائم بالقوات الروسية ولحقهم الشيخ الإمام الربانى "نجم الدين غوتسو" الذى حارب لينيين عام ١٩١٧م (١) . وهو الذى لختاره علماء الداغستان والشيشان إمامًا لهم عام ١٩٢٧م ، وقاد الثورة ضد الروس والبلاشفة منذ ذلك العام حتى تم أسره من قبل السلطات الروسية عام ١٩٢٥م .

وفى أيام المجاهد والبطل الاسلامى العظيم الشيخ "شامل" (عام ١٨٣٠م) ، دخلت النقشبندية بلاد الشيشان على يد أحد مريديه وهو الشيخ "تاشوحجى" وقد لكتسب مكانة عظيمة بفضل حروبه للكافرين وبعد موت "تاشوحجى" انتقلت زعامة النقشبندية فى بلاد الشيشان إلى الشيخ "بشير" ثم خلفه الشيخ "على خان" وتعد النقشبندية المحرك الرئيسى لثورة المسلمين فى منطقة وادى فرغانة .

ومنهم الشيخ "أوزون حجى" الذى أمضى خمسة عشر عامًا من حياته سجينًا فى السجون الروسية وكان يسعى لإقامة دولة على النهج الذى وضعه الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) و"محمد البلوكانى" و"درويش محمد" والشيخ "على الأكوشى" الذى أعدم عام ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م ، وهؤلاء المتصوفة المجاهدين كان لهم دور عظيم فى قيادة الثورة الداغستانية الشيشانية الكبرى وقد توفى أوزون حجى اثناء الثورة واستشهد معظم المشايخ فى المعارك، وتم أسر" نجم الدين غوستو" و"سيد أمين" ثم أعدموا على يد الشيوعيين (٣) .

وكان هدف رجال هذه الطريقة فى ذلك الحين العمل على محاربة الكفر وإخراج المحتل الروسى ، ويذكر الشيخ النقشبندى "أوزون حجى" أثناء دعوته لإقامة حكومة ترتبط بالدين : "سوف نقيم حكومة إسلامية باذن الله ؛ فلا يصح أن يقوم نظام جمهورى فى بلد إسلامى ولو أننا قبلنا هذا النظام نكون قد تخلينا عن الخليفة وبالتالى عن النبى ثم عن الله تعالى فى النهاية"(٤) . هذا وقد تمكن أوزون حجى بفضل جهاده من أجل الإسلام أن يعلن استقلال إمارة شمال القوقاز فى الشيشان .

---

(١) محمد عبدالقادر أحمد ، مرجع سابق، ص١٣١ ، ١٣٢ .
(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) الكسندر بنيجسن ، مرجع سابق، ص١٩٦ .
(4) Necmuddin Samurski, Dagistan, Moskova lenngrad, 1925, s. 65.

ومن مشايخ الطريقة الذين ظهروا فى الداغستان فى بداية القرن العشرين الشيخ " إسماعيل قورد ميرلى" الذى دعا إلى الجهاد عام ١٢٤١هـ - ١٨٢٥م والذى استمر حتى عام ١٢٧٦هـ - ١٨٥٩م

وكان ثمرة هذه الطريقة أن دخل الإسلام قلوب الداغستانيين الذين كانوا يعبدون الأصنام والأوثان. ثم توقف نشاط هذه الطريقة من عام ١٢٧٦هـ - ١٨٥٩م حتى عام ١٢٩٨هـ - ١٨٨٠م إثر اعتقال زعمائها . إلا أنها عاودت فعاليتها ونشاطها إلى جانب الطريقة القادرية حيث قامتا بدور كبير فى حركات العصيان الكبرى فى الشيشان والداغستان وفى ذلك الوقت تم اعتقال ونفى الآلاف من المريدين إلى سيبريا .

كما كان للنقشبندية أيضا دور كبير فى زعامة وكفاح وقتال الجيش الأحمر الشيوعى . إلى جانب هذا قام المنفيون من شيشان وأنجوش أثناء الحرب العالمية الثانية بإدخال الطريقة النقشبندية إلى قازاقستان .

وكانت النقشبندية المحرك الأول لثورة المسلمين فى ثورة فرغانة بزعامة الإيشان "مدلى" وقد أعدمه الروس .

ومما يذكر أن النقشبندية بدأت تختفى من القوقاز بعد قيامها بدور عظيم فى كفاح ومقاومة الروس خلال أعوام ١٩١٧ - ١٩٢٢ بعد هزيمة الامام شامل وقتل ونفى من جاؤوا بعده (١) .

الطريقة القادرية ودورها فى المقاومة

كان للطريقة القادرية دور فعال فى نشر الإسلام فى المنطقة إلى جانب كفاحها ضد الاحتلال الروسى للبلاد ؛ فكان لها إسهامها فى نشر الإسلام بين الأنجوش عام ١٨٨٠ الذين كانوا يدينون بالوثنية وكان مريدوها يرفضون العنف إلا أنهم مع الاحتلال الروسى بدأوا يحملون السلاح ويقاومون العدو .

وقد اشترك مريدو هذه الطريقة فى الثورة الكبرى فى داغستان وبلاد الشيشان خلال عامى ١٨٧٧ - ١٨٧٨م والتى انتهت بنفى آلاف المريدين وإعدام المشايخ . وكانت تلك الثورة نقطة انطلاق المقاومة . وفى عام ١٩٢٨م بدأت عمليات تصفية كبرى للعناصر الدينية مما أشعل الثورة من جديد ووقف مريدو كل من الطريقتين النقشبندية والقادرية جنبا إلى جنب فى قتال العدو واستشهد فى المعارك تسعة أبناء

(١) انظر الكسندر ، مرجع سابق، ص١٩٦ ، ١٩٧ .

وسبعة أحفاد لمؤسس الطريقة واستمرت الثورات والقتال العنيف حتى تم نفى سكان الشيشان والأنجوش إلى سيبريا وقازاقستان ولجأ المريدين القادريين إلى الجبال وشنوا حروبًا أخرى عام ١٩٤٧م . واستمرت روح المقاومة واشتدت طوال فترة النفى.

وانبثقت من الطريقة القادرية طريقة "ويسى حجى" الذين أطلق عليهم الروس "جماعة الطاقيات البيضاء" وتلك الطريقة كان لها فضل الحفاظ على اشتعال جذوة القتال والجهاد من أجل الإسلام فى نفوس المنفيين فى مجاهل سيبيريا وإشاعة روح الإخاء والمحبة بين الشعوب المنفية . وعندما عاد المنفيون إلى بلادهم وجدوا جوامعهم ومؤسسات عبادتهم قد خربت .

وانبثقت عن القادرية أيضا طريقة اخرى عرفت بطريقة "بطل حجى" وكانت تستخدم أشرطة وتسجيلات صوتية تتناول الوعظ الدينى ، إلى جانب نشر الكتب المعادية للاستعماروالشيوعية والإلحاد، وقد قامت السلطات الروسية بحذر ومنع هذه الأنشطة.

و كان للقادرية دورها فى قتال القوات الروسية حيث اعتصم مريدوها بالجبال الشاهقة وشنوا حرب المغاوير حتى عام ١٩٤٧م .

دور الطريقة اليسوية فى كفاح أعداء الاسلام

من أبرز الطرق الصوفية التى كان لها دور فعال فى إسلام تلك المناطق ، الطريقة اليسوية التى كان لها نشاط بارز فى كفاح الروس فى العشرينيات، وقد اتهمتهم السلطات السوفيتية عام ١٩٦٣م بالإعداد لتأسيس دولة إسلامية.

ومن أهم الخطوات التى اتخذتها الطريقة لمواجهة الأعداء، أنهم قاموا بتأسيس مدارس دينية وبيوت صلاة سرية بهدف المحافظة على الإسلام فى المنطقة، كما أعلنوا عصيانهم فى الانضمام للخدمة العسكرية(١) .

ومن ناحية أخرى قام أحد المرشدين اليسويين بتاسيس طائفة أصولية سرية فى وادى فرغانة أطلق عليها فى المصادر السوفيتية "المتصوفة الفوارس" ، وتتهمهم المصادر السوفيتية بإثارة العصيان ضد الروس فى أوزبكستان وطاجيكستان وقيرغيزستان ، وقد قامت السلطات السوفيتية بالقبض على زعمائها ، وقامت بإعدامهم بتهمة الإرهاب والتخريب وإثارة الثورات ضدهم ، إلا أن هذه الطائفة

---

(١) الكسندر ، مرجع سابق، ص٢٠٣ .

ظلت تقوم بدورها ضد النظام السوفيتى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية واستمر نشاطها حتى اليوم . وقد نجحوا فى الاندساس داخل تنظيمات الحزب الشيوعى السوفييتى بغرض مقاومته ، وكانوا يشكلون أكثر الطرق معارضة للسوفيت . كما أنهم يعدون من الطوائف الأصولية ، وكانت تستخدم فى نقل معلوماتها أحدث وسائل الاتصال والدعاية .

ويسوقنا القول عن مدى تأثير المتصوفين والمجاهدين الإسلاميين فى المنطقة ، ورؤية وحذر النظام السوفيتى منهم إلى ما حدث عام ١٩٨٣م ، فقد قام المجاهدون الأفغان فى بيشاور بنشر العديد من المنشورات الدينية وقاموا بتوزيعها فى مناطق آسيا الوسطى السوفيتية وخاصة منطقة أوزبكستان المجاورة لبيشاور ، من بينها كتاب عن الصلاة وهو عبارة عن دليل مصور بكيفية أداء الصلاة بالعربية والروسية، وكتاب "حياة محمد " بالروسية ، وكتاب "هل الدين أفيون الشعب ؟" للمفكر محمد قطب، و"الإسلام والعدالة الاجتماعية"للباكستانى السيد" أبي الأعلى المودودى" .

والقانون السوفيتى المتعلق بالعبادات الدينية يمنع ويحرم بيع وتوزيع المؤلفات الدينية الإسلامية ويمنع جميع أنواع الوعظ الدينى وشرائط تسجيل الأشعار الدينية والمديح وخاصة فى جمهورية أوزبكستان، وتذكر المصادر الشيشانية ان أعضاء طريقة "بطل حجى" كانت تستخدم التسجيلات الصوتية وإذاعة أحاديث دينية .

وقد أشار مفتى طشقند إلى أهمية هذه التسجيلات قائلا :

إن الغاية من خلق الله للإنسان ، هو التفضل عليه بتسخير كافة الطرق والوسائل إلى مرضاته – تعالى – بما فى ذلك الاستماع للإذاعة وشرائط التسجيل فإذا سُخرت هذه الوسائل لنشر الضلال فإنها تتعارض مع مبادئ الإسلام، أما تسخيرها لنشر الإسلام وإيمان القلوب ففيها مرضاة الله .

ويدير شئون مسلمى ما وراء القوقاز الإدارة الروحية الإسلامية لما وراء القوقاز ومقرها باكو وتشرف الإدارة على ستة عشر جامعًا تعمل رسميًا منذ عام ١٩٧٨م ، والجوامع هناك مختلطة سنة وشيعة ، وقد تأسس المذهب الشيعى على عبادة التضحية وتقديس حادثة استشهاد الإمام الحسين رضى الله عنه وقد كشفت المصادر السوفيتية عن أن مستوى الشعور الدينى مرتفع جدًا فى المناطق الشيعية أمّا المناطق السنية فيتولاها مريدو الطريقة النقشبندية .

وقد حدث توافق بين الجماعات السنية والجماعات الشيعية للوقوف ضد تيار الإلحاد الذى حاولت الشيوعية إفشاءه ، فكانتا تستخدمان نفس الجوامع والأئمة الدينيين للطائفتين . وكان للأعياد الدينية أهميتها لدى مسلمى أذربيجان وخاصة يوم عاشوراء ذكرى استشهاد الامام الحسين، "رضى الله عنه" أما المذهب السنى فيسود فى أذربيجان الشمالية([1]) .

ويقوم بعض المسلمين سرًا بالدعوة إلى الله وإقامة المساجد وحلقات قراءة القرآن الكريم وخاصة أتباع الطرق الصوفية ولكن الشيوعيين الملحدين لا يكفون عن مطاردة المسلمين للقضاء على أى أثر للدين الإسلامى .

ومن أبرز الدول التى تتميز بنشاطها الإسلامى الرسمى ؛ دولة أوزبكستان حيث إن بعض الأماكن المقدسة فيها وضعت تحت رعاية الإدارة الروحية فى طشقند مثل قبر خوجه أحرار وهو من رجال النقشبندية وقبر الإمام البخارى فى سمرقند ([2]) .

ومما تقدم فإن إضفاء الطابع الرسمى على الإسلام بتأسيس إدارات دينية إنما يعنى إيجاد قيادات دينية موثوق بها وتنشئة أجيال إسلامية جديدة تعمل على إحياء أمجاد العلماء العظام الذين أثروا المنطقة دينيًا وحضاريًا ، كان له أكبر الأثر فى محاصرة الحركات الإسلامية وتقليص ظهور الجماعات المتطرفة المحظورة وتجنب الأصولية الإسلامية، من هنا كان اهتمام رئيس جمهورية أوزبكستان "إسلام كريموف" بإحياء الانبعاث الروحى الإسلامى فى أوزبكستان وبناء مجتمع مسلم يتميز بالاعتدال والاتزان([3]).

هذا وقد بذل "إسلام كريموف" رئيس أوزبكستان جهودًا كبيرة لمواجهة الأصولية الإسلامية ، وفى الوقت نفسه تبنى مبدأ احترام القيم الروحية لشعبه بالحفاظ على دينه وعاداته وتقاليده والعمل على إحياء أمجاده القديمة وموروثه الثقافى والحضارى، باعتبار أوزبكستان دولة مهيمنة على المنطقة والآن يوجد فى أوزبكستان ٣٠ جامعة فى كل واحدة منها قسم للغة العربية ويدرس فيه الفقه والشريعة الإسلامية ، كما يوجد قرابة ٨٠ مسجدا ، كما تم انشاء مركز للأبحاث الإسلامية فى طشقند سنة ١٩٩٥م.

---

(١) الكسندر بينيغس ، مرجع سابق، ص٧٨ ، ٧٩ .
(٢) المرجع نفسه ، ص٨٧ .
(٣) ابراهيم عرفات ، مرجع سابق ، ص٢٧٣ ، ٢٧٤ .

ومما يدل على اهتمام رئيس أوزبكستان بإحياء الإسلام والحفاظ عليه فقد تم افتتاح الجامعة الإسلامية فى طشقند فى ٣ سبتمبر ١٩٩٩م ويدرُس فيها ٢٥٠٠ طالب وطالبة بهدف إبراز الدور الإسلامى فى المجتمع مع استئصال الأمية الثقافية والدينية داخل المجتمع ، إلى جانب تقديم إرث المفكرين والأولياء العظام ونقله إلى الشعب وإلى الأجيال الشابة حتى يكونوا قدوتهم ، ومن مهام هذه الجامعة إعداد وتأهيل علماء يحتذون نهج الأسلاف العظام أمثال البخارى والترمذى وغيرهم (١).

كما ظهر حديثًا كتاب كتبه رئيس أوزبكستان " إسلام كريموف" بعنوان "أوزبكستان على طريق الانبعاث الروحى " ويتضمن مقالات وخطابات تهدف إلى بعث الروح الإسلامية التى عاشت قرونًا فى أوزبكستان بمجدها التاريخى العريق و دعوة المجتمع للمحافظة على قيم الحضارة الإسلامية ومجد أجدادهم العظام الذين يشرف بهم الشعب الأوزبكى .

وبمناسبة افتتاح المجمع التذكارى للإمام البخارى فى ٢٣ أكتوبر ١٩٩٨م، ألقى إسلام كريموف كلمة عبرت عن إيمانه العميق وعقيدته الوجدانية والروحية العميقة قال فيها :

أيها الأصدقاء المحترمون : من المعروف أن الفكرة الأساسية للإسلام هو أنه لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وقد أظهر البخارى العجائب والرجولة من أجل إدخال هذا المبدأ إلى قلب كل مسلم ، وفى هذه اللحظات السعيدة لتتبعث روح سلفنا الإمام العظيم البخارى وليمتلئ قبره بالنور الإلهى ليأخذ الله تعالى بعون الذين يقفون مصلين إلى جانب رفات هذا الإنسان المبارك" "وإننى لسعيد جدًا لأننى من حصولنا على الاستقلال أن أقف على رأس تخطيط وتنفيذ تلك المشاريع العملاقة وأن أساهم فى هذه الأعمال النبيلة ، وإننى فخور بأننى كنت صاحب المبادرة لمشروع مجمع البخارى ، وفخور بمساهمتى فى بنائه وهذا واجبى الإنسانى أمام الله وأمام روح أسلافنا وأمام شعبى هذا ، وقد اعتمدت الدولة تنظيم وتسهيل إجراءات أداء فريضة الحج إلى الإدارة الروحية لمسلمى أوزبكستان على أن تقوم بتقديم كافة التسهيلات ، وأما وسائل الإعلام فعليها مهمة تقديم النصح وإرشاد المواطنين بكيفية أداء هذه الفريضة المقدسة وشرح معناها (٢) .

---

(١) انظر الكلمة التى ألقاها إسلام كريموف بمناسبة افتتاح الجامعة الإسلامية بطشقند ، إسلام كريموف ، أوزبكستان على طريق الانبعاث الروحى – الإمارات العربية المتحدة ، دبى، ٢٠٠٠م ، ترجمة مفيد قطيش وفؤاد الجوابرى ، ص١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٢٨١ .

دور تركيا فى خدمة شعوب المنطقة

وقفت تركيا موقفاً عظيمًا مع مسلمى تركمانستان بعيد استقلالها حيث كانت تمدهم بالطعام والشراب والكساء ونظمت مساعدات كبيرة لهم عن طريق حملات الصحف والمجلات التركية وعاونتهم على استبدال لغتهم من الكيرلية الروسية إلى الأبجدية اللاتينية وأخذت الصحوة الإسلامية فى النماء عن طريق بناء المساجد وأكبر مسجد هناك هو المسجد الذى أقيم فى عشق أباد وأطلق عليه اسم ثانى الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وبعد استقلال هذه الدول تدفق الإسلاميون الأتراك بشكل شخصى جماعات وأفرادًا لزيارة هذه الدول ، فأحسوا بمعاناة إخوانهم فى الإسلام ، فقام الشعب التركى بتنظيم حملات لجمع الغذاء والملابس لإخوانهم المسلمين فى هذه البلاد، ونظمت الصحف التركية "حملات " للمساعدات الغذائية ، فنظمت حملة مد "نخجوان" بالمساعدات الغذائية ، وتسابق المسلمون البسطاء ومتوسطو الحال والأغنياء فى تقديم هذه المساعدات العينية للجريدة ، وتكفلت الصحف التركية الإسلامية بتنظيم مجموعات من السيارات الناقلة الضخمة ، وامتلأت هذه السيارات وأخذت طريقها إلى نخجوان (١) .

وقد حدث وقت انقطاع اتصالات "نخجوان " بأذربيجان فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٩١م ، ان عاش أهل نخجوان فى جوع شديد حتى وصلت إليهم إمدادات السيارات التركية التى تحمل المعونات الغذائية الشعبية ، ووصلت إلى نخجوان فى نفس اليوم، فأطلق عليها مسلمو نخجوان "قافلة الأخوة " (٢) .

وفى عام ١٩٩٣م قامت تركمانستان بإنشاء إدارات دينية رسمية للإفتاء .

ومن مظاهر الصحوة الإسلامية فى تركمانستان أيضاً ارتداء النساء الحجاب ، وجعل أيام الجمع عطلات رسمية ، وفتح المدارس القرآنية والاحتفال بالأعياد الإسلامية ، والتسابق لأداء فريضة الحج والعمرة .

أما شعب طاجيكستان فله ارتباط ثقافى بإيران، لكن المسلمين هناك لا يفكرون فى القيام بأى ثورات إسلامية على النمط الإيرانى فهم يغلب عليهم المذهب السنى والحنفى ، ويريدون تعليم المسلمين هناك الإسلام المعتدل ، وعلماء المسلمين هناك

---

(١) محمد حرب ، مرجع سابق ، ص٢١ .
(٢) المرجع نفسه ، ص٢٢ .

ينادون بتعليم الإسلام الحقيقى أولاً ؛ لأن الوقت لا يساعد لقيام دولة إسلامية كاملة والأحزاب الإسلامية عندهم يرون أنه لا ينبغى الوقوع فى خطأ الإثارة الروسية حتى لا يجرى المسلمون فى الشوارع فتتصيدهم القوات الشيوعية ، وهم يؤمنون أن الحكم لله وأن الغد للإسلام . وجاء هذا الحديث على لسان الشيخ "عثمان رحيم جان" كبير واعظى طاجيكستان فى حديث للصحافة التركية فى سبتمبر ١٩٩٢م(١).

ويطالب المسلمون هناك بالعودة إلى استخدام الأبجدية العربية وإلغاء تدريس الشيوعية . وقد تمكن المسلمون من بناء ١٢٨ جامعًا كبيرًا وما يزيد على ٢٠٨٧٠ مصلى أو زاوية وهناك مساجد سرية يشرف عليها دعاة الطرق الصوفية خاصة الطريقتين النقشبندية والقلندرية (٢) .

وتظهر قوة الصحوة الإسلامية فى طاجيكستان فى صدور قرار البرلمان بإزالة تماثيل لينيين وتغيير أسماء الشوارع المسماة بأسماء الشيوعيين ، وإعلان حل الحزب الشيوعى ، والطلاب المسلمون يدرسون العلوم الإسلامية فى الفصول الملحقة بجامع دوشنبه المركزى (٣) .

كفاح المجاهدين المسلمين ضد السياسة الروسية :

ظهرت خلال فترة الاحتلال الروسى للمنطقة ومحاولاتهم اذابة الهوية الإسلامية، حركات مقاومة عنيفة وشرسة من جانب رجال التصوف المجاهدين المسلمين الذين بذلوا أنفسهم وارواحهم فى سبيل الحفاظ على إسلام تلك المناطق ، ومن أشهر هؤلاء الرجال، الشيخ "درويش منصور" ، وهو أول من نادى بالجهاد ، وقد رأى فى المنام الرسول صلى الله عليه وسلم يحضه على الجهاد ضد الروس ، وقد تكررت رؤياه ثلاث مرات فانطلق فى جهاده عام ١٧٨٥م ، وقد حاولت السلطات الروسية تشويه صورته فأعلنت أنه من مواليد إيطاليا وأنه ادعى النبوة فى كردستان (٤).

ومنهم "الغازى محمد الكمراوى" الذى قاد نضالاً عنيفًا ضد الروس استمر ستة أعوام واستشهد عام ١٩٣٢م فى ميدان القتال ، وخلفه الأمير "حمزه الحتراجى" .

---

(١) محمد حرب ، مرجع سابق ، ص١٢٣ .
(٢) محمد عبدالقادر أحمد ، مرجع سابق، ص٢٣٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص٢٣٨ .
(٤) انظر مصطفى دسوقى كسبة ، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين ، مجلـة الأزهـر ، ١٤١٥هـ ، ص١١٦ ، ١١٧ .

ثورة الشيخ منصور الشيشانى ١٧٨٥م :

عرف الإمام منصور بزهده وورعه وكرهه لغير المسلمين وكان له تأثير عظيم على الشعوب الشركسية القوقازية ، دعا إلى ضرورة الاتحاد ضد الروس والشيوعية عن طريق خطبه ومواعظه ، وخاض معارك شرسة مع الروس وهزم الكولونيل "بيرى" الذى أرسله الروس للقضاء عليه حيث استطاع القضاء عليه وقتله مع سبعة ضباط وستمائة جندى . وتوالت انتصارته مع جيشه من رجال القوقاز ودخل فى معارك عنيفة مع الروس خلال حربهم مع تركيا عام ١٧٨٧م تلبية لرغبة الأتراك حينما استنجدوا بهم للاشتراك معهم فى حربهم ضد الروس وخلال المعارك سقط الامام منصور جريحًا وتم أسره ونقله إلى الإمبراطورة كاترينا التى طلبت رؤية هذا الشيشانى الذى كان سببًا فى الهزائم التى لحقت بهم واستشهد الإمام منصور بعد أن قتله الروس فى أبريل ١٧٩٤م (١) .

ثورة الامام الغازى مولاى محمد :

ولد الإمام مولاى محمد عام ١٧٩٣م عاش فى جنوب داغستان واشتهر بورعه وعلمه وكان حافظًا للقرآن وخطيبًا بارعًا ينادى بضرورة إعادة العمل بمبادئ الشريعة ، التف حوله الكثير للاستفادة من علمه . خطب فى الناس ضد المحتل الروسى وحفزهم للجهاد مؤكدًا ان تأدية الشعائر الدينية والأعمال الصالحة لا يقبلها الله طالما المستعمر الروسى مهيمن على أرضهم وقد نجح الغازى محمد فى تكوين جيش الخلاص واستطاع تعبئة النفوس وإيقاظ هممها من أجل الجهاد ومقاومة العدو فلبى الشعب النداء وأطلق مريدوه شعارات شديدة الحماس ضد الكفار جاء فيها :

- الجنة تحت ظلال السيوف .

---

(١) محمود عبدالرحمن ، مرجع سابق، ص٥٦ – ٦٠ . وفى هذه المناسبة نذكر قول يوسف عزت باشا فى كتابه تاريخ القوقاز أن مركز القوقاز الطبيعى وبسالة أهله كانا دائما السبب الأكبر فى حماية الدولة العثمانية وبلاد العجم من هجمات روسيا ورغم هذا فان هاتين الدولتين لم تحركا ساكنا لحماية سكان قفقاسيا الجراكسة حينما هاجمتهم روسيا ، ولو تمت مساعدة هاتين الدولتين لأصبحتا سدًا منيعًا ضد الدب الأبيض ، على الرغم من أن الظروف كانت ملائمة ، ولكن لم تتحقق أى مساعدة من هاتين الدولتين ولو فكرية أو أدبية ، وقد وقعت القوقاز ضحية لأطماع بطرس الأكبر بهدف السيطرة على بحر الخزر ومنه إلى التركستان والهند وما حولها ومع ذلك سوف يأتى اليوم الذى يتضح فيه الدور الذى تقوم به القوقاز فى سياسة أوربا وآسيا .

يوسف عزت باشا (أمير اللواء بالجيش العثمانى وعضو المجلس الملى الكبير بانقرة) ، تاريخ القوقاز ، تعريب خوستوفه عبدالحميد غالب بك ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، إستانبول ، ١٩٤٠، ص٢٠٣ .

- جميع الروس لا يدينون بدين .
- من شروط الإسلام كره الروس .
- كل ما هو عائد للروس فهو محرَّم على المسلمين .
- لا يقبل الدين قطعيًا ذهاب المريض للعلاج عند الأطباء الروس .
- كل شخص لا يحارب الكفرة مصيره إلى جهنم .
- إن أمة محمد لا يمكن أن تعيش تحت إدارة الكفرة غير المؤمنين بالله .
- على كل مسلم أن يفكر فى الجهاد والشريعة السمحة (١) .

واثناء مواجهة العدو كان الغازى محمد يقوم بايقاظ همم المجاهدين عن طريق خطبه الحماسية التى جاء فيها "إن معابدكم ومساجدكم فقدت حرماتها لأن الكافر الروسى ينظر إليها بعين وقحة . وخير لكم أن تهدموها على أنفسكم وأن تدفنوا تحتها ، إن كل حجر تقتلون به روسيًا سوف يصبح تمثالاً للحرية ومعبداً لتمجيد الله" .

"لقد دقت الساعة الرهيبة ، واليوم هو يوم النصر أو الموت ، ومن يضحى فى سبيل الله له الجنة فى الآخرة ، ومن ينصر الله منكم فله الحرية فى هذه الدنيا ، وما لكم الأن إلا الحرية أو الموت ، فماذا تنتظرون؟" وبعد أن بايعه المجاهدون قال:

"جنة الفردوس تنتظر كل من يقتل فى سبيل الله والوطن ، أو من يقتل روسيًا ، ولكن الويل لمن يفر من ساحة الوغى أو من يدير ظهره للأعداء" .

وفى عام ١٨٣٠م أرسل الروس جيشًا للقضاء على ثورة الغازى محمد فألحق الغازى بهم هزيمة نكراء واستمرت معاركه وانتصاراته على الروس حتى استشهد فى ميدان القتال بعد معارك حميمة وضارية وذلك عام ١٨٣٢م وبعد استشهاده خلفه الإمام حمزة الذى قاد عدة معارك مع الروس واغتيل على أيديهم أثناء احتفال دينى فى أحد المساجد عام ١٨٣٤م . وبعد اغتياله تولى قيادة الجيوش المسلمة الامام شامل العالم المجاهد والداعية النقشبندى ، وبدأ فى الحرب المقدسة (٢).

---

(١) محمود عبدالرحمن ، مرجع سابق ، ص٦١ .
(٢) محمود عبدالرحمن ، مرجع سابق، ص٦١ ، ٦٢ .

جهاد الشيخ شامل فى القوقاز ضد السيطرة الروسية :

ظهر المجاهد الإسلامى الكبير "الشيخ شامل " المعروف بأسد القوقاز وصقر الجبال المولود بقرية كيمرى فى داغستان عام ١٧٩٧م وقد قاد حركة الجهاد العنيفة ضد القوات الروسية فأقام معسكرات للتدريب ؛ وحدد السن لحمل السلاح ، وفرض المال والطعام للمجاهدين ، وأنشأ بيتًا للمال على غرار النظام الإسلامى ، وقسم الغنائم تبعًا للشريعة الإسلامية .

ومن ناحية أخرى قام بتعيين الوعاظ والمرشدين وأرسلهم إلى الأقاليم بهدف تهيئة النفوس وإقامة حدود الله بتلك الأعمال ، وأدار معركة مع الروس فى منطقة القوقاز واقتحم الحصون الروسية ، الأمر الذى أدى بالروس لحشد جيش قوامه ٤٠٠ ألف مقاتل لمواجهة الشيخ شامل ورجاله القوقازيين الذين كانوا يطلق عليهم "صقور القوقاز" ، وقد صمد هؤلاء المجاهدون أمام القوات الروسية طيلة عشر سنوات كاملة اتسمت بجهادهم الباسل فى سبيل الإسلام على الرغم من قلة إمكانياتهم حتى قامت الحكومة الروسية بتكليف جنرالين روسيين للقضاء على هذه الثورة والقضاء على هؤلاء المجاهدين الذين أتعبوهم كثيرًا .

وقصة الشيخ شامل قصة بطولة وجهاد وتضحية وشجاعة فقد استطاع القضاء على الفرقة التى كانت تسيطر على القبائل الشركسية ونظم صفوفهم لخدمة الجهاد وقد منع نظم الشعر وحرم الغناء معلنا قوله: "الرجل لا يجب أن يشكو ويبكى مهما كانت المحن التى ينوء بها فالحزن والحرقة فى قلوبنا ، وقراءة القرآن أولى وأبلغ من قراءة الشعر فاقرأوا القرآن ورددوا آياته ، لا وقت لدينا لتأليف الأغانى ، فلنجعل الأعداء يغنون الأغنيات فينا وستعلمهم سيوفنا كيف يفعلون ذلك ، امسحوا دموعكم واشحذوا سلاحكم " .

هذا وقد نقش الشيخ شامل على سيفه عبارة:"من فكر قبل المعركة فى نتائجها فليس شجاعًا" وكان شعاره "الشهادة أو النصر"([1]). وحينما كان الإمام شامل يواجه الجنرال الروسى المكلف بتعقبه وكان قائدًا للجيش الروسى فكان يحدثه بقوله : "لقد رصدت ضدى ثلاثين ألف روبل إلى من يستطيع الفتك بى وأنا سعيد بذلك ، ولكن اعلم أننى أضن بدفع كوبيك واحد نظير رأسك ولا أقول رأسك أنت فقط ، بل أقول رأس القيصر نيقولا الأول المرصع بالجواهر والأحجار الكريمة" .

([1]) محمود عبدالرحمن ، مرجع سابق ، ص٦٥ ، ٦٦ .

تلك هى روح التصوف الإسلامى الصحيح المدافع عن عزة الإسلام والمسلمين، وعبارة الشيخ شامل هنا لهى أبلغ الردود على كل من يتهم المتصوفة بالتواكل والتراخى وترك العمل والجهاد والعزوف عن الدنيا فكان مثالاً رائعا للشجاعة والإقدام .

وحينما سئل الشيخ شامل : هل تثق بجنودك ؟ كان يجيب : إنى أثق بالله . وكان الجنود الروس الذين وقعوا أسرى يتحدثون عن معاملة الشيشان الإنسانية لهم وكانوا يقولون: إن هؤلاء الشيشان يلقنوننا دروساً فى الإنسانية ، وكان هؤلاء الجنود الروس لا يؤمنون بالحرب التى يخوضونها ضد المسلمين ، وظهر هذا من خلال وصفهم للمعركة الدائرة بينهم وبين الشيشان حيث يصفونها، أنها معركة الضباط الكبار فهم الذين يهزمون وهم الذين ينتصرون، إن الرؤوس الكبيرة ترسل الرؤوس الصغيرة إلى الموت" .

واستطاع الشيخ شامل إقامة حكومة إسلامية فى داغستان تنفذ أحكام الشريعة ، وكان لها أثرها القوى فى التنكيل بأعداء الإسلام .

وكانت أقوى المعارك التى خاضها الإمام شامل ضد الروس تلك التى دارت أثناء عامى ١٨٤٣، ١٨٤٤م حيث اقتحم حصون الروس وافتتحها مع المجاهدين القوقازيين وغنموا الكثير من المؤن والسلاح والأسرى ، مما اضطر القيصر نيقولا الأول والقيصر إسكندر الثانى إلى حشد جيش لمواجهتم كان تعداده ٤٠٠ ألف مقاتل(١) .

وفى النهاية وأمام الحشود الكبرى الروسية تم استسلام الشيخ شامل ، وقامت القوات الروسية بأسره .

وحينما دعى الإمام شامل إلى إحدى الحفلات القيصرية بعد استسلامه وكان يجلس بجانب الإمبراطور إسكندر الثانى قال له القيصر: إننى فخور جدًا أن أرى فى مثل هذا اليوم رجلا عظيما مثلكم فى ضيافتى . فالتفت الشيخ إليه قائلاً : لو أن شخصكم الكريم كان فى أسرى وضيافتى لكان سرورى أعظم وافتخارى أجل . تلك هى شجاعة المجاهد العظيم الإمام شامل حتى وقت أسره واعتقاله .

---

(١) كمال السعيد ، الإسلام فى آسيا الوسطى ، إعداد مكتب صحيفة المدينة بالقاهرة ، ص٥٥ ، شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامى ، ترجمة عجاج نويهض ، م ١ ، دار الفكر ، بيروت، ١٩٧٣ ، ص١٩٠ ، ١٩١ .

هذا وقد ظل الشيخ شامل قرابة عشر سنوات معتقلاً يعانى العزلة والشيخوخة خلف أسوار سجون الروس ثم أذن له بأداء فريضة الحج ، واحتفى به الناس هناك، ثم اختار المدينة المنورة للاستقرار بها وظل فيها حتى لقى ربه فى ٢٨ مايو ١٨٧٠م ودفن فى البقيع إلى جوار أبطال بدر وأحد(١) .

وقد كان صمود الإمام شامل مدة ٣٠ عامًا من القتال العنيف – وهى أطول مدة عرفت لبطل إسلامى حارب الاستعمار – أمام أقوى وأكبر قوة عسكرية فى العالم وأوربا فقد كان جيش العدو مجهزًا بأحدث الأجهزة العسكرية ، بينما كانت قوات الإمام شامل لا تملك سوى أسلحة تقليدية بدائية ، وكانت شجاعته نادرة وإيمانه لا يتزعزع فكان يقذف بنفسه فى لجج الموت وينقض كالصاعقة على الاعداء لا يهاب الموت مرحبا بالاستشهاد فى سبيل الله .

وكان عدد القوات الشيشانية لا يمكن مقارنته بعدد القوات الروسية، وعلى الرغم من هذا فقد منيت القوات الروسية بخسائر فادحة قدر عددها بنصف مليون جندى .

وقد أطلق على الشيشانيين لقب "سيوف الجنة". ووصفهم "كارل ماركس" بقوله: "يا شعوب العالم ليكن قتال القوقازيين من أجل حرياتهم درسًا لكم" ."انظروا ماذا يستطيع شعب يطلب الحرية أن يفعل ، وشاهدوا البطولات التى قدمها القوقازيون ؛ رغم قلة قدراتهم من أجل الحفاظ على حريتهم ، عليكم ان تأخذوا العبر منهم" .

وقال المؤرخ الروسى "فادييف" : "لولا الحرب القوقازية التى أعاقت تقدمنا لاستطاعت الجيوش الروسية أن تحتل الشرق جميعه من مصر إلى اليابان وهى تسير على نغمات فرقتها الموسيقية" (٢) .

وينادى شاعر داغستان بجهاد وعظمة الامام شامل بقوله :

يا شامل أجياد غريبة تشرب من ينابيعنا

وأناس غرباء يطفئون قناديلنا

فهل تمتطى وحدك صهوة جوادك

أو نساعدك على ذلك (٣) .

ويصف الشاعر" ليرمنتوف" رجال القوقاز بقوله :

---

(١) محمد رجب البيومى ، مع الأبطال ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٢م ، ص١٤١-١٤٩ .
(٢) محمود عبدالرحمن ، مرجع سابق، ص٧٨ –٨٤ .
(٣) البيان ، مرجع سابق، ص٨٢ .

شرسة القبائل التى تقطن تلك الشعاب

معبودها الحرية ، والكفاح قانونها الوحيد

قوية فى صداقتها لكنها أقوى فى الانتقام

لا تُدين لسيد يملى عليها تعاليمه من عل

تجزى الخير بالخير وترد الشر بالشر .

ولا حدود لديها للكراهية ولا للمحبة (١) .

ووصفهم " تورناو" الذى رافق إحدى الحملات التى قام بها الروس ضد الشيشان: "يستحق الشيشان كخصوم كل تقدير واحترام ففى وسط غاباتهم وجبالهم لا تستطيع أية قوات أن تحتقرهم ، فقد كانوا رماة مهرة شجعاناً إلى أقصى الحدود ، أذكياء فى الشؤون العسكرية ، كما أنهم سريعون فى استغلال الظروف المحلية ، وينتهزون فرصة كل خطأ ارتكبناه ، ويستثمرونه بسرعة فائقة من أجل تدميرنا" (٢) .

لقد كانت شجاعة الإمام شامل لا نظير لها ، شجاعة أذهلت الروس، وخصومه المعاصرون له هم الذين اعترفوا بصفاته المذهلة فقد وصفته الموسوعة السوفيتية الكبرى مجلد ٦١ لسنة ١٩٤٣م فقالت :

"الإمام شامل زعيم سياسى بارز وقائد حربى قدير ، يتمتع بسلطة هائلة بين الجماهير ، أبدى بطولة شخصية ومهارة فائقة فأصبح أسطورة شعبية ، كما أن أفكاره العامة والتنظيم الدينى السياسى الذى وضعه لتنفيذها خلفت وحدة غير عادية فى القوقاز المتعدد العناصر واللغات" وهذه الكلمات التى وردت فى الموسوعة السوفيتية عن الإمام ما هى إلا شهادة فى حق هذا القائد العظيم المجاهد الذى شهد أعداؤه بمهارته ورسالته الدينية العظيمة (٣) .

ومن أقوال الشيخ شامل المأثورة :

"الشعوب الصغيرة فى حاجة إلى خناجر كبيرة"

---

(١) محمود عبدالرحمن ، مرجع سابق ، ص٨٢ .

(٢) راجع مجلة العربى ٤٣٨، أيار / مايو ١٩٩٥ ، ص٣١ . مرجع سابق . محمود عبدالرحمن، مرجع سابق ، ص٨٣ .

(٣) مصطفى دسوقى كسبة، مرجع سابق، ص١٢٧، نقلاً عن روبرت كونكوست ، قتلة الأمم ، الطبعة العربية ، ص١١٩ .

وقال فى وصيته الأخيرة : "أيها الجبليون ، أحبوا صخوركم العارية المتوحشة ، لقد جلبت لكم جبالكم القليل من الخير ، ولكن أرضكم بدون هذه الصخور لن تكون أرضكم ، وبدون أرض لا حرية للجبليين الفقراء ، قاتلوا من أجلها ، وحافظوا عليها، واجعلوا صليل سيوفكم تهدهد نومى الأبدى" (١) .

وقد سبق انهيارَ الاتحاد السوفيتى حركاتٌ مقاومة إسلامية شديدة قامت على إثبات الهوية الإسلامية للمنطقة كان من أبرزها "ثورة العمال والفلاحين " عام ١٩١٦م لرفضهم الدفاع عن روسيا فى الحرب العالمية الأولى ، قام الروس على إثرها بإنزال مجزرة بالأهالى راح ضحيتها ٢٠٠ ألف شخص مسلم وتم نفى ٢٠٠ ألف غيرهم فى سيبريا ، وهرب منهم ٣٠٠ ألف إلى تركستان الشرقية ، كما قاموا بالاستيلاء على الأراضى الزراعية من سكانها الأصليين ، وقاموا بإشعال الحرائق فى خمسين قرية، وفقدت تركستان فى تلك الأحداث عدد ٦٧٣٣٤٧ نسمة بين قتيل، ومنفى، وهارب .

جهاد العلامة أبو النصر مبشر الطرازى ضد الروس :

من كبار العلماء المجاهدين المسلمين الذين ولدوا فى آسيا الوسطى، وكان لهم إسهامهم فى حركة الجهاد الإسلامى المعاصر ضد روسيا الشيوعية العلامة أبو النصر مبشر الطرازى . ولد فى تركستان الغربية عام ١٨٩٦م ، والده محمد ابن السيد محمد غازى الحسينى الذى يرجع نسبه إلى العرب الفاتحين الأوائل الذين فتحوا تركستان وبخارى ونشروا الدعوة الإسلامية فيها .

قاد حركة الجهاد المقدس ضد الشيوعية والإلحاد لمدة اثنى عشر عامًا وقد تعرض للسجن ثلاث مرات ونفى مرة وأقام فى كابل عاصمة أفغانستان فى الفترة من ١٩٣١-١٩٤٣م وتوجه إلى مصر عام ١٩٤٩م وقد عومل فى مصر معاملة كبار اللاجئين السياسيين ، وأصدر فى مصر مجلتين : صوت تركستان باللغة العربية وتركستان باللغة التركية ، وأخذ يواصل جهاده فى مصر ضد الروس، ونادى بالوحدة الإسلامية وتوحيد صفوف المناضلين من أجل إنقاذ بلاده تركستان من الاستعمار. ومن مؤلفاته كتاب "إلى الجندية أيها العرب" ، وكتاب "الإسلام الدين الفطرى الأبدى" و"مثنوى تذكار السجن" ، ونادى فى مؤلفاته بضرورة الجهاد وحث

---

(١) محمود عبدالرحمن ، مرجع سابق ، ص٦٦ .

المسلمين على الإخلاص والعمل والمثابرة والاجتهاد فى اتحاد الرأى والتمسك بالتعاليم الإسلامية وتوفى عام ١٩٧٧م بعد جهاد مرير ضد الاستعمار الروسى([1]).

وقد ألف المجاهد التركستانى الطرازى نحو خمسين كتابا فى الدعوة الإسلامية وقام بتشكيل اتحاد الطلبة التركستانيين عام ١٩١٧م تأييدًا للحركة الوطنية الإسلامية فى تركستان ، كما ولى اهتمامًا عظيمًا بمسألة اتحاد العالم الإسلامى ، وهو يرى أن السبب فى ضعف إيمان المسلمين هو خوفهم الموت ونسيانهم فكرة الجهاد فى سبيل الله ، كما أنهم أهملوا البحث والتحقيق فى علومهم العربية والإسلامية ، وبالغوا فى الاهتمام بالعلوم الأوربية وتناسوا تراثهم وتاريخهم ومسئوليتهم أمام أمتهم العظيمة . وفى كتاباته الكثيرة يذكر الأبطال الذين جاهدوا الشيوعية واستشهدوا فى ساحات الشرف أمثال "أنور باشا" قائد المجاهدين فى بخارى و"بهرام بك" قائد المجاهدين فى سمرقند و"قور باشى ايركش" قائد المجاهدين فى خوقند بفرغانة ، ويصف حال من يخالف النظام الشيوعى فهو إما ان يقضى عليه أو يفر هاربًا من دياره ([2])

ويرى الطرازى ان الحل الأمثل لحل مشاكل المسلمين يكمن فى تحقيق الوحدة الإسلامية والجهاد والتضحية فى سبيل تحرير البلاد من المستعمر والعمل على محاربة الإلحاد وقد تعرض للاعتقال والسجن والتعذيب هو ورجاله ، وتم مصادرة جميع مؤلفاته العربية والتركية والفارسية حتى لجأ إلى مصر عام ١٩٤٩م وكرمته مصر وأعطته راتبًا شهريًا وعاملته معاملة كبار العلماء المجاهدين الإسلاميين .

أما عن المقاومة فى العهد السوفيتى فمنها الصدام المسلح بين سكان جمهورية قازاقستان وبين القوات الروسية عام ١٩٧٨م وقد قامت على إثره القوات الروسية باستخدام القوة الميكانيكية لقمعه ، كما قامت مجموعة ثورات باكو فى العهد الأخير من حكم "جوربا تشوف " عندما أمر بتوجيه الدبابات الروسية لسحق تمرد باكو ضد الحكم السوفيتى .

وعلى المستوى الإعلامى لمواجهة تلك الإجراءات السوفيتية فى البلاد ما جاء فى صحيفة "جارديان" فى نوفمبر ١٩٩١م عند حديثها عن افتتاح أحد المساجد فى طاجيكستان ما يلى :

([1]) انظر محمد نور الدين عبدالمنعم "العلامة الطرازى المجاهد التركستانى" مؤتمر المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر ، ١٩٩٣ ، مجلد ٥ ، ص١٧٣ ، ١٧٤ .

(٢) انظر الكتاب التذكارى لندوة العلامة سماحة الشيخ مبشر الطرازى فى جامعة عين شمس، القاهرة ، ١٩٤٥ .

"إنه ليوم مشهود فى تاريخ آسيا الوسطى فعلى بعد ٣٠ ميلاً من "دوشنبه" عاصمة طاجيكستان شارك ٨٠٠ من العمال والفنيين وتمكنوا من افتتاح أول مسجد فى هذه المنطقة بناه الفلاحون بعرقهم وبدون مقابل، وبدأ المصلون يتوافدون إلى المسجد لأداء الصلاة ، بينما الأطفال يتجمعون فى المسجد ويحملقون وهم مشدوهين للأذان وهو يرفع من مئذنة المسجد، ولم يمض وقت طويل حتى كان المسجد قد امتلأ عن آخره وتكدس أمام بوابات المسجد أكثر من ٣٠٠ حذاء تلطخ بعضها بأوحال الحقول التى أسرع الفلاحون بالخروج منها لأداء الصلاة ثم بدأت صلاة الجمعة " .

والمثال الآخر للتعبير عن مقاومة الزعماء المسلمين للنظام السوفيتى فى البلاد والذى كان له أثره على المسلمين فى المنطقة ، هو نص الحديث الذى ألقاه الرئيس الشعبى القومى "مصطفى جميل أوغلو " رئيس الجمعية الوطنية بالقرم عقب انهيار الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى:

"نعم لم نعد نعرف كيف نصلى ، لكننا نؤمن بالله ربًا وبسيدنا محمد رسولاً ونبيًا، ونعرف أننا على الإسلام نحيا وعلى الإسلام نموت ، لكنا لا نعرف هذا الجمال الذى يملأ قلوبنا والذى فى سبيله قاومنا الشيوعية .. إنى آمر – الآن – بأن يرفع الأذان فى كل المساجد التى أغلقها الشيوعيون ، يرفع خمس مرات فى اليوم، إلى أن يتعلم شعبنا كيف يصلى ، ساعتها يكون الأذان ومعه تقام الصلاة فى كل أرجاء بلادنا القرم " (١) .

وقد قال هذا القائد والزعيم المسلم هذه الفقرة فى خطبته المشهورة فى "المجلس الوطنى القرمى " بعد بناء أول مسجد جديد فى شبه جزيرة القرم عقب سقوط الاتحاد السوفيتى ، بعد أن مر سبعون سنة لم يبن فيها مسجد ولا زاوية واحدة فى كل أرجاء القرم .

وقال مصطفى جميل أوغلو أيضًا : " لقد عادت إلينا شخصيتنا الإسلامية ولا يمكن التفريط فيها إننا مسلمون وسنظل مسلمين والدين نتعلمه (٢) .

ويقول أمام جامع أورغنتش مصطفى قول ملكوف فى رده على سؤال تأثير الدعاية الإلحادية على الجيل الجديد : "يهاجم الملحدون الدين بوجه عام وليس

---

(١) محمد حرب ، مرجع سابق، ص٢٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص٩٧ .

المؤمنين . ولا يمكن لدعايتهم ان تؤثر على مسلمينا . أما أعرافنا فهى أعراف أجدادنا ولا يمكن لشعبنا أن ينساها . ويظل الإسلام دين المسلمين" ([١]) .

وعن الإيمان يتحدث المفتى ضياء الدين بابا خانون "إن الإيمان بالله يرتبط عند المسلمين بالروح والقلب . وهنا تكمن قوة الإسلام . فما هو خفى فى القلب . لا يمكن لشىء أن يحطمه أو يضعفه ولذلك حافظ جيلنا الجديد على إيمانه" ([٢]) .

وجدير بالذكر هنا أنه حدث اتجاه المنطقة نحو الإسلام بشكل عام ، وقد تمثل هذا الاتجاه فى الحركة الشعبية التى اتخذت من الإسلام السنى دستورًا لها ، ويتعاملون بحذر مع كل ما يخالف ذلك كما قال الرئيس الأذرى السابق "إن النموذج المذهبى فى أذربيجان هو النموذج السائد فى الشعب وهو أهل السنة والجماعة على المذهب الحنفى وغالبية أذربيجان هكذا " .

وفى "قازاقستان " قال المتحدثون باسم الإسلام : نريد إسلامًا كإسلام أختنا الكبرى تركيا، نريد تحقيق الإسلام فى قازاقستان كما طبقه إخواننا الأتراك فى تركيا، (ويقصد الإسلام فى تركيا بعد إعلان الجمهورية) إنه النموذج الإسلامى الذى علينا أن نتبعه ولا نريد نموذجًا آخر ، نريد إسلامًا ديمقراطيًا ([٣]) .

والجدير بالذكر أنه منذ عام ١٩٧٨م كانت إذاعة موسكو وطشقند وباكو تقوم ببث الدعاية السوفيتية الرسمية وينقلون أن المسلمين سعداء ويعترفون بجميل الحكومة السوفيتية عليهم ، بينما لم يذكر حديث لأحد المسلمين فى الإذاعة إلى السكان المسلمين السوفيت ، وعلى الرغم من هذا فنجد بعضًا منهم يعملون على إظهار صورة حسنة للإسلام من خلال خطب الجمعة التى يلقونها على السكان المسلمين ، منها ما ذكره المفتى السنى "ولى زاده شريف" الرئيس المساعد للإدارة الروحية فى باكو فى إحدى خطب الجمعة حيث عبر عن الإسلام بقوله : الإسلام خير دين وهو خير متكيف مع العالم العصرى ([٤]) .

وتحدث الخطيب" شارخى أحمدوف" فى خطبته التى ألقاها فى جامع أوفا عام ١٩٧٤ قائلاً :

---

(١) الكسندر ، مرجع سابق ، ص٢٢٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص٢٢٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص٨٥ .
(٤) ن اشدوف ، تطوير الإسلام فى الاتحاد السوفيتى ، موسكو ، ١٩٧٣ ، ص٦٠ .

"أيها الأخوة المسلمون ! لقد أصبحتم أنبل أمة أخرجت للناس فهل من شعوب يمكن أن تقرن بالمسلمين ؟ هل يمكن أن نجد شعوبًا تفوقنا ، نحن أمة نبينا حبيب العالمين " ([1]) .

أما عن مفهوم القازاق للإسلام فقد تحدثت عنه السيدة سلطنت وهى قازاقية فى حديث صحفى فى إستانبول وكلامها يعطينا فكرة عن الاتجاهات الإسلامية فى قازاقستان :

" إن شعارنا هو : الإسلام والوطنية التركية والديمقراطية . يعنى نريد أن تتحد الدول التركية (دول آسيا الوسطى وأذربيجان وأتراك روسيا وتركيا) نريد الإسلام ونريد الديمقراطية المتعددة الأحزاب فى قازاقستان ! لكن لسنا قوميين متطرفين . نريد إسلاماً كأختنا الكبرى تركيا. نريد تحقيق الإسلام فى بلادنا قازاقستان كما طبقه إخواننا الأتراك فى تركيا . إنه النموذج الإسلامى لنا ، أما النموذج الإيرانى فلا، إن الذى فى إيران ديكتاتورية وليس الإسلام . إننا نريد إسلامًا ديمقراطيًا . إن الديمقراطية هى لب الإسلام . كل واحد حر فيما يؤمن به مسلمًا كان أو مسيحيًا . هناك أناس كثيرون ينظرون إلى ما فى إيران فيخافون من الإسلام . لا نستطيع الضغط على الناس لكى يتبعوا الشريعة الإسلامية ، فالقضية قضية إيمان. مؤمنون كثيرون يطبقون الشرع ولا يطبقه من لا يؤمنون به . فأنا مثلاً سيدة مؤمنة وأرتدى الحجاب كما ترون ، أما مترجمتى هذه التى تترجم أقوالى إليكم إيمانها منقوص ، فهى لا ترتدى الحجاب فى كل أوقاتها ، فتخرج إلى الشارع فى أوقات كثيرة وذراعاها عاريان وشعرها مرئى ، وليس من حقنا أن ندفعها بقوة لكى تتحجب " .

ويضيف كاظم كولر يوز الصحفى بجريدة ينى آسيا "آسيا الجديدة" التركية إلى حديث السيدة سلطنت ما نصه (وقد أدلت به إلى مجلة النقطة التركية): "إن رؤية السيدة سلطنت هى : إن للناس احتياجًا فطريًا إلى الإيمان ، وإن الإسلام هو الطريق الوحيد الذى سيخلص الناس من الفراغ الإيمانى الذى عاشوا فيه كل الوقت الطويل الذى رزحوا فيه تحت وطأة الكفر الماركسى"([2]).

إلا أن الرئيس القازاقى "نور سلطان باييف " لا يمانع فى وجود معارضة طالما أنها تلجأ إلى العمل الديمقراطى وتبعد عن العنف بكل أشكاله . وقد اكتسبت قازاقستان فى عهده مكاسب مادية ومعنوية ؛ فقد أدار سياسة بلاده بحيث إنه جعل لها وضعها بين الشرق والغرب ، فهو صديق لروسيا ، وصديق للغرب ، وصديق للعالم الإسلامى .

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٣ .

(٢) محمد حرب ، مرجع سابق ، ص٨٦


المسلمون في الاتحاد السوفيتي
في الستينات
مساحة شغلها المسلمون وعددهم ٥٠ مليون مسلم
بحر قزوين

حاضر آسيا الوسطى :

عندما استقلت دول آسيا الوسطى كانت روسيا هى القابضة اقتصاديًا والمسيطرة عسكريًا ، والدول الستة فى تركستان الغربية والقوقاز "آسيا الوسطى" لصبحت بلا جيش يدافع عنها أو يصد عنها اعتداءًا فكان استقلالاً على الورق فقط .

وفى الواقع فإن تنفس الإسلام كان هو الحدث الحقيقى الذى أحس الناس هناك فيه بالاستقلال . وهذا فى حد ذاته المكسب الاسمى ، بعد الاستقلال .

وهذه الجمهوريات تعتبر تركيا الأخ الأكبر . وكانت هذه الجمهوريات حريصة مع استقلالها على مبد أين :

١-اتخاذ تركيا "الكمالية " نموذجًا لها ، والديمقراطية بمفهومها الغربى فى تركيا واجهة لها.

وكان هناك عدة أسباب لاتخاذ جمهوريات آسيا الوسطى تركيا نموذجًا لها، من هذه الأسباب :

- التقارب الجغرافى الذى تشترك فيه حدود تركيا مع هذه الجمهوريات برًا وبحرًا .
- التقارب التاريخى الذى يربط بين تركيا وتلك الجمهوريات مع حكامهم الأتراك .
- الرباط اللغوى الذى يربط بين اللغة التركية ولغات هذه البلاد حيث إن لغات جمهوريات آسيا الوسطى مشتقة من اللغة التركية على لهجات متعددة .
- الرباط العقدى الذى يجمع بين مسلمى هذه الجمهوريات والمسلمين الأتراك .
- الانفتاح التركى على بلاد العالم شرقا وغربًا إلى جانب علاقة تركيا الوطيدة بالولايات المتحدة الأمريكية إضافة إلى أن تركيا تشكل دولة نشيطة داخل حلف الأطلنطى (١) .

وكما سبق القول فان تركيا كان لها دورها الكبير فى منطقة آسيا الوسطى على المستوى الشعبى من خلال المساعدات التى قدمتها لشعوب هذه الجمهوريات وبالإضافة الى ذلك كان لها إسهامات جديرة بالذكر على المستوى التعليمى ، حيث

(١) عبدالملك خليل ، التوجه الخارجي يميل لدول الانفتاح السياسى وليس لأنظمة التطــرف، الأهرام القاهرية ٢٤/٣/١٩٩٢م .

نهض العلماء الأتراك ورجال الدين والدعاة الإسلاميون ومشايخ الطريقة النقشبندية بتأسيس الكثير من المدارس الدينية هناك، إلى جانب الدعاة من تلامذة الإمام سليمان حلمى الذين استضافوا طلابهم فى تركيا لتعليمهم والإنفاق عليهم داخل مدارسهم الدينية التى تقوم على تدريس وتحفيظ القرآن والعلوم الإسلامية([١]).

٢- اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بهذه الدول وتعاملها معها. وقد كان للولايات المتحدة دورًا مهمًا فى العمل على انهيار الاتحاد السوفيتى وتخليص هؤلاء الناس من السطوة الشيوعية ، وكانت الولايات المتحدة فى أوقات مضت توجه الإذاعات إلى شعوب هذه الدول الجديدة لتوعيتهم بأوضاعهم فى الاتحاد السوفيتى .

والولايات المتحدة تبارك دخول تركيا المنطقة بهدف إبعاد أصولية إيران عن المنطقة بالإضافة إلى إدخال هذه البلاد العلمانية والديمقراطية العربية اللتان تتمشيان مع سياسة تركيا وأمريكا .

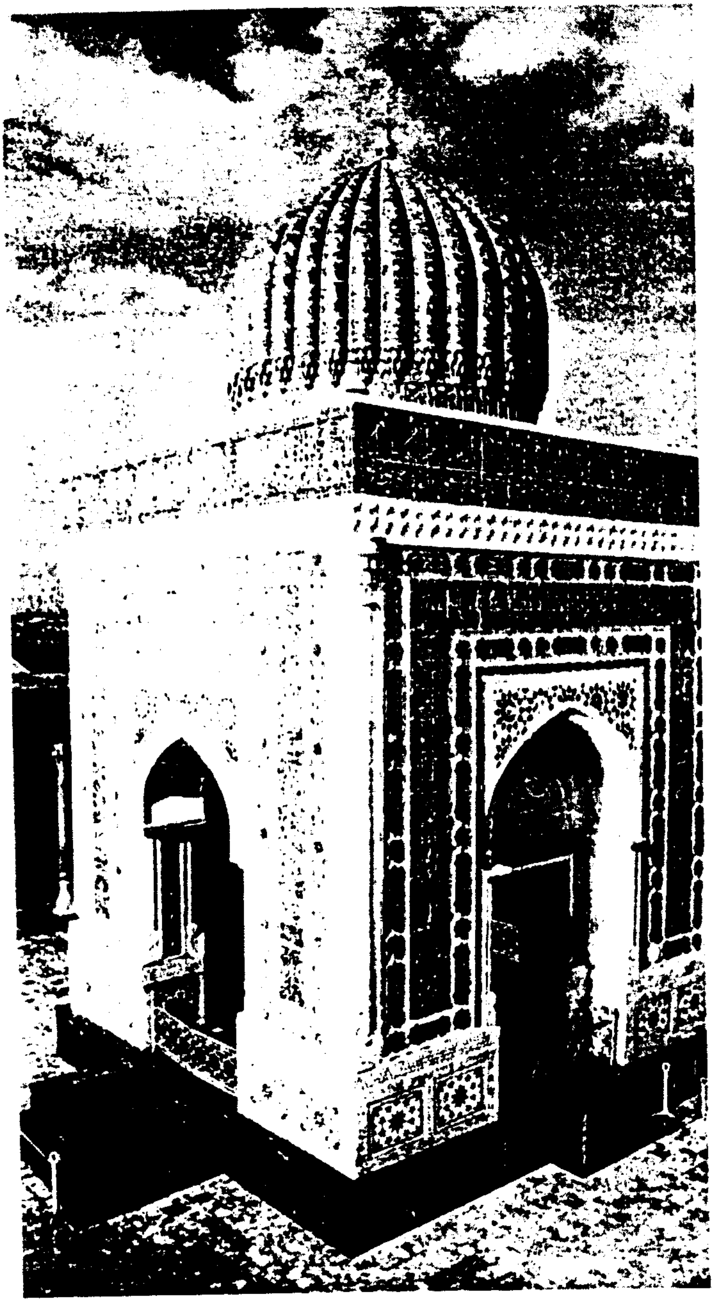
وجاء فى جريدة تايمز فى لوس انجلوس أن تركيا تعد صمام الأمان لدى الإسلام فى آسيا الوسطى ، وذلك بسبب توجهات تركيا نحو العلمانية واتخاذها الحروف اللاتينية فى الكتابة بدلاً من اللغة العربية([٢]) .

ومن الجدير بالذكر قيام جمهورية قازاقستان بإعلان رغبتها فى توثيق الصلات بينها وبين الدول العربية وقد اعترف زعيمها بقيام دولة فلسطين رسميًا وتعد هذه الخطوة إيجابية فى توثيق الصلات بينها وبين الدول العربية يجب ان تقابل بمساع حثيثة من جانب الدول العربية لزيادة الصلة بينها وبين قازاقستان فى سبيل إرساء قواعد التعاون المشترك بيننا وبينها .

أما أوزبكستان فرغم كل التحديات التى واجهتها فلا تزال البلد الأكثر محافظة فى الاتحاد السوفيتى على العادات الإسلامية مثل الختان وطريقة الزواج ودفن الموتى. ويعد مفتى أوزبكستان بمثابة المفتى العام لجميع مسلمى الاتحاد السوفيتى .

ونستطيع القول أن هذه الدول قد اتخذت بالفعل وفى وقت مبكر قبيل الاستقلال مباشرة من النموذج التركى نبراسًا لها ، فلم تتمسك إحداها بالإسلام فى الدولة ، وإنما اتخذت كلها العلمانية مثلاً ، وأعلنت كل هذه الدول – باستثناء طاجيكستان – اتخاذ الحروف اللاتينية فى كتابة لغتها التركية – وهى على لهجات – تمامًا مثلما فعل أتاتورك ، الأمر الذى تسير عليه تركيا الحالية.

([١]) انظر محمد حرب ، مرجع سابق ، ص٤٩ .
([٢]) المرجع السابق، ص٣٣ ، ٣٤ .



مجمع الإمام البخاري التذكاري في سمرقند
ضريح الأمام البخاري

الخاتمة

إن الاتجاه الإسلامى فى شعوب آسيا الوسطى قد لعب دورًا كبيرًا داخل وخارج هذه المنطقة . وكانت ثقافة هذه الشعوب واتجاهها السنى المحرك الرئيسى لها . لقد بذل المسلمون دماءهم وحياتهم فى سبيل فتح تلك المناطق للإسلام .

كما أن دور التصوف ورجاله لا نستطيع تجاهله أو إنكاره فكان لانتشار الطرق الصوفية فى تلك المناطق أثره الفعال فى نشر الإسلام مثل الطريقة النقشبندية ، والطريقة القادرية ، والطريقة الكبروية ، والطريقة اليسوية . وأتباع هذه الطرق فى المنطقة قد بلغ عددهم نحو ثلاثة ملايين وعلى الرغم من محاولات الروس فى تذويب الهوية الإسلامية لهذه الشعوب فإن تلك المحاولات كانت الدافع الحقيقى لتلك الطرق لإثبات أصولها وإسلامها .

وجدير بالذكر انه قد تم عقد الكثير من المؤتمرات فى مصر وبعض الدول العربية بهدف توجيه الاهتمام بتلك المنطقة الإسلامية . وقد دعت تلك المؤتمرات العلماء وذوى الخبرة والحمية الإسلامية للوقوف بجانب هذه المنطقة، وقد كانت مؤتمرات ناجحة وفعالة فى دراساتها وأبحاثها ، ولكن يبقى الأن أمامنا تنفيذ توصيات هذه المؤتمرات ونتائجها .

وأول ما يشمخ أمامنا هو دور الأزهر الشريف وعلمائه فى سبيل العمل على عودة الحياة الإسلامية الصحيحة التى تأصلت فى هذه المنطقة منذ بدايتها والتى حاول الروس انتزاعها من قلب العالم الإسلامى طيلة سبعين عامًا .

والمهمة التى تقع على الأزهر الشريف هى المزيد من الدراسات والعمل المثمر فى توجيه العلماء المسلمين وحثهم للقيام بدورهم فى إحياء الصحوة الإسلامية لدى تلك الشعوب ، وتوجيه المنح الدراسية لذوى الخبرة فى مجال الدعوة الصحيحة غير المتعصبة إلى تلك المنطقة،والعمل على مساعدة ابنائها لتعلم اللغة العربية والشريعة الإسلامية الصحيحة على أن يكون هؤلاء الدعاة على درجة من الثقافة تؤهلهم لجذب القلوب والعقول إليهم ، وأن يكونوا على دراية باللغة التى تتحدث بها تلك الشعوب ، وإن تَعَذر، فعلى الأقل تكون ثقافتهم ملمة باللغة الإنجليزية من أجل الوصول للمستوى المطلوب من الدعوة .

توجيه الاهتمام والعمل على فتح المدارس الإسلامية هناك واستقدام الأساتذه المعلمين تلك المناطق ومساعدتهم فى توجيه الثقافة الإسلامية والعمل على إحياء مجد علمائهم وأجدادهم العظام الذين افرزتهم تلك المنطقة وتشجيع أحفادهم للاقتداء بهم .

ويتمثل دور المسلمين الحريصين على استقرار الإسلام فى قلوب هؤلاء المشتاقين إليه فى إرسال الدعاة ، ومحفظى القرآن الكريم ومعلمى اللغة العربية إلى المنطقة وافتتاح المدارس العربية الإسلامية فيها ، وطبع الكتب وترجمتها إلى لغاتهم لشرح معانى الإسلام ، وتوجيه الدعوات للزيارات المتبادلة ، وتقديم المنح الدراسية لطلاب تلك المناطق بالجامعات العربية ، وتوجيه وسائل الإعلام إلى الاهتمام بنواحى الحياة فى هذه البلاد ، وتقديم التوعية الكافية للشباب والصغار ، وتوجيههم التوجيه الإسلامى الصحيح، مع الوضع فى الاعتبار الأحزاب والهياكل السياسية التى تمثل تلك المناطق الآن وتتخذ من العلمانية منهجًا وتوجهًا عامًا للسياسة فى الوقت الحالى.

ومن الأمور المهمة فى مجال الدعوة التى تقع على عاتق الدعاة المبعوثين إلى تلك المناطق؛ توعية تلك الشعوب المسلمة بتعاليم الإسلام السمحة ومعاملته مع أهل الكتاب والذمة وإشاعته السلام والعدل بين الناس كافة ، ونبذه للإرهاب فى كل صوره وأشكاله والاستشهاد بما ورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فى هذا الشأن، حيث إن مفاهيم هذه الشعوب عن الإرهاب تحتاج إلى مزيد من المعلومات لتوضيح موقف الإسلام منه بعد أن حاولت قوى غربية معادية للإسلام لصق الإرهاب بالإسلام .

ويجب علينا الوضع فى الاعتبار التدخلات الإسرائيلية فى هذه المنطقة الحيوية اقتصاديًا ، وقد تم بالفعل عقد اتفاقية للتعاون الاقتصادى بين قازاقستان وإسرائيل وخاصة فى المجال الزراعى ، وترمى إسرائيل من هذا التعاون الاستفادة من اقتصاد هذه المنطقة مع منع تسريب أسلحة نووية إلى إيران وعدد من الدول العربية .

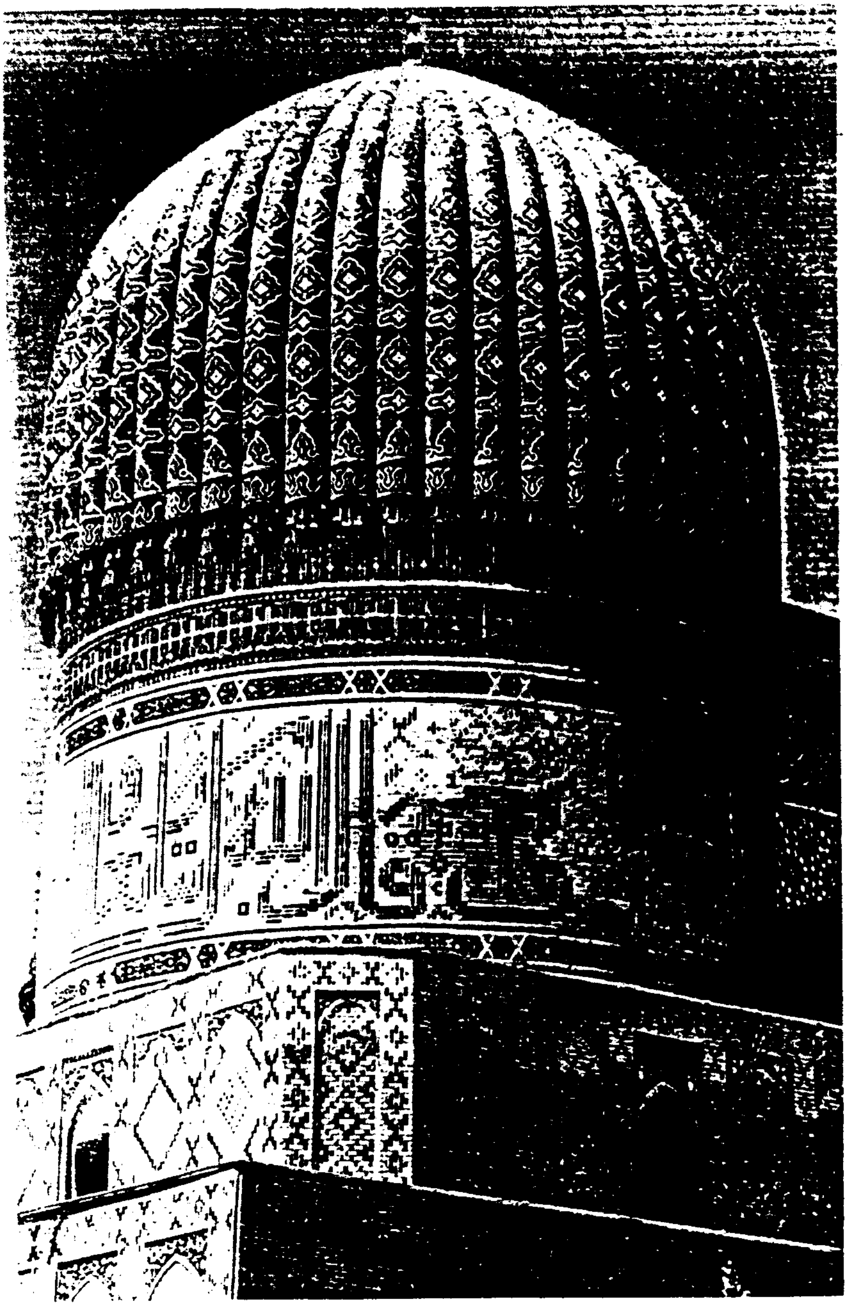
ومهمة علماء العالم الإسلامى فى مختلف أرجائه القيام بتعريف هذه الشعوب تاريخ إسلامهم ، والدور الذى قام به أجدادهم من المتصوفة الأوائل ومقاومتهم لأعدائهم وأن استقلالهم يعنى فى المقام الأول استقلالهم الإسلامى ورجوعهم إلى هويتهم الإسلامية الكامنة داخل نفوسهم.

واستجابة من الشعب المصرى لتقديم يد العون لجمهورية قازاقستان فقد بادر الرئيس محمد حسنى مبارك بالاتفاق على إنشاء جامعة مبارك الإسلامية فى

قازاقستان فى شهر يوليو ٢٠٠١م والتى تعد صرحًا جديدًا من أجل الإسهام فى التعاون مع المنطقة فى شتى المجالات الدينية والعلمية والسياسية والاقتصادية .

إلا ان تنفيذ بنود هذا التعاون من جانب المنطقة لم يصل للحد المطلوب نتيجة للضغوط الخارجية التى تعمل للسيطرة على المنطقة .

ولمر هذه المنطقة يقع على عاتق كل مسلم من أجل الحفاظ على الإسلام المتأصل فى هذه المناطق والعمل على ضم شعوب هذه المنطقة إلى الروح الإسلامية من جديد بعد معاناة طويلة وافتقاد للهوية الإسلامية التى ناضل الروس من أجل القضاء عليها. والله غالب على امره ولو كره الكافرون.



قائمة المراجع

المراجع العربية :

١- إبراهيم عرفات ، حركات إسلامية فى آسيا الوسطى ، مركز الدراسات الأسيوية (ج القاهرة) ١٩٩٨م .

٢- ابن الأثير ، أسد الغابة ، مصر ١٢٨٠ .

٣- ابن الأثير ، الكامل ، بيروت ، ١٩٦٥م .

٤- ابن حبيب ، أسماء المغتالين ، من نوادر المخطوطات ، القاهرة .

٥- ابن كثير ، البداية والنهاية ، بيروت ، ١٩٦٦م .

٦- أبو الفرج الأصفهانى ، الأغانى ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ.

٧- أبو النصر مبشر الطرازى ، الكتاب التذكارى لندوة العلامة ، ج عين شمس، القاهرة ، ١٩٤٥م .

٨- أحمد شلبى، موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦م .

٩- أحمد فؤاد متولى ، الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز، مركز الدراسات الشرقية عدد ١٢ ، ٢٠٠٠م .

١٠- إسلام كريموف ، أوزبكستان على طريق الانبعاث الروحى ، ترجمة مفيد كطيش وفؤاد الجوابرى ، الامارات العربية المتحدة، دبى ، ٢٠٠٢م .

١١- أكمل الدين إحسان ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ترجمة صالح السعداوى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول ، ١٩٩م.

١٢- الإصطخرى ، المسالك والممالك ، القاهرة ، ١٩٦١ .

١٣- البلاذرى (أحمد بن يحي) ، فتوح البلدان،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، بدون تاريخ .

١٤- الثعالبى ، يتيمة الدهر ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٥- الزركلى ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٩م .

١٦- السخيمى ، تاريخ جرجان ، حيدر أباد ١٩٣٧م .

١٧- السرخسي ، المبسوط ، القاهرة ، ١٣٢٤هـ .

١٨- الطبرى تاريخ الأمم والملوك ، بيروت .

١٩- الكسندر بينجسين ، ترجمة عبدالقادر ضللى، المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ، الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٨٩م.

٢٠- المسعودى ، مروج الذهب ، تحقيق محيى الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٧م .

٢١- النرشخى ، تاريخ بخارى ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

٢٢- بالا ميرزا ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج٢، (بخارى) .

٢٣- جب (هـ . أ. ر) ، الفتوحات العربية فى وسط آسيا ، ترجمة (م.) حقى، إستانبول ، ١٩٣٠م .

٢٤- جودة محمد أبو اليزيد المهدى ، أعلام الصوفية ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٩٨م .

٢٥- جورجى زيدان ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، إستانبول ١٣٣٠.

٢٦- جوليان ثونى ، النزاع فى طاجيكستان ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، عدد ٤ .

٢٧- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، الجيل ، بيروت .

٢٨- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ مصر فى العصور الوسطى ، النظم الإسلامية، القاهرة ، ١٩٦٠م .

٢٩- حسن صدقى ، أبطال الإسلام ، كراتشي ١٩٦٥م

٣٠- حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، دار الزهراء للإعلام العربى، القاهرة ، ١٩٨٧م .

٣١- سعد محمد الغامدى ، الفتح الإسلامى لبلاد وادى السند ، (حوليات كلية الآداب ، الحولية ١٩٨٨/٩) .

٣٢- شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامى ، ترجمة عجاج نويهض، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٣م .

٣٣- شمس الدين الدمشقى ، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٩٨٨م .

٣٤- صالح انعاموف وبختيار ايريسوف ، جمهورية أوزبكستان، سفارة جمهورية أوزبكستان فى جمهورية مصر العربية ، جامعة طقشند الحكومية للدراسات الشرقية ، طشقند ، ٢٠٠١م .

٣٥- عاصم نجيب ، تاريخ الترك ، استانبول ١٣١٦ .

٣٦- عبدالشافى محمد عبداللطيف ، العالم الإسلامى فى العصر الأموى، ط٢، ١٩٩٣م .

٣٧- عبدالعزيز عوض ، التركمان بين الماضى والحاضر ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، العدد (١٩) ، ٢٠٠١م .

٣٨- على عبدالسلام سيد أحمد ، حركات المد العربى إلى بلاد ما وراء النهر خلال العصر الأموى ، مستلة من مجلة كلية الدراسات الإنسانية ، عدد "١٤"، جامعة الأزهر ، ١٩٩٦م .

٣٩- فامبرى ، تاريخ بخارى - ترجمة محمود الساداتى ، القاهرة، ١٩٥٦.

٤٠- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة أمين فارس، العلم للملايين ، بيروت ، ط١٤ ، ٢٠٠٠م .

٤١- كمال السعيد ، الإسلام فى آسيا الوسطى ، إعداد مكتب صحيفة المدينة بالقاهرة ، بدون تاريخ .

٤٢- مؤتمر المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر ٢٨-٣٠ سبتمبر ١٩٩٣م .

٤٣- محمد أحمد محمد ، بخارى فى صدر الإسلام ، الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

٤٤- محمد حرب ،الإسلام فى آسيا الوسطى والبلقان ، البشائر الإسلامية، بيروت ، ١٩٩٥م .

٤٥- محمد رجب البيومى ، مع الأبطال ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٢م.

٤٦- محمد عبدالعليم العدوى ، العالم الإسلامى بين الماضى والحاضر والأقليات المسلمة ، ١٩٨٧م .

٤٧- محمد عبدالقادر أحمد ، الجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى، النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

٤٨- محمد فؤاد كوبرلى ، المتصوفة الأولون فى الأدب التركى ، ترجمة عبدالله أحمد إبراهيم ، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٢م.

٤٩- محمد محروس قشطة ، الاحتلال الروسى للجمهوريات الإسلامية، مؤتمر: المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر ، ٣٠/٢٨ سبتمبر ، مجلد ٢ ، ١٩٩٣م .

٥٠- محمد نور الدين عبدالمنعم ، العلامة الطرازى المجاهد التركستانى، مؤتمر : المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، جامعة الأزهر ، مجلد ٥، ١٩٩م.

٥١- محمود ابو الفيض المنوفى الحسينى ، الدين المقارن، نهضة مصر،القاهرة، ١٩٩٠م

٥٢- محمود عبدالرحمن ، تاريـــخ القوقــــاز ، النفائس ، بيروت ١٩٩٩م .

٥٣- مصطفى دسوقى كسبة ، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين، مجلة الأزهر ، ١٤١٥هـــ .

٥٤- موير (سير ويليام)، الخلافة صعودها وبزوغها وسقوطها، بيروت، ١٩٦٣م.

٥٥- هـــ . ت . نوريس ، الإسلام فى البلقان ، نقله عن التركية عبدالوهاب علوب ، مراجعة محمد حسن خليفة ، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة ، رقم ٤٩ ، لندن ، ١٩٩٣م.

٥٦- هدى درويش ، المنهج الصوفى للطريقة البكتاشية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، ٢٠٠١م .

٥٧- و. بارتولد ، تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، عربه عن الفارسية أمين عبدالمجيد نصر الله الطرازى ، المعارف مصر ، ١٩٦٥ ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .

٥٨- و. بارتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين هاشم ، الكويت ، ١٩٨١م .

٥٩- ويلهاوزن ج ، الدولة العربية وسقوطها ، أنقرة ، ١٩٦٣م .

٦٠- ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، بيروت ، ١٩٨١م .

٦١- يوسف س. م. ، دراسات فى التاريخ والثقافة الإسلامية ، لاهور، ١٩٧٠م.

٦٢- يوسف عزت باشا ، تاريخ القوقاز ، تعريب خوستوفه عبر الحميد غالب ، مطبعة عيسى الحبى ، ١٩٣٣م.

الدوريات :

٦٣- الأهرام ، عبدالملك خليل ، التوجه الخارجى يميل لدول الانفتاح السياسى وليس لأنظمة التطرف ، ١٩٩٢/٣/٢٤م .

٦٤- شدوف، تطوير الإسلام فى الاتحاد السوفيتى، موسكو ١٩٧٣م .

٦٥- مجلة البيان ، عدد ٦٦ ، ١٩٩٣م .

٦٦- مجلة شمس الإسلام، سبتمبر ١٩٩٣م .

٦٧- مجلة العربى رقم ٤٣٨ ، مايو ، ١٩٩٥م .

٦٨- مجلة كلية اللغة العربية ، أنقرة عدد ٥ نوفمبر ١٩٤٨م .

المراجع التركية :

69- Alwxndre.B-Cantal.L.Sufi ve komiser Rusyada islam Tarikatlari, cev,Dr. Osman Turer, Ankara 1988.

الكسندر (ب) شانتل ل. ك، الطرق الأسلامية في روسيا والشيوعية،ترجمة د. عثمان تورر،أنقرة ١٩٨٨.

70- Kasgari , Divan lugat elturk,Ankara, 1940.

محمود الكاشغري ، ديوان لغات الترك، أنقرة ،١٩٤٠ .

71-Turk edebiyatinda ilk Mutasavviflar, Mehmet Fuat Kopurlu,Ankara 1966.

فؤاد كوبريلى ، المتصوفة الأول فى الأدب التركى ، أنقرة ، ١٩٦٦م .

72-Zekeriye Kitapci, Hz. Peygamber hadislerinde Turkler, Ankara 1948 .

زكريا كتابجى ، الأتراك في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، أنقرة ١٩٨م.

73- Zekeriye Kitapci, Semarkentte Islam yayilisi, T.D.A, Istanbul 1983 .

زكريا كتابجى ، انتشار الإسلام فى سمرقند (أبحاث العالم التركى) إستانبول ١٩٨٣م .

74- ZekeriyeKitapci, cagdas islam tarihi ve Turkstan,Istanbul 1986.

زكريا كتابجى التاريخ الإسلامى الحديث وتركستان ، إستانبول، ١٩٨٦.

75- Zekeriye Kitapci, Orta asyada Arap fetihlerinin iktisadi yasasi, dorduncu kitap, Ankara Universitesi .

التشريع الاقتصادى للفتوح العربية فى آسيا الوسطى (الكتاب الرابع) زكريا كتابجى ، جامعة أنقرة .

76- Z.v.Dogan, Turkstan ve cagdas Tarihi , Istanbul 1942-1974.

طوغان (زو) ، تركستان الحالية وتاريخها الحديث ، إستانبول ١٩٤٢ ، ١٩٤م.

77- Zekeriey kitapci, Ortadoguda Turk Askeri varligi,Istanbul 1988.

زكريا كتابجى ، الوجود العسكرى التركى فى الشرق الأوسط ، إستانبول، ص١٩٨٨ .

الفهرست

صفحة

الفصل الثانى :

الفصل الثالث :